فضيلة السيد الأخ محمد الشرباصي
مع أصدق تحيات
المحبة والود الخالص
أنور الجندي

القومية العربية والوحدة الكبرى

بقلم
أنور الجندي

بسم الله الرحمن الرحيم

القومية العربية والوحدة الكبرى

مدخـــل

« القومية العربية » : عقيدة وواقع وحركة

وعقيدة القومية العربية قديمـة فى ضمير الأمة العربية وهى تتمثل فى اننا « أمة » واحدة مزقها الاستعمار الى دول . وقد ظلت منذ فجر القرن تعمل على مقاومة الاستبداد العثمانى والاستعمـــار الغربى فى سبيل تحقيق وحدة هذا الكيان .

بدأت حركة القـــومية العربية ـ فى العصر الحديث ـ فى المقاومة للاحتلال لتحقق الاستقلال والحرية كخطوة أولى فى سبيـــل التجمع للوحدة الكبرى . وعندما يتحرر جزء منهـــا كان يلتفت الى الخطوة التالية وهى الوحدة مع الاجزاء الاخرى التى تتحرر .

وقد واجهت القومية العربية بعد الحكم العثمانى عداوة الاستعمار والشعوبية والشيوعية والصهيونية ، فلما قامت ثورة ١٩٥٢ وحققت الجلاء وتأميم القنال كان ذلك مقدمة لحمـــل لواء القومية العربية

والدعـــوة الى الوحدة الكبرى بين أجـــزاء الوطن العربى وقامت الجمهورية العربية المتحدة لتظاهر كل حركات التـــحرر والوحدة

وقد تحررت منذ ذلك الحين أجزاء متعددة واتجهت الى طريق الوحـدة ٠ وحدثت نكسات فى انتفاضة الاردن وانحراف فى ثورة العراق ٠ واخذ الاستعمار رأس جسر فى دمشق بعد التجربة الاولى للوحدة ٠

ولكن الطريق الى الوحدة الكبرى أصبح ممهدا بفضل جهـود الجمهورية العربية المتحدة التى فرض عليها وضعها أن تكون طليعة الكفاح ، قاعدته ٠

- ١ -

القومية العربية ـ عقيدة وواقع

لكلمة « القومية » مفهوم حديث لمعنى قديم عميق الجـــذور ، فالقومية أساس وجود كل جماعة ، وقوامها عقيدة تؤمن بالتجمع في كيان وواقع ، والتبلور في وجود حي ، يندفع دائما الى الامام في حياة متطورة نامية وهي في مختلف مراحل حياتها تعتمد على مقوماتها الاساسية ٠

هذه المقومات الاساسية هي : ان هناك أمة واحدة لها شخصية واحدة ٠ وتقاليد واحدة ٠ وآمال مشتركة تؤلف هذه الشخصيـــة وحدة من اللغة والارض والتاريخ والمصير والمصلحة والتجانس العقلي والروحي ٠ فهي بذلك ليست اتجاها سياسيا او بدعة مستحدثة او عاطفة طارئة أو دعوة تنظم مرحلة معينة من حياة الامة ٠ وهي ليست شيئا طارئا أو سطحيا ٠

واذا كان معنى « القومية » قديما فان ما برز في القرن التاسع عشر انما هو تبلور الشعور القومي ، ذلك أن بدء العروبة انما يعود في الواقع الى تاريخ قديم جدا ، اما الجديد فهو الشعور بالعـــروبة والتفكير فيها ٠ « والقومية العربية » حقيقة حية تمثـــل أمة كاملة الخصائص القومية التي تكونت نتيجة تفاعل تاريخ طويل ربط العرب في وحدة قومية متميزة متفاعلة ٠ وهي تقوم على أساس وحدة الوجود القومي للعرب ، يندفع في طريق وحدة الأمة العربية في دولة واحدة والقومية العربية بذلك تمثل عقيدة وواقعا يتجه الى حركة قوامهـــا الامتزاج والتلاقي في « الوحدة الكبرى » ٠

القومية العربية عقيدة مستوحاة من ظروف بلدنا ومبـــادئه وتاريخه وطاقاته الخلاقة وهى تهدف الى مواجهة العقائد الاخرى فى العالم العربى بعقيدة أخرى أصيلة ذات جذور أصيلة مما أدى الى عزل كل هذه الدعوات (١٩٥٩/١٠/١٠ « جمال عبد الناصر ») ٠

والوحدة جزء من القومية العربية لاتنفصل عنها ولا تقوم بدونها ولا يتم معناها بغير الايمان والعمل لقيام الكيان العربى الواحد ممثلا فى الدولة العربية ٠ ومعنى هذا أن الايمان بالقومية العربية ــ التى وصفناها بأنها « عقيدة » يستدعى الايمان بالوحدة العربية ٠ ولا يمكن أن يستتبع ذلك قبول التجزئة أو بقاء الاجزاء المنفصلة كما هى ٠ ويمكن أن يكون الايمان بالوحدة منفصلا عن البحث فى شكل الوحدة ٠ ذلك لان ــ مبدأ الوحدة فى القومية لا يقبل المناقشــة ٠ وجملة القول أن الوحدة العـــربية هى أن تصبح الامة العربية هى الدولة العربية ٠

١ ــ ولكى نحقق فهما واضحا لعقيدة القومية العربية نفسر كلمات الدولة والامة والشعب ٠

الدولة : مجموعة أفراد يقيمون فى اقليم معين تسيطر عليهم هيئة منظمة تسمى « حكومة » ومقـــومات الدولة «١» الافراد «٢» الاقليم «٣» الهيئة المشرفة والدولة قد تنطوى على أكثـــر من أمة وقد تتوزع الامة بين اكثر من دولة ٠

الامة : مجموعة بشرية يرتبط أفرادها براوبط طبيعية ومعنوية وتجمعهم لغة واحدة وتاريخ وعادات وتقاليد وثقافة مشتركة وقد تكون الامة مجزأة بين عدة دول كما هو واقع بالنسبة للامة العربية التى تمتد من المحيط الى الخليج ٠ والامة اوسع وأشمل من الشعب ٠

الشعب : جماعة من الناس تقطن أرضا معينة وتخضع لسلطان

حكومة كالشعب العراقى أو اللبنانى ٠٠ الخ والشعب بالجملة هو الذى يخضع لحكومة قائمة ٠ ومن الخطأ استعمال لفظ الشعب مرادفا لمعنى الامة اذ لا يمكن مطلقا ان يطلق اسم الامة المصرية على الشعب المصرى فالشعب المصرى جزء من الامة العربية وقد كانت هذه المغالطة محاولة لتأكيد الاقليمية واعتبار الشعوب العربية امما بينما هى اجزاء من أمة واحدة هى الامة العربية ٠

٢ ـ وعلينا أن نعرف الفرق بين الوطنية والقومية :

«الوطنية»: عاطفة تمثل ولاء الفرد لبلده أو لشعبه ٠ والوطنية تنظر الى الماضى والوطنية فى كلمة هى حب الوطن والشعور بالارتباط به ٠

« القومية » : هى عاطفة ومثل أعلى فى وقت واحد وهى تمثل خطة المستقبل وتقتصر على مجموعة من الناس لهم كيان الامة ٠ والقومية فى كلمة هى حب الأمة ، فالوطن هو قطعة من الارض والامة جماعة من البشر ٠ والوطنية هى ارتباط الفرد بقطعة من الارض تعرف باسم الوطن والقومية هى ارتباط الفرد بجماعة من البشر

وجملة القول اننا « أمة » عربية واحدة من المحيط الى الخليج ، هى الآن فى واقعها مجموعة من « الشعوب » العربية تقوم على كل شعب « دولة » ٠ ولما كان المجتمع الدولى يطابق بين الامة والدولة فان القومية العربية تطمح الى أن تصبح الأمة العربية هى الدولة العربية الواحدة التى تقوم على الشعب العربى الواحد ٠

ويمكن القول بأن الوعى بواقع القومية العربية كان قائما

منذ تنبه العرب الى أمرهم غير أن الثورة الناصرية أيقظت هذا الوعي وعمقته ورفعت صوته عاليا في العالم كله ووضعت له مقومات واضحة تجعله يختلف مع دعوات القومية التي ظهرت في أوائل القرن التاسع عشر والتي قامت على أساس الحكم أو الجنس وقوامها اتجاه انسانى وبعد عن التعصب ومساواة وتسامح، ثم حققت خطوات منه على طريق الوحدة الكبرى فقامت الجمهورية العربية المتحدة تحمل لواء القومية العربية، وقام المجتمع الاشتراكى الديموقراطى التعاونى ليحقق مفهوم القومية العربية في بناء مجتمع متحرر ٠

ولما كان الوعى القومى في منابعه هو «شعور اجتماعى وتعاطف فطرى» فاننا نجد الامة العربية اليوم في حالة مشاركة وجدانية على درجة عالية قائمة على العاطفة المتطلعة الى الوحدة، وقائمة على العقل في نفس الوقت لبناء مجتمع متحرر ٠

١ – اسس القومية العربية

ما هي الأسس والخصائص والعناصر والمقومات(١) التي تقوم عليها القومية العربية ؟

عدد الباحثون والفلاسفة كثيرا من هذه المقومات يتمثل أبرزها وجماعها في هذه الأسس :–

١ – مقومات معنوية :

(١) اللغة ٠

---

(١) أطلق الكتاب مختلف العبارات وكلها بمعنى واحد ويمكن أن نكتفى منها بكلمة « مقومات » أو « أسس » ٠

(٢) التاريخ والمصير المشترك ٠

(٣) الثقافة والتجانس العقلى والروحى ٠

وهناك مقومات : العادات والتقاليد والآمال والآلام ٠

٢ ـ مقومات مادية :

(١) المصالح المادية (الاقتصادية) ٠

(٢) وحدة الارض (البيئة الجغرافية) ٠

هذه المقومات لا يستغنى عن وجودها مجتمعة لتكوين القومية فاذا نظرنا فى ضوئها الى القومية العربية وجدناها قد اجتمعت للامة العربية على نحو واضح وعميق ٠

١ ـ اللغة العربية

« اللغة » هى أبرز مقومات الامة لانها واسطة التفاهم العظمى ووسيلة الاتصال العام بين الافراد ، ورباط المقـومات والعنـاصر الاخرى وأداة امتزاجها فى بوتقة الامة وبها تكتب مختلف فنـون العلم والادب والدين والثقافة ٠ وللغة أهميتها فى حياة الامم وثقافتها وتطورها ، ذلك أن اللغات تتنازع وتتصارع على مسرح التـاريخ ويرى الباحثون أن هذا الصراع يؤدى الى نتائج قد تكون أحيـانا أخطر من نتائج الحروب ذلك أن الامة التى تفقد لغتهـا تحت ضغط المستعمر انما تفقد كيانها كله ولا قومية موحدة بدون لغة واحدة ٠

وكما تكون وحدة اللغة مقوما هاما أساسيا فى القومية فهى كذلك نتيجة طبيعية للوحدة فى التاريخ ٠

فاذا طبقنا هذا على اللغة العربية وجدناها عاملا هاما من عوامل القومية العربية وهى لغة جميع السكان الذين يقطنون الوطن العربى على اختلاف اديانهم ، وقد جمعت العرب فى مجالى التفكير والتفاهم

يجمع الباحثون على أن وحدة اللغة توجد نوعا من وحـــدة التفكير والشعـــور ٠ وتربط الافراد بأقوى الروابط الفـــكرية والعاطفية ٠

ولقد اندثرت لغات كثيرة كانت معاصرة للعربية كاللاتينيـــة واليونانية القديمة ٠ واحتفظت اللغة العربية بكيانهـــا بالرغم من المؤامرات الضخمة التى رسمت لها ٠ فقد واجهت اللغة العربيـــة محاولات متعددة للقضاء عليها كان أهمها فى العصر الحديث : محاولة الاتراك العثمانيين فى ابادتها ٠ ثم محاولة الاستعمار الغربى وهمـا محاولتان قاومتهما الأمة العربية فى قوة ، بل لا تعدو الحقيقة اذا قلنا أن اللغة العربية كانت هى معركة الصراع والمقـــاومة الاولى بين العرب وخصومهم ٠

ولما كانت اللغة هى « روح الامة وحياتها » وهى بذلك العمود الفقرى للقومية فان المحتمل يوجه اليها جهودا ضخمة بغيـــة القضاء عليها ٠ ويجرى الصراع بين لغة المحتل واللغة الاصلية فى محاولة للقضاء على اللغة القومية فى عدة ميادين :

١ – يفرض المحتل لغته على دوائر الحكومة والاسواق والمدارس والمعاملات الرسمية والتجارية ٠

٢ – يعمل على تشجيع اللهجات العامية المحلية للقضاء عـــلى وحدة اللغة ٠

٣ – يعمل على ادخال بعض كلمـــات اللغة المحتلة فى اللغـــة القومية ٠

وقد واجهت اللغة العربية فى العصر الحديث هذه المعركة مرتين:

(أ) فى ابان العهد العثمانى وخاصة فى الفترة الاخيرة عندما اخذت الاتحاديين فى تركيا العثمانية حمى الدعوة الى الجامعة الطورانية وتتريك العناصر • ومحاولة تتريك العرب الذين كان قد فرض عليهم تعلم اللغة العربية فى المدارس باللغة التركية بواسطة مدرس تركى • فضلا عن أعمال القضاء فى المحاكم •

(ب) فى خلال فترة الاحتلال الانجليزى والفرنسى والايطالى للعالم العربى من (١٨٣٠ – الى اليوم) فقد حرص الاستعمار على القضاء على اللغة العربية بوسائل متعددة وأساليب مدروسة منها:

١ – اتهامها بالعجز عن نقل معانى الحضارة •

٢ – اغراء الكتاب الذين تعلموا فى المدارس الغربية فى الدعوة الى تغليب اللهجة المحلية فى الكتابة • وقد وضعوا أمامهم صورة اللغة اللاتينية التى تفرعت الى اللغات الايطالية والاسبانية والفرنسية والالمانية والانجليزية فاتجهت الدعوة فى مختلف أقطار الامة العربية الى اتخاذ العامية لغة رسمية •

٣ – محاولة كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية •

وقد فشلت كل هذه المحاولات وتحطمت على صخرة العربية ولم تفقد الامة العربية لغتها لانها آمنت أن الامة اذا فقدت لغتها فقد فقدت كيانها وتكون بذلك قد اندمجت فى الامة التى اقتبست منها لغتها الجديدة •

وقد كان هذا أساسا ضخما فى بقاء كيان القومية العربية قائمة وفى هذا يقول ساطع الحصرى « ان الاحتلال لا يفقد الامة المغلوبة كيانها ما دامت محافظة على لغتها • وتبقى حية وان كانت قد فقدت شخصيتها كدولة • اما اذا فقدت لغتها فقد فقدت الحياة » ويقول مفكر

آخر » ان الامة المحكومة التى تحافظ على لغتها تشبه السجين الذى يمسك بيده مفتاح سجنه .

وقد بدأت الحركات القومية بالكفاح فى سبيل اللغة وكذلك قامت وحدة المانيا وايطاليا ويوغسلافيا على أساس وحدة اللغة .

واللغة العربية تتميز عن اللغات المختلفة بأنها لغة فهم وبيـــان واعراب . ودليل قوتها :ــ

١ ــ ان جميع اللغات التى تفرعت من اليونانية تستعمل فعل « الكينونة » للربط بين المبتدأ والخبر والمسند والمسند اليه بين ركنى الجملة الا اللغة العربية .

٢ ــ اختصت بحروف ليس لها مثيل فى اية لغة اخرى مثـل الضاد والطاء وغيرها .

٣ ــ قدرة ابناء اللغة العربية على النطق بجميع الحروف وسائر اللهجات ومحاكاة كافة اللغات .

وقد أغنيت اللغـة العربية بالترجمة من اللغـات الاجنبية فى عصورها الزاهرة وتأكد قدرتها على تقبل الفاظ الحضارة والاستجابة للتطور الفكرى وبعدها عن الجمود والتحجر . وبالرغم من وجـود لهجات محلية فان هذه اللهجات لم تضعف العربيـة الفصحى وهى بسبيل الالتقاء معها .

وقد أفلتت اللغة العربية من مرحلة الخطر بعد أن انسحب ظل الاحتلال من معظم أجزاء الوطن العربى . وهى تزحف اليوم الى مكانها الطبيعى والاصيل فى المدرسة والحكومة والمصارف الاجنبية والشركات وهى بسبيل استعادة مكانها الاول واهميتها الكبرى باعتبارها أبرز مقومات « القومية العربية » .

قد كانت اللغة العربية ممثلة لتاريخ العروبة فى خلال مرحلة انتشارها واستقرارها وتطورها ٠ فقد كانت لغة شبه الجزيرة وبعض اطراف الشام والعراق ثم امتدت مع الدعوة الاسلامية فتغلبت على اللغات المحلية فأصبحت لغة عامة فى هذه المنطقة التى تسمى بالعالم العربى ٠ أما المناطق التى انتشرت فيها وانحسرت عنها كصقلية والاندلس فانها لم تعد من العالم العربى ٠

ويرجع انتشار اللغة العربية وتغلبها فى رقعة الوطن العربى الى (١) قرابة اللغات التى كانت موجودة بها الى اللغة العربية (٢) حيويتها وثروتها بالنسبة للغات الموجودة فى عهد الفتح ٠(٤) هجرة القبائل العربية التى رافقت الفتوح ٠

٢ ـ التاريخ والمصير المشترك

يمثل «التاريخ» سلسلة طويلة من التفاعلات فهو سجل الحقائق والاحداث التى عاشتها الامة فى حياتها ٠ واللوحة التى تبين مراحل التطور ودرجات النمو ، وقائمة الانتصارات والهزائم والاحداث ٠ وهو بمثابة شعور الامة وذاكرتها ٠

والتاريخ العربى وحدة تاريخية سياسية مترابطة متصلة الحلقات ، هذه الوحدة ولدت ـ وتولد دائما ـ تقاربا فى العواطف والنزعات وتماثلا فى التقاليد والعادات ٠

والذكريات التاريخية تجعل بينها نوعا من القرابة المعنوية ٠ وقد صبغ هذا التاريخ الوطن العربى بصبغة واحدة اذ أكد وحدة المصير بين أهل المنطقة ٠ وأن الوطن العربى وحدة تاريخية سياسية مترابطة تؤلف وحدة اجتماعية عربية ٠ وانه سلسلة متصلة الحلقات هيأت كل حلقة منها للحلقة التى بعدها ٠

وقد نظر الغزاة الى هذه المنطقة فى خططهم الاستعمارية على أنها وحدة وليس على أنها أجزاء منفصلة كما تنظر الدول الاجنبية اليوم نفس النظرة • وعندما جرت المحاولات لابعاد بعض هذه الاقطار عن الوحدة التاريخية ثارت شعوبها مؤكدة وحدتها •

وارتباط التاريخ ووحدته يؤكد وحدة المصير ، هذا المصير الذى دفع اجزاء المنطقة دائما للتجاوب ومساندة الاجزاء الاخرى عندما يقع عليها العدوان •

ولقد لجأ الاستعمار الى التاريخ القومى محاولا :

١ – القضاء عليه •

٢ – أو حجبه •

٣ – أو تزييفه واثارة الشبهات حوله •

وقد جرت فى هذا الصدد اعمال متعددة لتحقيق ذلك فقد سيطر الاستعمار على مناهج التعليم وأقصى منها كل ما يتصل بالوحدة العربية أو امجادها ومعارك نضالها وانتصاراتها ومقاومتها أو دورها الضخم فى بناء الحضارة أو الكشف عن تراث الامة وآثارها وحرص على القضاء الكامل على هذه الصورة الباهرة واحل بدلا منها تاريخا قائما على التجزئة وتصوير الاجزاء العربية بأنها خضعت طوال تاريخها الطويل للاحتلال والاستعباد والاستعمار من شعوب مختلفة متعددة •

وقد سار الاستعمار فى هذا مع خطته فى القضاء على استقلال الامة بحجب كفاحها التاريخى وابعاده عن الاذهان ذلك ان حب الحرية يقوى بذكريات الاستقلال الضائع ومعارك المقاومة المتعددة والتى يذخر بها تاريخ الامة العربية كما حرص الاستعمار على الحيلولة دون اقامة التماثيل أو تخليد امجاد العظماء •

ويقول ساطع الحصرى « ان الايمان بمستقبل الامة يستمد قوته من معرفة ماضيها الباهر والنزوع الى الاتحاد يزداد بتجدد ذكريات الوحدة المضاعة واذا كانت اللغة بمثابة روح الامة فان التاريخ بمثابة ذاكرة الامة ووعيها ٠ الامة المحكومة التى تنسى تاريخها تكون قـد فقدت شعورها ووعيها ٠

ويقول الدكتور عبد القادر حاتم : ان التاريخ هو الاثر الواضح الذى حفرته الامة فى سيرها الطويل واتخذته ركازا ليحدد للقومية معالم الطريق وليبين لاجيالها المتلاحقة مراحل تطورها ٠

والتاريخ كان ولا يزال سجلا لاحداث الامة وتراثها وقد تميز تاريخ الامة العربية بوحدة شاملة كاملة كانت من أهـــم روابط الوجود العربى حتى أنه عندما تجزأت البـــلاد العربية على أيدى الاستعمار لم تنعزل منطقة ما بتاريخها تعيش به لنفسها بل ظل تاريخ الامة العربية متصل الحلقات متماسك الاجزاء ٠

٣ – الثقافة والتجانس العقلى والروحى

تمثل الثقافة خلاصة التقدم الفكرى والحضارى وهى فرع من التراث العقلى والروحى وهى عامل التفاهم النفسى ٠

وان وحدة اللغة ووحدة التاريخ تؤديان الى وحدة الثقـــافة وتحقيق التجانس العقلى والروحى بين أبناء الامة الواحدة ٠ قد ظلت الروح العربية محتفظة بسماتها بالرغم من التجزئة التى حلت بها وبقى الترابط الوجدانى والفكرى والثقافى واضحا وقائما ٠

ولقد كانت الثقافة العربية بعيدة الاثر فى حياة الامة العربية فهى تراث حى له ملامحه المتطورة الفنية لقد كان للتراث الثقـــافى

العربى اهميته الدائمة وأثره الواضح فى توحيد فكر العرب والطريقة التى يفكر بها العقل العربى نظرا لوحدة الغذاء الثقافى ·

وبهذا قام التجانس فى العقلية والروحية والنظرة الى الكون بين اجزاء الامة العربية ولقد حاول الاستعمار تحطيم وحدة الثقافة العربية بادخال عناصر غربية كما حاول ايجاد فوارق مصطنعة دينية وعنصرية على أساس قاعدته « فرق تسد » وشجع الرجعية الدينية والاقطاعية ليقيم بها فوارق تفتت وحدة الثقافة والتجانس·

ولا شك أن هذا التراث الثقافى المشترك كانت قوامه روحانية الاديان وذخائر الفكر التى ساهم فيها العرب مسلموهم ومسيحيوهم واعتبروها جميعا ذخيرة مشتركة ·

٤ ـ وحدة العادات والتقاليد

العادات والتقاليد هى مجمل القواعد التى تعارف عليها ابناء المجتمع واتخذوها نبراسا لتنظيم حياتهم وتسجيل مراحل تطورهم وقد عرفت الامة العربية اخلاق وتقاليد وعادات أهمها الكرم والشجاعة والثبات والايثار والتضحية والنجدة والوفاء بالعهد وحفظ الجوار · جرى لها فى التاريخ والثقافة صور تجلت فيها هذه العادات والتقاليد على نحو واضح فى الميادين الفردية والميادين الجماعية ·

٥ ـ وحدة الآمال الآلام والذكريات

لما كانت الآمال والآلام والذكريات هى أداة التفاعل الفكرى والاجتماعى بين أفراد الأمة فان هذا العنصر يعد أساسا هاما من أسس القومية ·

ومن المقومات المادية يبرز عنصرى : الارض والبيئة الجغرافية والمصالح المادية .

١ - وحدة الارض

وحدة الارض مقوم رئيسى من مقومات القومية والوطن العربى وحدة جغرافية لا تفصل بين أجزائه فواصل طبيعية من الجبال الشاهقة والبحار الواسعة بينما هى تفصلها عما حولها وهى تضم السهل والجبل والصحراء تتكامل بها وحدة جغرافية واقتصادية

وهى منطقة جيولوجية واحدة متكاملة ولا شك ان وجود جبال وسهول وشواطىء وأنهار وغابات ومراع وموانى داخل دولة واحدة وفى نطاق امة واحدة يجعلها أشد تماسكا ، هذا فضلا عن اختلاف الاحوال الطبيعية لا يضعف الدولة . بل على العكس يكسبها قوة لان البيئات الجغرافية المختلفة يتمم بعضها بعضا ويجعل الدولة تستطيع أن تكتفى بمواردها .

والوطن العربى جغرافيا يمتد من خليج فارس وولاية ديار بكر شرقا حتى بحر الظلمات غربا ومن جبال طوروس شمالا حتى افريقيا الوسطى جنوبا ، أو من البحر المتوسط الى أواسط افريقيا ومن حدود ايران الى المحيط الاطلسى الممتدة من المحيط الهندى وخط الاستواء جنوبا والخليج العربى وايران شرقا . ومن جبال طوروس وساحل البحر المتوسط الجنوبى شمالا الى المحيط الاطلسى غربا فى مساحة ٤ ملايين وربع مليون ميل مربع .

ولقد كانت هذه المنطقة مسرحا واسعا لهجرة السكان الذين كانوا يعيشون فى اطارها الواسع فحدث نتيجة ذلك امتزاج وتزاوج كانا عاملين فعالين فى وحدة المشاعر وشكل الحياة والتفكير .

يقول كمال رفعت : الذى لا شك فيه أن هذه الطبيعة قائمة وحدها لا تشابه بينها وبين اى قطر يجاورها • وهـــذه الصورة لا توجد فى كل اقطـــار الشرق الاوســـط والادنى الا فى الوطن العربى •

ويتكون الوطن العربى من ٨٣ مليون نسمة وهو بذلك الدولة الثامنة بين الدول بالنظر الى مقدار السكان : الصين الشعبية ٦٦٠ والهند ٣٩٥ والاتحاد السوفيتى ٢١٠ والولايات المتـــحدة ١٧٢ واليابان ٩٠ والباكستان ٨٥ وأندونيسيا ٨٤ مليونا(١) •

وقد اثبت علماء الجغرافيا والاقتصاد ان الوطن العربى سوق موحدة متكاملة متكافئة وان به فرصا متماثلة للتخصص مـع حسن توزيع الانتاج والتـــحرر من التبعية الاقتصادية ويزيد فيه عـــدد الذكور على الاناث (كل ألف رجل ٩٧٠ امرأة) •

ولا شك أن الاتصال الجغرافى فى الارض حيث تمتد الرقعة دفعة واحدة ، يساعد على التوحيد السياسى والـــدفاع العسكرى والتعاون الاقتصادى •

وان الاجواء المختلفة فى الوطن الواحد انما تساعد على تنوع الامكانيات الاقتصادية كما أن حدوده الطبيعية تعتبر ســـببا داعيا لتجمعه السياسى ، هذه الحدود بحرية وصحراوية وجبلية • كمـا ان التخوم البحرية فى الغالب ترادفها أسوار جبلية عالية تلائـــم خطط الدفاع من الغزو الخارجى •

وتمثل الصـــحراء نصف مساحة الوطن ، وهى تحوى ثروات معدنية وبترولية • والصحراء لها دورها فى الدفاع • كمـا تؤدى

« ١ » تبين ان عدد الاقليات فى الوطن العربى تمثل ١٤٪ من الســكان وهم البربر فى المغرب والنيليين الزنوج فى جنوب السودان والاكراد فى شمال العراق والشام وبعض التركمان والجركس والارمن •

الجبال دورها فيه أيضـــا ففي الجبل الاخضر يدافع العمانيون عن عمان وفي أوراس وجرجوره بالاطلسي يناضل الجزائريون ٠

ولقد حاول الاستعمار أن يتخذ من اختلاف المنـــاخ والاحوال الطبيعية في الارض العربية وسيلة للدعوة للتجزئة مدعيا بأن تعدد الاجواء يستلزم تعدد الدول ويحول دون اتحاد البلاد العربية ، غير أن الحقائق العلمية أثبتت عكس ذلك ـ كما تبين ان ما من امة كبيرة تعيش في حدود بلاد متجانسة من الوجهة الجغرافية ٠

٢ ـ أن يحاول ايجاد روابط سياسية وثقافية تســـتند الى روابط جغرافية ، من هذا دعوة رابطة البحر الابيض المتوســط ٠ وقد أثبت علماء الجغرافيا والاجتماع ان المجـــاورة وحدها لا تكفي لايجاد رابطة ٠ وانها تؤدي بالعـــكس الى صراع ومنافسات ٠ وان الوحدة والرابطة لا بد أن تقـــوم على أساس من اللغة والتاريـــخ والثقافة وهي أمور معنوية لا بد من توافرها أساسا ٠

وكشف خداع هذه الدعوة التي قامت بها فرنسا محاولة أن تجعل بينها وبين لبنان وشمال افريقية (تونس والجزائر ومراكش) رابطة باسم البحر الابيض محاولة ايهام هـــذه الاجزاء من الوطن العربي بأن هناك وحدة قائمة بينهم وبين فرنسا ٠

٣ ـ محاولة فرنســـا ايضا في الزعـم بان أفريقيا الشمالية جزء من اوربا وان قارة افريقيـــا الحقيقية تبدأ من الصـــــحراء الكبرى ومن أجل ذلك اطلقوا على بلاد المغرب اسم (اور افريقيا ـ Awrafrique) بينما تدمغ الحقيقة العلمية هذه الدعوة بالتضليل، لان مراكش والجزائر وتونس عربية ســـــواء أكانت أوروبية أو افريقية والاعتبار للغة والتاريخ لا للمجاورة الجغرافية وحدها ولــو اننا فرضنا وجود رابطة اتصال قاروية بين أوروبا وافريقيا وآسيا فالرابطة القومية أقوى بكثير من روابط الاتصال الجغرافي ٠

وقد ثبت خطأ كل دعوة قومية تعتمد على الجغرافيا وحدها ٠ كنظرية انطون سعادة في القول بأنسورية منطقة طبيعية وحضارية قائمة بذاتها وان سورية منفصلة عن الامة العربية ٠

وجملة القول : ان الوطن العربى وحدة جغرافية لا تفصل بين أجزائه فواصـــل طبيعية وهى تحقق تكاملا اقتصاديا ووحـــدة اقتصادية ٠

٢ ـ وحدة المصلحة

لا ريب ان المصالـــح المـــادية المشتركة أساس من أسس القومية ٠ وفي القومية العربية كان هذا الاساس قائما قياما متصلا٠ فالامة العربية تؤمن بأنها تتكامل مع بعضها البعض ٠ وان خيراتها تحقق لها كفاية ذاتية دون حاجة الى استيراد ٠ ولا شك ان اختلاف المصالح الاقتصادية بين البلاد العربية وتنوعها ليس أداة تجزئة لها بل أداة التقاء ووحدة حتى تتكامل ٠

والانتاج الزراعى والصناعى فى أى بلد عربى يجـد أسواقه فى بقية البلاد العربية فكل بلد سوق للبلدان الاخرى ٠ وكذلك كل صناعة عربية ٠

مراجعة نظريات

أسس القومية العربية

تعددت نظريات أسس القومية وقامت مساجلات متعددة حول هذه الاسس : ولعل أبرز ما كان موضع الخـــلاف هو : الجنس والدين ومكانهما من القومية :

١ ــ وقد تحقق أن عامل «الجنس» والدم ليس أساسا من أسس القومية العربية بعد أن ارتبط هـــذا العامل بالدعوات العنصرية والنازية وجرت حوله الاتهـــامات والشبهات فى عجز الاجناس عن السلامة السلالية الكاملة فقد ثبت بحقائق العـــلم انه لا يوجد على الارض أمة ينحدر جميع أفرادها من أصل واحـــد • لا الفرنسيين ولا الاتراك ولا الروس •

والقومية العربية التى أقامت خصائصها على العلم والانسانية والمساواة والتسامح والبعد عن التعصب لا تقبل الجنس أو الـــدم كأساس للقومية •

لقد خرج العنصر العربى من الجزيرة العربية منطلقا فى خلال فترة الفتـــح فامتزج بالشعوب الاخرى واختلطت دماؤهم ولكنهم التقوا فى عوامل أشد قوة كونت وحدتهم الفكرية والمادية وهى اللغة والتاريخ والارض والعادات والتقاليد والمصالح والمصير •

٢ ــ أما الدين بمعناه الروحى الواسع الشامل الذى تشترك فيه عناصر الامة اذ كانت مهبط الأديان وملاذ الروحية • فهـــو قـــوة فعالة تنظم مقومات التراث المشترك فى اللغة والتاريـــخ والثقافة • وهو عامل حقيقى من عوامل التجانس الفكرى •

لقد قامت القومية العربية بعد أن تمت عملية الامتزاج بين العرب والشعوب الاخرى التى تبلورت فى الكيان الواحد المشترك وبرز أعلام للقومية العربية من هذه العناصر التى تبلورت فى القومية العربية ٠

والقومية العربية فى حقيقتها رابطة تجمع الامة العربية كلها بمختلف أديانها ٠ وقد شاركت هذه الامة فى مقاومة الغزو والعدوان والاستعمار بكل صنوفه وألوانه مما واجهته المنطقة صفا واحدا ٠ وقاوم العرب « الحروب الصليبية » وحدة كاملة بالرغم من ان هذه المعارك حملت اسم المسيحية محاولة لتفريق الصفوف — ولكن الوعى كشف عن انها قوة مغيرة تحمل شعارا خادعا ٠ وقاوموا التتار صفا واحدا ٠ كما قاوموا الاستعمار الغربى بألوانه وحدة متكاملة بالرغم من دعوى الانجليز والفرنسيين بحماية الاقليات أو حماية أنواع معينة من الكنائس ٠

هذا التراث العظيم من أمجاد الكفاح الوطنى ، ومن تراث الثقافة كان تراثا مشتركا ساهم فيه المسلمون والمسيحيون على السواء ٠

وقد حاول الاستعمار التفرقة بين أجزاء الوطن بـ : «١» خلق صراع داخلى باسم الدين «٢» ثم باسم مذاهب الدين ٠ «٣» ثم باسم القوميات الصغيرة (كالاكراد) «٤» ثم باسم القوميات التى امتزجت بالقومية العربية (كالبربر) غير أن قوة الايمان بالكيان المشترك فى سبيل المقاومة قضى على هذه العوامل ٠

وعلاقة المسلم بالمسيحى فى العالم العربى تختلف عن علاقتهما خارجة فهما يتكلمان لغة واحدة ويشتركان فى التاريخ وليس لاحدهما تاريخ خاص قريب أو منفصل ٠

٣ — حاول الاستعمار بعث حضارات قديمة كالفرعونية فى

مصر والسومرية فى العراق ـ والفينيقية فى سوريا محاولا ربط الحاضر بالماضى المندثر للقضاء على القومية العربية وقد فشلت هذه المحاولات ، وفرق بين اعتبار الفرعونية والسومرية والفينيقية مصدر مجد قديم عريق يثبت أننا أصحاب الحضارة الاولى فى الشرق والغرب • غير ان هذا لا يحملنا الارتباط بها كواقع تاريخي يمكن أن نبنى عليه حاضرا ايجابيا •

وهكذا تبين خطأ كل النظريات التى اقامت فكرة القومية على أساس الجنس أو الدم أو الدين •

٤ ـ هل هناك مفهوم للقومية العربية فى جزء من الوطن العربى يختلف عن مفهومها فى الجزء الآخر ؟؟

للرد على هذا السؤال علينا أن نراجع تاريخ المنطقة فى علاقتها بالاتراك العثمانيين ثم انتزاع الاستعمار لاجزائها قطرا بعد قطر •

لقد وضع الاستعمار قواعد لنظريات التجزئة التى حمل لوائها ودعا اليها • من هذه النظريات •

١ ـ محاولة ايجاد فواصل طبيعية بين العرب فى آسيا والعرب فى افريقيا وهى محاولة قديمة بدأت بالحملات الصليبية التى احتلت منطقة الساحل الشامى وامتدت الى العقبة لاقامة فاصل يقتطع الوطن العربى ويجزئه • وقد استمر هذا الفاصل ثمانين عاما ومع ذلك فانه لم يؤثر على وحدة العرب • وهى نفس الخطة التى قامت اسرائيل بعد ثمانمائة عام بتنفيذها •

٢ ـ ويتصل بهذا محاولة الادعاء بأن العرب ليسوا افريقيين وانهم شعب من الغزاة جاءوا الى أفريقيا كما جاء الفرنسيون والانجليز بعد ذلك •

٣ – ودعوة تقول ان القومية العربية تتعارض مع القومية الافريقية وعلى العرب أن يختاروا احدى القوميتين .

٤ – ودعوة تقول أن أفريقيا الحقيقية هى أفريقيا السوداء التى تقع جنوب الصحراء الكبرى اما شمال افريقيا فهو أقرب الى سائر بلاد البحر المتوسط .

وكل هذه الدعوات زائفة وليس هناك دليل على انها تمثل الحقيقة وقد أراد الاستعمار بها تجزئة الوطن العربى وفصم روابط الجوار بين العرب والافريقيين . والواقع ان القومية العربية هى احدى القوميات التى تسكن افريقيا كالقومية الاثيوبية والقومية الصومالية اما الصحراء فانها لم تفصل افريقيا أبدا وانما هى جسر يربط ولا يعزل . وفى السودان الفرنسى والسنغال يتكلم الناس اللغة العربية ويرتبطون ببلاد جنوب الصحراء مثل غينيا وغانا .

أما فى تونس ومراكش والجزائر فقد حاول الاستعمار الفرنسى أن يعزل هذا الجزء عن العرب فى آسيا ويضع الحواجز الضخمة دون تسرب الثقافة العربية اليه ومع ذلك فقد ظلت الروابط الروحية والفكرية قائمة بين القومية العربية فى آسيا وأفريقيا ولم تفد هذه المحاولات .

والمعروف أن الجناح الافريقى من الامة العربية تخلص من سلطان العثمانيين قبل الحرب العالمية الاولى بينما لم يتحرر الجناح الآسيوى الا بعد الحرب العالمية الاولى . وهذا هو ما جعل عرب افريقيا – قبل الحرب الاولى – يقاومون الاستعمار الانجليزى والفرنسى والايطالى والاسبانى فى نفس الوقت الذى كان عرب آسيا يقاومون الاستبداد العثمانى . ولذلك فقد كان كفاح القومية العربية فى آسيا قائما على وحدة عنصرى الامة فى اتجاه متحرر .

اما كفاح القومية العربية فى شمال افريقيا فقدكان يقاوم الاستعمار محاولا الاحتفاظ بوحدة عنصرى الامة من بربر وعرب فكان يعتمد على الرابطة الدينية التى تقوم بينهما كاساس فى هذا الكفاح ذلك انه اذا كان الاستعمار الفرنسى يحاول فصل وحدة العرب والبربر باسم القوميات الطبيعية فقد كان ضروريا أن تكون رابطة الاسلام سلاحا فى اعادة الوحدة وتقويتها لمقاومة مؤامرات الاستعمار .

خلاصــــة

الحق ان العامل الاساسى « للقومية العربية » هو شـــعور أبناء الامة الواحـــدة بأنهم أبناء قومية واحدة ، تجمعهم عوامل مختلفة ، هذا الشعور لابد أن يستند الى أساس وعوامـــل ، وقد اندفعت الانتفاضة العربية بعد الثورة الناصرية وقوامها ارادة عند أفراد الامة تحملهم على الوحدة والالتقاء فى حياة مشـــــتركة فى اطار واحد · يتكون جسم هذه الوحدة عوامل اللغـــة والتاريخ والارض والتجانس العقلى والروحى والمصلحة المشتركة ·

مراجع الفصـــل

١ – ساطع الحصرى : آراء وأحاديث فى القومية العربية ·

٢ – عبد القادر حاتم : القومية العربية ·

٣ – ساطع الحصرى : عبد القادر حاتم : كمـــال رفعت : من كتابات مختلفة ·

٤ – عبد القادر حاتم (ك) الجمهورية العربية المتحدة ، مجموعة كتب سياسية (٥٢)

٥ – نفس المصدر ·

٦ – ساطع الحصرى : آراء وأحاديث فى العلم والثقافة ·

٧ – عبد العزيز الدسوقى : فجر العربوالامة العربيةوجيشها الموحد ·

٨ – الدكتور عزة النص : الوطن العربى ·

٩ – ساطع الحصرى : آراء وأحاديث فى العلم والثقافة ·

ـ ٢ مفهوم القومية العربية واهدافها

يتطور مفهوم القومية مع الزمن حتى تتحقق قدرتها على النماء والعمل والبعد عن التخلف والتجمد والقومية العربية تهدف الى اقامة مجتمع عربى متحرر من الاستغلال والاستبداد الداخلى والاستعمار الخارجى يظله نظام اقتصادى يهدف الى تحقيق « العدالة الاجتماعية » بين المواطنين ، ذلك هو النظام الاشتراكى التعاونى فى نظام غير مقتبس ولكنه مستوحى من حاجة الامة العربية ومقوماتها ٠

وتهدف القومية العربية الى تحرير الفرد العربى من الاغلال التى تحيط به ومن الظلم والاستغلال والسيطرة والاستعمار ٠ واقامة أساس البناء الاجتماعى والاخلاقى والسياسى والاقتصادى والثقافى مشاركة بين عناصر الشعب العربى ٠

ومجتمع القومية العربية يقوم على العدالة الاجتماعيةوالحرية الدينية ويستهدف البناء والرخاء ٠

وتقوم دعاتم القومية العربية على :

(١) تحرير العالم العربى من كل تسلط اجنبى ٠

(٢) قيام وحدة كبرى داخل حدوده الطبيعية ٠

أما تحرير العالم العربى من كل تسلط أجنبى فقد ظل عملا متصلا على الامد الطويل وقد قاومت الامة العربية الصليبية منذ ثمانمائة عام وقاومت حملات التتار والتسلط العثمانى والاستعمار

بمختلف أنواعه : البريطانى والفرنسى والايطالى والاسبانى ٠

وقد كانت أجزاء الامة العربية عندما تتحرر تتجـــه الى الوحدة والتلاقى فى الكيان الكبير ٠ وقد توحدت الامة العـــربية بقيادة صلاح الدين لمقاومة الصليبيين الذين احتلوا الساحل العربى ثمانين عاما ٠ كما اتجهت الى الوحدة بعد ذلك فى محاولة ابراهيم باشا لاقامة دولة عربية ٠ وحاولتها مرة أخرى باسم الثورة العربية الاولى ابان الحرب العالمية ثم كان قيام الجامعة العربية محاولة على الطريق أما قيام ثورة ١٩٥٢ فقد كان مقدمة لاحتضان رســـالة القومية العربية والسير بها الى الغاية الكبرى فقـــد كانت مرحلة « الاتحاد او الوحدة » تبدأ بعد التحرر من الاحتلال مباشرة ولذلك فقد اتجهت كل الاجراءات التى تحررت الى الالتقاء مع بعضها البعض فى وحدات ثقافية واقتصادية وكانت الجمهورية العربية المتـــحدة هى طليعة العمل للوحدة وقاعدته ٠

والمفهوم ان القومية العربية تستهدف أولا الحرية ثم الوحدة اذ لا يمكن ان تقوم الوحدة فى ظل الاحتلال أو التبعية للاستعمار أيا كان نوعها ٠

ومفهوم « القومية العربية » يرسم اليوم صورة كاملة للعمل الذى تقوم به الجمهورية العربية المتحدة كطليعة للقومية العربيـــة وقاعدة ٠

تؤمن القومية العربية بالمســـاواة والتسامح دون تعصب للجنس (الذى هو مفهوم القومية عند النازيين والفاشيين) وهى تحارب التفرقة العنصرية وتؤمن بالحرية وتحمل لوائها وتدافـــع عن حقوق الانسان وحق الامم فى تقرير المصير ٠ وفى ظل هـــذه المعانى تدعو الى حرية العقائد ٠

أما فى الثقافة فهى تؤمن بأن الثقافات جميعا قد أخذت وأعطت – وكما أثرت الثقافة العربية فى الثقافات الغربية فانها قد تأثرت بها ٠

وتؤمن القومية العربية بالحياد الايجابى وعدم الانحياز ونبذ الاحلاف العسكرية وذلك لتخفيف حدة الحرب الباردة بالدعوة الى تطبيق مبدأ التعايش السلمى ٠ والقضاء على الحروب ، كما دعت الى نزع السلاح وأيدت حسم المنازعات بالطرق السليمة ونادت بتصفية الاستعمار ٠

كما تؤمن القومية العربية بأن نموها لا يتجه الى اعادة عهد الامبراطوريات كما يرميها أعداؤها وانما تتجه الى بناء مجتمع يحقق الوحدة والرخاء والامن لتقوم بدورها فى بناء صرح الحضارة الانسانية كما فعلت من قبل ٠

١ – مقاومة الاستبداد العثماني

تتمثل حركة القومية العربية فى عنصرين اساسيين : حرية ثم وحدة

والحرية تتطلب المقاومة ودخول المعارك والاستشهاد والكفاح حتى يمكن أن تتحقق الحرية بالجلاء أو بالانفصال ٠

وقد دخلت القومية العربية مرحلة (الحركة) بعد ان كانت عقيدة وواقعا ، وذلك حين قاومت الاستبداد العثمانى والاحتلال الغربى ٠ وقد كانت تواجه المعركتين فى آن واحد ففى نفس الوقت الذى كانت مصر وتونس ومراكش تقاوم الاستعمار البريطانى والفرنسى، كانت سوريةولبنان والعراق تقاوم الاستبداد العثمانى ولقد كانت مقاومة الاستبداد العثمانى هى العامل الذى أدخل القومية العربية دور الحركة بكل معانى الكلمة ٠

لقد تسلط الاستبداد العثمانى وسيطر على الامة العربيةطيلة أربعة قرون ، فكان لهذا أثره فى تجميد اللغة العربية والتفكير العربى والوجدان العربى عن الحركة والتفاعل غير أن العثمانيين عجزوا عن ادماج العرب فى كيانهم وحالت قوة العربالمعنوية القائمة فى تكوينهم الطبيعى والفكرى ان يندمجوا فى أى تكوين جنسى آخر ٠ وقد حاول الفرس ذلك أيضا عندما احتلتجيوشهم العراق وسورية وأواسط الجزيرة العربية وامارات بحر العرب ، حاولوا اذابة العنصر العربىوانهارتامبراطورية الفرس وبقى العرب

(١) استولى السلطان سليم على سوريا ومصر والحجاز (معركة مرج دابق ١٥١٦) وامتد نفوذ سليمان القانونى الى العراق ١٥٤٣

وعدن ١٥٤٧ والحسا ١٥٥٥ ووهران وتلمسـان ١٥٥٦ ولم يبق خارج السلطة العثمانية الا المغرب الاقصى من جهـة وقلب الجزيرة العربية من جهة أخرى. وقد بقيت البلاد العربية تحت الحكم العثمانى حتى القرن التاسع عشر عندما استولت فرنسا على الجزائر ١٨٣٠ وانكلترا على عدن ١٨٣٩ وفرنسا على تونس ١٨٨١ وانكلترا على مصر ١٨٨٢ وايطاليا على طرابلس ١٨١٢ وخـلال الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) خرجت بقية البلاد العربية من النفوذ العثمانى وبذلك تكون الامة العربية قد بقيت تحت الحكم العثمانى أربعة قرون كاملة (١٥١٦ ـ ١٩١٦)

ولكـن هل كانت الدعـوة الى القومية العربية التى ظهرت فى نهاية الحكم العثمانى هى أول حركة عملية فى العـالم العربى ؟؟

الواقع أن القومية العربية حققت أول انتصار لها فى عهـد صلاح الدين (١١٨٦) وبقيـادته حيث اتخذت سـورية ومصر وحدة حققت هزيمة الصليبيين بعد احتلالهم للساحل العربى ثمانين عاما فكانت معركة « حطين » التى سحقت مملكة الفرنجة وفتحت طريق العرب الى بيت المقدس ، ممـا عجل بنهـاية هـذه الدولة المغتصبة وعودة الارض العربية الى وحدتها .

وفى خلال الاستبداد العثمانى جرت محاولتان للوحـدة العربية ، الاولى قام بها ـ الوهابيون ، فقد كانت الدعوة الوهابية حركة سياسية ترمى الى تحرير العرب من سلطان العثمانيين وعودة حـكم العرب للعرب ، وظهرت فى نفس الوقت قوة محمـد على وابراهيم واتجها الى اقامة دولة عربية ، وقد استطاعت تركيـا

العثمانية والاستعمار الغربي من ضرب القوتين فاصطدم محمد على بالوهابيين وانتصر عليهم ثم لم يلبث أن حيل بينه وبين قيام الدولة العربية التي كان يعمل لها بتحطيم اسطولة فى نفارين . والواقع ان محمد على كان طموحا يرمى الى انشاء دولة كبرى باسم العـرب لتحقق اطماعة في التوسع والاحتلال وقد عرف بالاستبداد بعد ان قضى على المقاومة الشعبية التى هزمت نابليون وجاءت به الى الحكم وكان هذا القضاء مسمارا فى نعش دولته فقد كان اعتماده على قوة شعبية من عوامل نجاح حركته ولو انه فعل لما استطاع الاستعمار القضاء عليه ، هذا فضلا عن أن العرب فى عصره والى وقت قريب جدا كانوا واقعين تحت سيطرة الرمز الدينى الذى تحمله دولــة الخلافة ولقد كانوا الى قبيل الحرب العالمية لايطالبون تركيا العثمانية بأكثر من نظام اللامركزية فى ظل الامبراطورية وحماية اللغـــــة العربية ، حتى دفعتهم مجازر جمال باشا الســـــفاح الى الحركة الانفصالية والاتجاه الى اقامة دولة عربية .

(٢) وقد كانت أول دعوة لاقامة خلافة عربية ظهرت فى العصر الحديث هى (١) ما سطره الكواكبى الذى رمز لنفسه باسم (الشيخ الفراتى) فى كتابه « ام القرى » الذى صــــدر باللغة العربية عام (١٣١٦ هـ ١٨٩٨ م) (٢) والدعوة الى انشاء دولة عربية مســتقلة بانفصال الولايات العربية عن الدولة العثمانية بكتاب نهضة الامة العربية الذى صدر عام ١٩٠٥ فى باريس بقلم نجيب عازورى (٣) ثم كانت حركة توحيد الكنائس الكاثوليكية تحت اسم الكنيســـة الكاثوليكية العربية وترجمة الانجيل الى العربية ـ هذا وقد كانت اللغة العربية هى العامل الاول فى اتجاه العرب الى الخلاف والانفصال عن الدولة العثمانية اذ أثارت كثيرا من المشاكل ، ذلك لان اللغـــة

الرسمية فى الدولة كانت اللغة التركية فى جميع الولايات على حد سواء . فكانت لغة المعاملات الرسمية فى المحاكم والمدارس والتجارة على السواء

فلما اعلن الدستور العثمانى ١٩٠٩ ظن العرب ان فجرا من الحرية قد اشرق غير ان حزب الاتحاد والترقى الــــذى سيطر على الحكم بعد عزل عبد الحميد ١٩٠٩ كان من المؤمنين بالجامعة الطورانية وتتريك العناصر المشتركة فى الدول العثمانية واحياء امجاد طوران والاشادة بها . وقد بلغت هذه الدعوة غاية العنف ، وصــاحبها الازدراء بالعرب والاتجاه الى تطهير اللســـــان التركى من الالفاظ العربية ومحاولة استبدال اسماء الخلفاء الراشدين فى الشــــوارع والمؤسسات باسماء جنكيزخان وهولاكو وتيمورلنك

وكانت هذه مرحلة الخطر اذ احس العرب بان بقـــاءهم تحت سيطرة الاتراك انما هو افناء للقومية العربية ولابرز مقوماتها وهى اللغة العربية وقد أوغل الاتحاديون فى مجـــــابهة العرب بالعنف فارسلوا احمد جمال باشا احد قوادهم حاكما لدمشق حيث عـــلق احرار العرب وقادة دعوتهم على اعواد المشـــــانق (٢١ اغسطس ١٩١٥ و ٦ مايو ١٩١٦ فى دمشق وبيروت) وكانت دمشق مهد القومية العربية منذ أواخر القرن التاسع عشر حيث كونت الجماعات السرية المتعددة الاغراض لمقاومة الجائحة الطورانية . ومن ابرز هذه الجمعيات جمعية الاخاء العربى ١٩٠٨ . المنتـــدى الادبى ١٩٠٩ . العربية الفتاة ١٩١٢ . ــ اللامركزية فى مصر ــ الجمعية الاصلاحية ١٩١٣ جمعية العهد (عزيز المصرى والضباط السوريين والعراقيين) ١٩١٣ .

وقد اشترط ضباط جمعية العهد فى جميع الثورات العربية

التى قامت من بعد وهى : (ثورة الحجـــاز ١٩١٦ ـ ثورة العراق ١٩٢٠ ـ الثورة السورية ١٩٢٥) ٠

ومما يتصل بهذا انعقاد المؤتمر العـــربى فى باريس (١٧ حزيران ـ مارس ١٩١٣) وقد كان زعيما هذا المؤتمر (عبد الكريم الخليل وعبد الحميد الزهراوى) من اقطاب العرب الذين علقوا على اعواد المشانق وكان اهم قرارات مؤتمر باريس : « ان يكون مضمونا للعرب التمتع بحقوقهم السياسية وذلك بأن يشتركوا فى الادارة المركزية للمملكة اشتراكا فعليا وان ينشأ فى كل ولاية عربية ادارة لا مركزية تنظر فى حاجاتها ٠ واللغة العربية يجب أن تكون معتبرة فى مجلس النواب العثمانى ويجب ان يقرر هذا المجلس كون اللغة العربية لغة رسمية فاذا لم تنفذ هذه القرارات فالاعضاء المنتمـــون الى لجان الاصلاح العربية يمتنعون عن قبول أى منصب فى الحكومة العثمانية وأن هذه القرارات ستكون برنامجا سياسيا للعرب » ٠

وهكذا كانت قرارات المؤتمر ـ الذى اطلق عليـــــه مؤتمر اللامركزية ـ هى الضوء الكاشف لحركة القومية العربية التى تقوم عليها جمعية العربية الفتاة وكان أبرزها أعضاء المؤتمر : عبد الحميد الزهراوى ـ شكرى غانم ـ سليم على سلام ـ اسكندر عمون ـ احمد طباره ـ ندرة مطران ـ عبد الغنى العريسى ـ محمد محمصـــانى ـ عونى عبد الهادى ـ جميل مردم ـ شارل دباس ٠

وباجتماع هذا المؤتمر تخرج القضية العربية الى الدور العلنى بعد أن ظل العمل للقومية العربية قائما فى نطاق السرية ٠

وقد كانت « دمشق (اذ ذاك هى قاعدة حركة القومية العربية التى كانت حركتها تتجه الى المطالب بالـلامركزية كخطـــوة اولى للاستقلال ، غير ان الحرب العالمية الاولى لم تلبث ان اعلنت ١٩١٤ ودخلتها تركيا فى صف المانيا ٠ وفى نفس الوقت بدأت برنامجـا

ارهابيا في البلاد العربية وفي مقدمتها سوريا يقوم على اساس اقصاء الضباط العرب عن الاستانة والولايات العربية وقتـــل الحركة الاصلاحية وحل الاحزاب العربية وشراء بعض الخونة من الاقطاعيين

وارسل العثمانيون احمد جمال باشا حاكما لسوريا وقائدا للجيش العثماني الرابع في ٥ ديسمبر ١٩١٤ ـ وقد استهل جمـال باشا عمله استهلالا ماكرا خبيثـــا اذ سرعان ما تقرب من دعاة اللامركزية العرب ـ وكان هو من المتشبعين بالنزعة الطـورانية ـ وسعى لاستمالتهم واتصل برجالاتهم وزعمائهم وقربهم اليـه وكان في مقدمة هؤلاء عبد الكريم الخليل رئيس المنتدى الادبي وعبدالغني العريسي صاحب جريدة المفيد ٠

وعندما دعى جمال باشا في أوائل يناير ١٩١٥ الى حفـــل أقيم في النادي الشرقي لتـــكريم « عبد العزيز جاويش » وحضره شباب العرب ورجالهم اعلن خدعته الكبرى فقال : يجب عليكم يا ابناء العرب ان تحيو مكارم اخلاق العرب ومجدهم ، عضوا على عربيتكم بالنواجيز ٠ ودافعوا عنها بكل قواكم ، وعملوا على ترقية العـرب والعروبة ٠ وجددوا من نيتكم ٠ قوموا قناتكم ٠ كونوا رجـــالا كاملين ٠ ان البرنامج الذي عقدنا العزم على تنفيذه لاصلاح حـــال العرب لاوسع كثيرا مما يخطر ببالكم ٠ يجب علينا ان نعمل معا ٠ ان الاماني التركية والاماني العربية لا يتعارضان مطلقا ٠ فالتـــرك والعرب ليسوا سوى اخوان في غايتهم الوطنية وربما اكمل بعضهم مجهود البعض ٠ ان غرض رجال تركيا الفتاة هو ايقاظ الشعور الوطني في الامة وتدريب مواطنيهم على العمل ٠ وان هذين الشعبين مقضي عليهما بالفناء في اللحظة التي يتخاذلون فيها ٠ فالنـــزاع والخلاف بين عمـــودي الاسلام لابد ان يـــؤدي الى سقوط ذلك الدين ٠ وانه لمن اشـــد بواعـــث الاسف ان تنجح محاولات

الاعداء فى بذر الشقاق فعلى العرب والترك ان يحبوا بعضهم بعضا .

ولكن جمال باشا عندما اعلن هذه الخطة لم يكن صادقا ولا مؤمنا بما يقول فانه فى نفس الليلة أصدر أمرا بتفريق كتيبة ضباط العرب الشبان فى دمشق وعددها ثمانون ضابطامنخريجى المدارس العالية بعد ان ازعجته اناشيدهم الوطنية والحماسية وارسل اغلبها الى ميادين القتال فى الدردنيل والقوقاز وامر بوضعهم فى خط النار

... ولم تمض الا شهور قليلة حتى فوجىء الناس فى اواخر يونيه ١٩١٥ باعتقالات ضخمة فى دمشق وبيروت ، تمت هـــذه الاعتقالات على دفعات . وكان التحقيق يدور فى « ديوان عاليـة » سرا امام المجلس العسكرى . وكانت الجريمة هى مطالبتهم بكيـــان عربى على اساس اللامركزية .

وكان احمد جمال باشا قد انشا (ديوان حرب عالية) عـام ١٩١٤ على أثر وصوله الى سورية . ولم تكن محاكمات هذا الديوان تقام على اسس قانونية . وانما كان القائمون على العمل يدرسون نفسية القادم فاذا ثبت انه من الاذكياء الذين يخشى منهم أعدم ومعظم الذين نجوا من قبضة الديوان هم الذين تظاهروا بالبله وانكـروا نسبتهم العربية .

وقد حكم الديوان على دفعتين الاولى اعدمت فى بيروت فى ٢١ أغسطس تضم عبد الكريم الخليل وصالح حيدر (علبك) مســـلم عابدين (اللاذقية) نايف تللو (البقاع) محمد المحمصانى (بيروت) عبد القادر الخرسا (بيروت) محمود العجم (بيروت) سليم عبدالهادى (قضاء جنين) نور الدين القاضى . على الارمنازى . سيف الدين الخطيب . جلال النجارى ووجهت التهمة اليهم انهمكانوا منالداخلين فى جمعية « اللامركزية » وتشكيلاتها السرية . ونشر الدعايات لهـا

والمساعدة على ايجاد التفرقة بين الترك والعرب وقد اعتبروا نواب الجمعية عن بلادهم ٠

اما القضية الثانية التى نفذ الحكم فيها يوم ٥ ابريل ١٩١٦ فى بيروت ودمشق فى يوم واحد فقد كان شهدائها فى دمشـــق : عبد الحميد الزهراوى ٠ شفيق المؤيد العظم ٠ الامير عمر عبد القادر الجزائرى ٠ شكرى العسلى ٠ عبد الوهاب الانجليزى ٠ رشـــدى الشمعة ٠ رفيق رزق سلوم ٠ وفى بيروت فى نفس اليوم : سعيد عقل ٠ باترو باولى ٠ جرجس حداد ٠ عمر حمد ٠ محمد الشنطى توفيق البساط ٠ سليم الجزائرى ٠ امين لطفى عبد الغنى العريس الامير عارف الشهابى ٠ احمد طيارة ٠

كما نفى احمد جمال باشا وسجن واعدم ثلاثمائة اسرة من اسر الشام فى سورية وفلسطين ولبنان ٠ وقضى على اعضائها نساء ورجالا اذ ارسلوا الى الاناضول بعد مصادرة ممتلكاتهم واموالهـــم فوزعوا على مدنه وقراه فى قونيه وانقرة وديار بكر وبروسه واطنه وسيواس ٠ وكان الهدف من اقصاء هذه الاسر هو اضعاف العصبية العربية فى بلاد الشام وفصلها عن كيانها وذلك حتى تفقد قوميتها وتندمج فى الطورانية وقد نقلوا الارمن الى بلاد العرب ونقلوا العرب الى منازل الارمن فى الاناضول ٠

وقد بلغ من عسف هذه الاحكام ان عدلت اكثر من مرة ٠ كما اعترف بذلك « شكرى » بك رئيس الديوان ، حيث اعترف بانالحكم فى القضية الكبرى عدل اربع مرات بامر جمال باشا فكان فى كل مرة يخرج اناسا من قائمة المحكوم عليهم بالاعدام ويدخل غيرهـــم — كما سجل كثير ممن عاصروا هذه الفترة كيف تفنن جمال باشا فى وسائل التعذيب وذلك حتى يحمل المعتقلين من رجال العرب عـــلى الاعتراف والاقرار ٠ وكان اكثر من تناولهم بالتعذيب قادة الفكرة

من امثال : عبد الكريم الخليل وعمر حمد وعبدالغنى العريسى وشكرى الايوبى

غير ان ذلك لم يمكن العثمانيين من الحصول على مايريدون وقد ظلت اوراق جمعية العربية الفتاة السرية التى كانت فى عهدة الشهيد محمد المحمصانى مدفونة فى ضريح احد الاولياء فى بيروت .

وقد استهدف جمال باشا من اعدام احرار العرب التخلص من العنصر العربى المستنير والقضاء على الحركة العربية وهى فى المهد . كما اثبتت الوثائق الرسمية وجود صلة بين جمال باشا والارمن وتوسيطه اياهم لحمل الحلفاء على الاعتراف به سلطانا على تركيا فى مقابل قضائه على الدولة .

ولقد واجه الشهداء الموت فى رجولة وقوة وصمود وكانوا يهتفون :

نحن أبناء الالى شادوا مجدا وعلا
نسل قحطان الابى جد كل العرب

وصعد هؤلاء الابرار على اعواد المشانق تملؤهم ويحدوهم الايمان بصدق ما كانوا يدعون اليه راضية نفوسهم بهذا المصير الذى جعل منهم قوة تهز نفوس العرب وتدفعهم الى العمل وكانت عباراتهم — التى اطلقوها من فوق (ارجوحة الابطال) كما كانوا يسمون المقصلة — حارة مضيئة .

قال عبد الكريم الخليل : اشهدكم ايها القوم اننا لم نأت امرا فريا يوجب وقفتنا هذه . لقد ابى الاتحاديون الا ان يعلنوا عداءهم لهذا العنصر الكريم . واذا كان جمال باشا يتهمنا باضرام الثورة لاستقلال العرب فلابد من ضحايا لهذا الاستقلال ولنكن نحن اول الضحايا . وقال الشهيد محمد محمصانى :

« اشهد الله انى لم اخن وطنى دقيقة واحدة · وان ما فعلته وقمت به من الحركات التى اتهمت بها انما كان عن اعتقاد ثابت لا يتزعزع بانى اخدم بلادى وانى اموت شهيدا · »

وقال احمد طباره : « يريد الاتراك ان يخنقوا صوت الحرية فى صدورنا ولكنا نتكلم ونعلن للملأ أننا أمة حية تريد الاستقلال وتسعى للخلاص من نير الاتراك · انت يا ارض الوطن احفظى ذكرنا · وانت يا سماء بلادى احملى الى كل عربى سلام هؤلاء الابطال ·

وهكذا كانت (الشام) بؤرة القومية العربية فى هذه المرحلة: مرحلة مقاومة الاستبداد العثمانى ومن هذه الصورة تشكل اول طابع للقومية العربية ·

لقد كان الاعدام يتم فى وقت واحد فى (المرجه) اكبر ميادين دمشق و (ساحة البرج) - اكبر ميادين بيروت · وقد نصبت المشانق وسط الميدانين · ونفذ الحكم فى آن واحد قبل طلوع الفجر ·

وكانت مشانق جمال باشا مقدمة للثورة العربية الاولى وارهاصا لها فانه لم تكد تمر بضعة شهور حتى دخلت القومية العربية فى معركة جديدة كانت « الشام » عمادها وكانت دماء هؤلاء الشهداء وضياءها ·

فى هذه الفترة كان العرب يحددون موقفهم من العثمانيين ويرسمون مقدرات مستقبل ما بعد الحرب العالمية · والتقى شكرى القوتلى وفيصل بن الحسين فى دمشق أوائل عام ١٩١٥ وضم الاجتماع رجال جمعية العربية الفتاة ورسمت خطة الثورة العربية الاولى واتفق على شكل العلم العربى والوانه : وهو العلم الذى رفعته سورية بعد ان اعلنت استقلالها سنة ١٩٢٠ وكان مقررا اذ ذاك ان يتخذ كل قطر عربى هذا العلم نفسه ويضيف اليه نجمة جديدة ·

وقد أشار الرئيس جمال الى دور سورية في القومية فقال :
« لقد أكد شعب سورية مع تجارب الايام تجربة بعـــد تجربة ،
انه طليعة القومية العربية » .

ويحق لنا أن نشير هنا الى أن العراق اشتركت مع سورية
في الحركة العربية والثورة العربية وان ظلت مراكز القومية العربية
خارج العراق غير ان الضباط ــ العراقيين كانوا ينظمون معظــــم
الجمعيات السرية وكانت جمعية (عهد العراق) تدعو الى تحقيق نوع
من الارتباط بين سورية والعراق .

٢ ـ الحركة العربية بين الغزو المسلح والانبعاث الشعبى

انبعث أول صوت فى الحركة العربية ومقاومة العثمانيين من قلب الجزيرة العربية وهو صوت محمد بن عبد الوهاب اول عربى دعا الى تحرير العقيدة وربط بينه وبين محمد بن سعود فى حركة تعمل للتخلص من الحكم العثمانى . وقد وصلت قواتهم الى حدود العراق ١٨٠٢ . أما محمدعلى فقد وصل الى اطنه وطرسوس وقونيه (معاهدة كوتاهية ١٨٣٣) وقد كان محمد على فى رأى الكثيرين لايدافع عن العرب الذين عزموا عزما قاطعا على ازاحة نير الاتراك عن أكتافهم كما فعل اليونان والصربيون من قبلهم. وقال بولاكونت معتمد فرنسا السياسى ١٨٣٣ : ان ابراهيم باشا يريد أن يحيى مجد الامة العربية وقد ذكر عساكره أثناء حربه الاخيرة فى سورية بماضى الامة العربية المجيد ، وكان يطمع فى الاستيلاء على بغداد والعراق : وقول ابراهيم « انا لست تركيا ، لقد أصبحت الآن عربيا » ويمكن القول بأن وصول ابراهيم الى سورية وايمانه بقدرة العرب على تصريف أمورهم هو الذى دفعه الى أن يعلن الدعوة لقيام دولة عربية .

وعندنا ان محمد على فشل فى الحركة العربية لان نزعته كانت نزعة تركية ولم تكن عربية أصيلة . ولم تكن شخصيته من الحيوية والقوة بحيث يستطيع جمع القلوب فضلا عن انه كان يهدف الى احلال قيادته بدلا من القيادة التركية دون نظر الىالعوامل التعسفية التى يمهد بها للربط بين أجزاء الوطن العربى .

وكان أبرز أخطائه قضاؤه على الحركة العربية الوهابية بصرامة تدل على تغليب المطامع الخاصة ، فى الوقت الذى كانت

الحركة الوهابية انبعاثة عربية صـــحيحة ازعجت بريطانيا وتركيا معا مما حملهما على دفع محمد على للقضاء عليها كمقدمة للقضاءعليه وقد حاول العثمانيون التشكيك فى الحركة الوهابية واتهامها بأنها حركة كافرة ٠

ومن أسباب فشل محمـــد على اعتماده على دولة اجنبية هى فرنسا ـ وهو نفس الخطأ الذى وقـــع فيه العرب بقيادة الشريف حسين فى الاعتـــماد على بريطانيا ٠ ذلك ان فرنسا لم تلبث حين تيقظت أوربا الى خطر القوة الجديدة أن تجمعت مع مختلف الدول لتحطيم محمد على ، وقـد خذلته فى أحرج ساعات محنته وسحبت رجالها من جيشه وأسطوله وأفسدت عليه كل تدبير ٠ وكان ذلك من بين الخطوات التى قامت بها الدول الغربية التى نسيت خلافاتها لتتكاتف بزعامة بالمرستون وتيرينج وعمـــدت الى تحطيم الاسطول المصرى فى نفارين كمـا تحركت أساطيلها وقواتها تحمل المؤامرات الى شاطىء سوريا حيث بدأ العمـــلاء يقومون بحركة التخريب فى لبنان وسوريا ٠

وأعلن ـ اذ ذاك ـ بالمرســـتون فى ٢١ أزار (مارس) ١٨٣٣ « ان هدف محمد على الحقيقى هو اقامة مملكة عربية تضم جميـــع البلاد التى تتكلم اللغة العربية والمشروع سيؤدى الى تقطيع أوصال تركيا وهذا ما لاترضى عنه ، وانه لابد من عزل مصر حتى لا يجد العرب محورا كبيرا لتحريرهم » وذلك جريا مـــــع الخطة المرتبة لتمزيق الكيان العربى ، هذا التمزيق الذى تم بعـــد الحرب العالمية الاولى ٠

وكانت الحجة التى تذرعت بها بريطانيا : ان حكم محمد على حكم فردى تعسفى وانه لا يقوم على قاعـــدة شعبية ٠ وان اى نظام يمكن أن يقام فى المنطقة العربية سيتحطم بعد وفاة محمد على الذى كان قد بلغ ذروة السن ٠

والحق ان محمد على كان محاربا طموحا • ولم يكن يؤمن بالقومية العربية ولم يأخذ بأسبابها • وانه كان يفكر على مستوى « الامبراطوريات » وانه أيضا عمد الى اقامة الوحدة على أساس الغزو المسلح وليس على أساس الانبعاث الحقيقى من ضمير الامة •

وقد استفاد الاستعمار من تحطيم الحركتين الوهابية والمصرية سيطرته على المنطقة حتى الحرب العالمية الاولى عندما وضع يده عليها وأصيبت القومية العربية بنكسة امتدت ٧٥ سنة •

وقد أصبحت سورية بعد ارغام محمد على على الانسحاب من سورية مسرحا للفتنة الطائفية ووضع جبل لبنان تحت رقابة دولية للحيلولة دون تفرد فرنسا بمعالجة أزمة ووضع نظام خاص لادارة جبل لبنان ١٨٦١ غير ان الموقف بالنسبة للحركة العربية لم يلبث ان تطور وبدأ يأخذ صورة أشد واقعية حينما بدأت الحركة العربية فى سورية منبعثة من الامة نفسها • تبين ذلك من وثيقتين خطيرتين هما : منشور الجمعية الوطنية العربية عام ٩٠٦ التى تصور مفهوم القومية فى هذه المرحلة الاولى لدخولها مرحلة (الحركة)يقول :

« ان الامة العربية التى قسمها الاتراك طوائف ومذاهب حتى تم لهم ان يسوموها سوء العذاب قد انتبهت من غفلتها • فعرفت ان لها قومية وطنية تاريخية جنسية فهى تحاول أن تنفصل عن تلك الشجرة التركية النخرة وتنشىء لها ملكا عربيا مستقلا ولهذه الدول حدود طبيعية تبتدىء من دجلة والفرات الى برزخ السويس ومن البحر المتوسط الى بحر عمان » •

كما يضع قرارات مؤتمر اللامركزية بباريس (١٩١٣) ملامح القومية العربيةفى فجر تبلورها الحديث وهو مفهوم يتميز بالواقعية والايجابية والتطور • كان قوام هذه الاسس :

١ ـ ان الحركة ليست لها صفة دينية

٢ ـ ان للعرب حق الجماعة ، تجمعهم وحدة اللغة والتاريخ والعادات والمطمح السياسى

٣ ـ ان الامة العربية متضامنة ومترابطة فى مصالحها ٠

٤ ـ العرب هم كل ناطق بالضاد ٠

وقد صور هذا (عبد الغنى العريسى) فى خطابه بقوله :

هل للعرب حق جماعة؟؟ ان الجماعات فى نظر علماء السياسة لا تستحق هذا الحق الا اذا اجتمعت على رأى علماء الالمان ـ على وحدة اللغة ووحدة العنصر ٠ وعلى رأى علماء الطليان : على وحدة التاريخ ووحدة العادات ٠ وعلى مذهب الفرنسيس : على وحدة المطمح السياسى فاذا نظرنا الى العرب من هذه الوجوه الثلاثة علمنا ان العرب تجمعهم وحدة لغة ووحدة تاريخ ووحدة عادات ووحدة مطمح سياسى ٠ فحق العرب بعد هذا ان يكون لهم رأى كل علماء السياسة دون استثناء : حق جماعة ٠ حق شعب ٠ حق أمة ٠ وأول حق لجماعة الشعوب حق الجنسية فنحن عرب قبل كل صبغة سياسية حافظنا على خصائصنا وميزاتنا وذاتنا منذ قرون عديدة ، رغما مما كان ينتابنا من حكومة الاستانة من أنواع الادارات، كالامتصاص السياسى أو التسخير الاستعمارى أو الذوبان العنصرى ، فكل ما تذرعت به الاستانة من الوسائل لم يؤد الى غير نتيجة واحدة ، وهو الحرص على مكانة حق الجماعة واحياء الحس الشريف النبيل ، حس الجنسية ، فأقتفاء للماضى نقرر ما يؤول الى احياء هذه القومية ، والتذرع بكل ما فيه حياة لخصائص العرب وميزات العرب فنحن كتلة حية قائمة بذاتها ، وخاصتها لا تدع أية قوة تمس هذا الركن الركين »

وقال أحمد طباره : نحن نعنى بالعرب كل ناطق بالضاد لا فرق بين المسلم وغير المسلم ٠

وقال ندره مطران : العرب متحمسون بالجنس قبل الدين ، وهى فضيلة الشعوب الحية التى لاتريد ان تموت • افخر بان الامة مسلمة غير مسلمة متضامنة ومترابطة فى مصالحها وتنبذ بكل قوتها كل حركة من شأنها تدخل الغريب فى أحكامها •

وقال عبد الحميد الزهراوى : ان فكرة الاتحاد بين المسلمين وغير المسلمين قد ولدت • وان الرابطة الدينية عجزت دائمـــا عن ايجاد الوحدة السياسية » •

وهكذا رسمت القومية العربية أولى ملامحها

٢ ـ وكانت الحركة قد خطت خطوتها فى هـــذا العديد من الجمعيات السرية التى كان على رأسها عزيز المصرى وشكرى القوتلى ومحب الدين الخطيب وعبد الكريم الخليل وسليم الجزائرى ومحمد المحمصانى ومصطفى الشهابى وهاشم الاتاسى وطه الهاشمى وياسين الهاشمى وعشرات غيرهم • وقد تحولت هذه الجمعيات الى جمعيات علنية وأحزاب بعد اعلان الدستور العثمانى ١٩٠٨ ومما يـذكر ان هذه القوة الوطنية كانت تمثل سورية والعراق •

٣ ـ وخطت الحركة خطوتها الثالثة فى عالم الفكر : فكانت حلقة طاهر الجزائرى وحلقة محب الدين الخطيب وكان قوامهمـــا حماية اللغة العربية والتراث العربى من عدوان العثمانيين والاتحاديين بالذات فى دعوتهم الى سحق الكيان العربى ، وارتبط هذا بكتابات عبد الرحمن الكواكبى فى « طبائع الاستبداد » وصرخته فى مقاومة الظلم والاستعباد • وقد كان أبرز ما اتجه اليه هو دعـوة المسلمين والنصارى من العرب الى الاتحـــاد وتناسى الاحقاد والاتفاق على الوحدة •

وقد ندد الكواكبى بالحكومة العثمانية وأعلن أن للعرب حقوقا مهضومة وصدر فى هذه الفترة كتاب « يقظة الامة العربية » لنجيب

عازورى دعا فيه الى فصل الولايات العربية عن الدولة العثمانية على ان تقوم فى الشام والعراق دولة عربية واحـــدة على اساس حديث وصدرت مجلة (استقلال العرب) ١٩٠٧ ٠

وبينما كانت دمشـــــق مركز الحركة العربية كانت القاهرة مركزا لحماية الحركة العربية فى هذه المرحلة ، ففيها تجمع أحرار العرب من جميع الاجزاء العربية الذين فروا من ظلم واســـــتبداد العثمانيين وبهـــــا قامت الاحزاب والجماعات العربية ووجدت فى الصحافة المصرية مجالها لارسال آرائها ونفثات الحرية التى كانت تحرم دمشق وبغداد وبـــيروت اذاعتها وبصحفها نشرت قصـــائد المقاومة والحرية والعروبة لشعراء الشام والعراق ٠

وهكذا وقع تطور حركى فى القومية العربية : انها انتقلت من غزو مسلح ١٨٣٠ – الى انبعاث شعبى ١٩٠٦ ٠

٣ ـ حركة انفصال العرب عن الدولة العثمانية

انفصلت مصر عن الدولة العثمانية ١٨٨٢ وكانت الجزائر قد انفصلت ١٨٣٠ وتونس ١٨٨١ وطرابلس ١٩١١ وبذلك انفصـــل الجنـــاح الافريقى من الامة العربية قبـــل الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) أما الجناح الآسيوى فقد ظـــل تحت سيطرة الدولة العثمانية حتى عام ١٩١٧ ٠

وفى خلال هذه الفترة السابقة للحرب العـــالمية الاولى كانت مصر وتونس والجزائر وليبيا تقاوم الاستعمار الغربى ولا شك ان هذه المقاومة للاستعمار كانت فى مضمونها خطوة فى سبيل الحرية فالوحدة العربية ٠

أما فى المنطقة العربية الواقعة تحت سيطرة الدولة العثمانية (الحجاز ـ الشام ـ العراق) فقد كان للموقف صورة أخرى ، هى ما اجملنا تطور الحركة العربية بها ٠٠

وكانت الدولة العثمانية قد انضمت الى ألمانيا بعد اعـــلان الحرب العالمية وحاولت جر العرب معها ، وكانت أعمال أحمد جمال باشا فى سورية محاولات للضغط على العرب ، هنالك بحث العرب الامر فى جمعياتهم القومية السرية فى الشـــام والعراق ٠ واوفدت جمعية العربية الفتـــاة بعض مندوبيها الى مصر ونجـــد والحجاز للمشاورة فى الموقف الـــذى كان فى جملته واد القومية العربية وضربها بعد دخولهم الحرب الى جانب المـــانيا وأجمعت الآراء على ضرورة الثورة على الاتراك والانفصال عنهم خاصة بعـــد أن زادت جرائم جمال باشا التى تعددت وكان منها الهجرة الاجبارية كمـــا بينا ومحاولة تجويـــع العرب باحتكار الحبوب وسائر الغلات حتى

بلغ سعر كيلو القمح (نحو نصـــف جنيه مصرى) وبذلك قامت المجاعة وهلك الالوف من أهالى الشام جوعا حتى بلـــغ ثلث سكان لبنان ٠

وقد رأى العرب ان أصلح مكان لقيام الثورة هو الحجاز نظرا لان سورية والعراق كانتا محكومتين بدكتاتورين عثمانيين قـوبى الشكيمة ومعهما من قوات الاتراك مايمكن من قمع أى حركة ثورية فضلا عن نفى الضباط العراقيين والسوريين الى الدردنيل والقوقاز والنقب والبصرة والبلقـــان ٠ أما نجد واليمن فلم يكونا يصلحان للثورة ٠ أما الحجاز فكان بها الشريف حسين وكان ابنه فيصل على اتصال بالجمعيات السرية فى ســـــورية وكان على رابطة بجمعية العربية الفتاة منذ عام ١٩١٥ وكان فيصل على وشك أن يقبض عليه عند مروره بسوريه لولا ان افلت بحجة التفاهم مع والده على تنظيم أمر المتطوعين العرب فى الجيش العثمانى ٠

وكانت بريطانيا قد اتصلت بواسطة اللورد كتشنر بالشريف حسين فى مكة منذ بدء الحرب العالمية الاولى (يوليو ١٩١٤) تسأل عن موقف العرب من هذه الحروب بعـــد أن ظهرت نية تركيا فى الانضمام الى جانب ألمانيا ٠

وانتهزت بريطانيا الفرصة فأكدت وعـودها بمساعدة العرب على تحقيق أهدافهم فى نيل حريتهم واقامة دولة عربية ٠ وقد دارت محادثات بين بريطانيا والعرب ممثلة فى الشريف حسين عن العرب ـ ومكماهون ممثل بريطانيا فى مصر استمرت عاما كاملا، كان الاتراك خلاله قد مزقوا الجماعات العربية فى ســـوريا والعراق وسجنوا وقتلوا كثيرا من الاحرار ٠ وقد اعترفت بريطـــانيا فى مراسلاتها باستقلال البلاد العربية فى جزيرة العرب والعراق وجزء من الشام واعترفت بأن مقاطعات دمشق وحمص وحماه وحلب عربية وأبعدت



الاسكندرية ولبنان • ولذلك احتفظت بحقـــوق فرنسا فيهـــا واحتفظت لنفسها بحقوق وبادارة خاصة فى العراق • وحققت عدم مس المعاهدات المعقودة بينها وبين أمراء العرب وهى المعاهدات التى تضمن لها حماية أجـــزاء من جزيرة العرب كالكويت والبـــحرين ومحميات عدن وغيرها • وقد جرت هذه المحادثات خلال عـــام ١٩١٥ ـ ١٩١٦ •

وهذه بعض نصوص الاتفاقية التى وقعها مكماهون والشريف حسين :

تتعهـــد بريطانيا بتشكيل حكومة عربية مستقلة بكل معانى الاستقلال فى داخليتها وخارجيتها على أن تكون حدودها شرقا من خليج فارس ومن الغرب بحر القلزم (البحر الاحمر) والحـــدود المصرية والبحر الابيض وشمالا حدود ولاية حلب والموصل الشمالية الى نهر الفرات ومجمعة من الدجلة عند مصبها فى بحر فارس عـــدا مستعمرة عدن فانها خارجة عن هـــذه الحدود وتتعهـــد الحكومة البريطانية برعاية المعاهدات التى اجرتها بريطانيا العظمى مـــع اى شخص كان من العرب فى داخل هـــذه الحدود فى رعاية وصيانة تلك الحدود وتلك الاتفاقية •

ثم أعلن على أثر ذلك الشريف حسين الثـــورة (٨ حزيران «يونيو» ١٩١٦) بالهجوم على أطراف المدينة وأصـــدر منشوره فى ٢٦ حزيران (يونيو) ١٩١٦ وبدأت الحـــرب بين العرب والاتراك وتشكل مجلس الثورة من الحسين وأبنائه على وعبد الله وفيصـــل وزيد وجعفر العسكرى ونورى السعـــيد وفوزى البكرى ونسيب البكرى وعبـــد الرحمن شهنبد وأبناء العسلى والمؤيد وعزيز على المصرى •

وتدفق المتطوعون من كل فج وصوب على الحجاز الذى أصبح

مهد الثورة من العراق وسورية واليمن وفلسطين • غير ان الانجليز لم يكونوا جادين فى وعدهم ولا مخلصين لما اتفقوا عليه لانهم بعـد أن اطمأنوا الى اعلان العرب لعداوتهم للترك حصروا الثـــورة فى دائرة ضيقة لا تتعدى الحجاز نفسه • وقـد قام العرب فى سورية وبغداد بالثورة • ويقول الامير مصطفى الشهابى : يخطىء من يظن أن الثـورة العربية قامت على أكتاف الحسين بن على الهاشمى وآله وحدهم • فالحقيقة ان تلك الثورة كانت ثـــورة الشعوب العربية التابعة للدولة العثمانية وقد بلغ الجيش النظامى المدرب فى أواخر أيام الثورة نحـــو عشرة آلاف جندى معظمهم ومعظم ضباطهم من الشاميين والعراقيين ما عدا آلاف المقاتلة من قبائل الحجاز » •

وقد استولت الثورة العربية على جـــدة ١٦ حزيران (يونيو) ١٩١٦ ووصلت الى العقبة (٦ تموز «يوليو» ١٩٥٧) وكانت هـــذه نهاية معركة الحجاز ، ثم اتحدت قيادة الجيش العربى مـع الجيش الانجليزى فى معارك جنوب فلسطين وأصبح جيش الشمال بقيادة فيصل تابعا لقائد جيش الحلفاء فى الحملة العربية الجنرال اللنبى • وقد استولى الجيش الانجليزى على القـدس فى أواخر ١٩١٧ وفى أول تشرين (اكتوبر) ١٩١٨ دخل الجيش العربى دمشق قبـــل الجيش الانجليزى ودخل حلب ٢٥ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٨ـ وعقدت الهدنة بين الترك والحلفـــاء فى ٣٠ تشرين أول (اكتوبر) ١٩١٨ وبذلك انتهى حكم الاتراك فى البلاد العربية •

٤ ـ سقوط الامة العربية

تحت الاحتلال الغربى
اتفاق سايكس باكو ١٩١٦
وعـــد بلفـــور ١٩١٨

كان الجناح الافريقى للامة العربية قد سقط تحت الاحتـلال الفرنسى والبريطانى والايطالى قبل الحرب العالمية وبانتهاء الحــكم التركى للجناح الآسيوى فى (٣٠ تشرين الاول «اكتوبر» ١٩١٨) يكون العالم العربى كله قد سقط تحت الاحتلال البريطانى والفرنسى والايطالى ذلك أن بريطانيا والحلفاء فى نفس الوقت الــذى كانت تفاوض فيه العرب محادثات الشريف حسين ـ مكماهون على قيـام دولة عربية بعد الحرب العالمية كانت تقوم بعقـــد اتفاقية سايكس بيكو ١٩١٦ (١) لتقسيم المنطقة العربية بين بريطانيا وفرنســـا باعتبارها (مناطق النفوذ من أملاك تركيا العثمانية) .

وكانت بريطانيا قد أمدت الشريف حسين ببعثة عســكرية وكميات وافرة من الذخيرة كما أمدت فيصل بالكابتن لورنس الذى كان يرى فى فيصل « زعيم النهضة العربية » وأصـــبحت البعثة العسكرية هى الهيئة الاستشارية لجيش الشمال الـــذى يقوده فيصل متجها الى العقبة وذلك فى نفس الوقت الـــذى كان اللورد اللنبى يقود جيشا يمكن لمركز بريطانيا فى فلسطين كانت قـــوة

---

(١) الواقع ان اتفاقية سايكس بيكو عقدت فى ٨ مايو ١٩١٦ م بينما اعلنت الثورة العربية يوم ١٠ مايو ١٩١٦ ومعنى هذا أن بريطانيا كانت تتفق مع العرب على قيام حكومة عربية فى نفس الوقت الذى تقتســم فيه هـــذا الوطن مع حلفائها .

بريطانية فى العراق تعمل لاجلاء الترك • وحملة اخرى فى البحرين – وقد تمكن الجنرال مود من اقتحام بغداد واحتلالها قبل وصول فيصل الى العقبة بشهر واحد •

وفى نفس الوقت الـــذى أقام فيه الانجليز العقبات فى وجه الجيش العربى عملا على الحد من توسعه ومحاولة حصره فى الحجاز، أسرع اللورد اللنبى بالزحف واستولى على القـدس • وأعلن كلمته المتعصبة الجائرة حين قال : « الآن انتهت الحرب الصليبية » وظل العرب يجـاهدون ثلاث سنوات (حزيران «يونيو» ١٩١٦ – تشرين الاول «اكتوبر» ١٩١٨ فما ان دخلوا فلسطين وسوريا بعـــد العناء الشديد واجه اللورد اللنبى قائد الجيوش البريطانية الامير فيصـــل ممثل الثورة العربية بالامر الواقع الاليم وأعلن أن هنـــاك معاهدة موقعة بـــين انجلترا وفرنسا لتقسيم ســــوريا ولبنان وفلسطين والعراق •

وقد سجل أمين سعيد فى كتابه (الثورة العربية) ان طمـع الانجليز فى احتلال فلسطين والعراق وطمع الفرنسيين فى احتـلال الشام (سوريا ولبنان) جعلهم يقاومون تقدم العرب ويعملون على تضييق الدائرة عليهم فلا تتجاوز الحجاز لولا ميل الامير فيصــــل الشديد الى انقاذ الشام والحاح جيشه عليه وتهديده بالعصيان لما أجازوا له التحول الى الوجه • ولما وصل العقبة ولظــــل يدور فى الدائرة الضيقة التى رسمت له وهى الحجاز •

وقد حاول العرب أن يؤكدوا الاتفاق الذى تم بينهم وبـــين بريطانيا (مفاوضات حسين مكماهون) فانكرت بريطانيا وجـــود هذه الاتفاقية كل الانكار • وقالت انه لا يوجد عهد أو كتاب ينطبق مع هذا التصريح (من حديث لفيصل مع جريدة المفيد الدمشقية فى ١٥ فبراير ١٩٢٠) •

وخلاصة اتفاق سايكس بيكو (مايو «ايار» ١٩١٦) هو :

١ ـ اقامة دولة عـــربية مستقلة أو عصبة دول عربية فى منطقتين : (الاولى) تحت النفوذ الفرنسى وتشمل ســورية الداخلية (دمشــــق وحمص وحماه وحلب ودير الـــزور والجزيرة) وولاية الموصل • و (الثانية) تحت النفوذ الانجليزى وتشمل العقبة وشرق الاردن ـ والقسم الجنوبى من بادية الشام والاراضى الواقعة بين بغداد والموصل مثل كركوك وأطرافها •

٢ ـ يرأس هذه الـــدول رؤساء من العرب ويكون لكل من بريطانيا وفرنسا فى منطقة نفوذها حق الرجحان فى منح القروض المالية وتعهد المشاريع الاقتصادية • وتقديم المستشارين والموظفين الاجانب الذين تطلبهم الدولة العربية •

اطلاق يد فرنسا فى لبنان وسواحل الشام • ويد انجلترا فى ولايتى بغداد والبصرة وتقام فى فلسطين ادارة دولية يعين شكلهابعد الاتفاق مع الحلفاء الآخرين وممثلى شريف مكة •

٤ ـ تمنح انجلترا ميناىء حيفا وعكا •

٥ ـ جعل مرفأ الاسكندرونه حــــرا مفتوحا لتجارة انجلترا ومرفأ حيفا مفتوحا لتجارة فرنسا » وأن تكن بريطانيا قـــد أخفت اتفاق سايكس بيكو الذى عقد فى (أيار «مايو» ١٩١٦) الى انانتهت معركة اجلاء العثمانيين فى ٣٠ تشرين أول «اكتوبر» ١٩١٨ فانهــا لم تخف تصريحا آخر أشد خطورة أعلن فى ٣ تشرين الاول«نوفمبر» ١٩١٧ على هيـــئة خطاب موجه من اللورد بلفــور وزير خارجية بريطانيا الى اللورد روتشلد اليهودى المعروف بشأن قيام « الوطن القومى » فى فلسطين • وهذا نصه :

« يسرنى أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالة الملك انها تنظر

بعين الرضى والارتياح الى المشروع الذى يراد به انشاء وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين • وتبذل خير مساعيها لتحقيق هـذا الغرض • وليكن معلوما انه لا يســمح باجراء شيء يلحق الضرر بالحقوق المدنية والدينية التى للطوائف غـير اليهودية الموجودة فى فلسطين أو بالحقوق التى يتمتع بهـا اليهود فى البلدان الاخرى وبمركزهم السياسى » •

وبهذين الاتفاقين تحطمت الحركة العربية وبدأت معركة مقاومة الاحتلال الغربى التى حجبت القومية العربية أكثر من خمسـة عشر عاما • وكان لابد لبروز الحركة العربية مرة اخرى من اجتياز مرحلة التحرر ومقاومة الاستعمار وقد حفلت هذه الفترة (١٩١٨ ــ ١٩٣٣) بالثورات العربية المتلاحقة فى كل الوطن العربى وكان لابد من التحرر قبل الوحدة • وانسارت الدعوتان معا فى أكثر أجزاء العالم العربى •

ونحن نؤمن بأن مرحلة المقاومة للاستعمار جزء من حركة القومية العربية ذلك ان عملية تمزيق الوطن العربى وتجزئته والتآمر عليه فكريا وثقافيا وعسكريا انما كانت خطة موجهة ضد الوحدة العربية •

٥ ـ الاستعمار البريطاني الفرنسي الصهيوني

دخلت الامة العربية بعد انتهاء احتلال العثمانيين للعالم العربي في ٣٠ تشرين الاول «اكتوبر» ١٩١٨ واعلان اتفاقية سايكس بيكو تحت الاستعمار الغربي على النحو الآتي :ـ

الاحتلال الصهيوني :

فلسطين (وقعت تحت انتداب بريطانيا التي أعدتها لتكون دولة صهيونية بعد الحرب العالمية الثانية) ٠

الاحتلال البريطاني :

العراق ـ فلسطين ـ الاردن ـ مصر ـ السودان ـ محمية عدن والبحرين ـ والكويت ـ قطر ـ ومشيخات الساحل ـ وسلطنة مسقط ـ وعمان ٠

الاحتلال الفرنسي :

سورية ـ لبنان ـ تونس ـ الجزائر ـ مراكش ٠

الاحتلال الايطالي :

ليبيا ـ (برقة ـ طرابلس ـ فزان) ٠

ولم تبق خارج نطاق الاحتلال سوى : الحجاز ونجد (المملكة العربية السعودية) واليمن : وهي الأجزاء التي تحررت من الحكم العثماني ولم تقع تحت سيطرة الاحتلال الغربي ٠

وقع الخلاف بين العرب والانجليز على أثر اعلان اتفاقية سايكس بيكو التى كانت تكذيبا قاطعا لتصريحات لورنس التى طالما أعلنهـــا وهى ان انجلترا ستحافظ على كلماتها لفظا ومعنى ٠ واستفحـل الخلاف بين انجلترا والشريف وكان هذا الخلاف قد بدأ على اثر اعلان الثورة عندما أطلق على نفسه ملك العـــــرب فى ٢٩ أكتوبر ١٩١٦ ورفضت بريطانيا وحاول الانجليز تصفية ما بينهم وبين الملك حسين بمعاهدة رفضها الشريف لانها تتضمن الاعتراف بوعد بلفـــــور فى فلسطين ٠

واعلن الشريف رأيه فى مسألة فلسطين والصهـــيونية بدون تحفظ ودعا العرب الى مقاومة وعد بلفور فى جريدة القبلة التى كانت تصدر فى مكة (٢٩ أكتوبر ١٩٢٢) وفى ١٠ ديسمبر ١٩٢٣ أعلنت بريطانيا ان المفاوضات الدائرة بينها وبين ملك الحجاز قد انتهت وان انجلترا تخير العرب بين أمرين : فأما ان تدخل فلسطين فى المعاهدة وتنص على قبول وعد بلفور بعد تفسيره تفسيرا رسميا بأنه لا ينطوى على انشاء حكومة يهودية فى فلسطين التى تكون موطنا عاما لليهود ٠ وأما اخراج فلسطين نهائيا من المعاهدة والسكوت عليها وانشاء الاتحاد العربى من العراق وشرق الاردن والحجاز ـ ولكن الشريف رفض ذلك وطالب بمفاوضات جديدة ٠

وفى ابان هذا الخلاف هاجم السعوديون الحجاز واحتلوا الطائف واضطر الملك حسين الى التنازل عن العرش ٠ وكان حسين قد بايع لنفسه بالخلافة فى ١٢ مارس ١٩٢٤ فى عمان ولعل هذا هو ما عجل بنهايته ٠ وكتبت جريدة التيمس تقـــول « لو وقع الشريف حسين المعاهدة لانقذته انجلترا من ابن السعود » ٠

ولقد أخذ المؤرخون على حركة الهاشميين التى قام بها الشريف حسين اعتمادها على مؤازرة بريطانيا ٠ وانهم تحولوا سريعا من حـــــركة

تحريرية الى مطامع الحكم والمناصب • وان حركتهم لم تكن ثورية أو نضالية ولذلك لم تلبث أن انطفأت • وانعزل الامراء عن الشعب • ومن رأيهم أن تخلى القيادة الهاشمية عن الاهداف المثلى التىأناطتها بهم الامة العربية هو الذى عجل بانهيارهم • كما أخذ المؤرخون من جانب آخر على الشريف استئثاره بالحكم وتفرده بالعمل وتجاهله روح العصر واهماله اعداد القوى والمعدات • وأخذوا علىفيصلحله للجيش السورى بعد تصريح القائد الفرنسى غورووانه ترك ميدان المعركة بعد تحرك الجيش الفرنسى الى حدود سوريا ، وكان الانجليز قد اتفقوا معه على استبدال عرش بعرش • ووعدوه بأن يصبح ملكا على العراق وهيأوا له الفرصة لذلك بابعاد شقيقه عبد الله عنعرش العراق وخلق امارة شرق الاردن له •

وقد كذب الانجليز أنفسهم وخانوا وعودهم عندما أعلن الجنرال مود فى منشوره الى أهالى بغداد أن الحلفاء دخلوا سـورية والعراق « محررين لا فاتحين » •

فأصدر مؤتمر الصلح قرارا فى ٣٠ كانون الثانى « يناير ١٩١٩ يقضى بأن تفصل سورية ولبنان والعراق وفلسطين وارمينيـة عن تركيا وان تصبح تحت الانتداب وكان شكرى غانم رئيس الجمعية السورية فى باريس قد سمح له بالـكلام فى مؤتمر الصلح فطالب بأن تكون سورية تحت اشراف فرنسا كما طـالب مندوب لبنـان بوضعها تحت اشراف فرنسا • وطالبت بعض العناصر فى شرق الاردن وضعها تحت اشراف بريطانيا • .

وتحقق فى مؤ تمر سان ريمو (١٩٢٠) فرض الانتداب الفرنسى على سورية وذلك بعد أن أعلن فيصل ملكا على سورية ولم يلبث الجنرال غورو أن وجه انذاره المعروف الى الحكومة السورية وتابعه بزحف الجيش الفرنسى على دمشق •

ووقفت سورية فى وجه الجيش الفرنسى بقيادة « يوسف العظمة »

فى ميسلون ومرت قوات فرنسا على أجساد الشهداء . وكان فيصل قد أمر بتسريح الجيش فاستشهد ثمانمائة ودخلت فرنسا دمشق فى ٢٤ يوليو « تموز » ١٩٢٠ .

وبدأ الانتداب فى سورية ولبنان .

وقد اختلف فهم العرب والبريطانيين للحركة العربية فى هذه المرحلة فقال العرب فى أحد قرارات المؤتمر السورى المنعقد فى ٧ مارس ١٩٢٠ بأن « الأمة العربية لم تقم جمعياتها وأحزابها السياسية زمن الترك بمواصلة جهادها السياسى ولم ترق دماء شهدائها وتثر على حكومة الاتراك الا طلبا للاستقلال العام والحياة الحرة بصفتها أمة ذات وجود مستقل وقومية خاصة .

وفى نفس الوقت قال الجنرال ويفل قائد القوات البريطانية ان ثورة العرب ١٩١٦ كانت ذات قيمة عظيمة للقيادة البريطانية فقد قطعت خط الرجعة على القوات التركية فى الحجاز وفى جنوب جزيرة العرب كما أمنت الجناح الأيمن للقوات البريطانية الزاحفة الى فلسطين . »

وتكشف هذه الخطوط ان هذه المحاولة فى سبيل اقامة الدولة العربية قد لقيت الفشل نتيجة لعوامل متعددة كان ابرزها الاعتماد على بريطانيا والارتباط بها وتسليم قيادها الى الهاشميين فأخذت طابع استرداد العروش ولم تعتمد على الأمة العربية . لم تأخذ جانب الحيطة والحذر بابراز وثائقها وتأكيدها فى المجال العالمى قبل القيام بالثورة . فاستبدلت الاستعمار الغربى بالحكم العثمانى . وتمزقت الى قطع واشلاء متناثرة .

ولقد كانت خطة الاستعمار واحدة ، فى الغاية وان اختلفت فى المنهج والاسلوب وكان اختلافها هذا جزءا من الخطة التى تهدف الى تغيير الحكم والثقافة والاقتصاد مما يجعل من العسير عودة هذه الاجزاء الى وحدتها .

٦ – الاستعمار البريطانى (١)

عدن والخليج العربى ١٨٣٩

مصر ١٨٨٢

السودان ١٨٩٨

العراق ، فلسطين ، الاردن ١٩١٨

كانت بريطانيا قد رسمت سياستها بالنسبة لمقاومة حركة الوحدة العربية باعتبارها الخطر الذى يهدد نفوذها ومطامعها منذ وقت بعيد ٠ منذ حاولت ١٨٠٧ احتلال مصر عندما هاجمت حملة فريزر الشاطىء المصرى عند رشيد وردت عنه منهزمة ثم استيلائها على عدن ١٨٣٩ حيث أخذت تسيطر على مشيخات الخليج الفارسى واماراته وعقدت معها معاهدات واقامة حراسة بحرية ثم عارضت حفر قناة السويس فلما تم انشاؤها أسرعت بشراء أسهم مصر سرا فى

« ١ » الاستعمار ترجمة لكلمة (امبريالزم » وهو لفظ اصطلاحى بحث وقد ادعى الغرب حين اتجه الى السيطرة على العالم والتوسع بأنه انما يحمل معه التعمير وضياء المدنية الحديثة ٠ وجعل له حق «تمدين» الشعوب المختلفة وترقيها وقد جعل الرجل الابيض من حقه ان يسيطر على الرجل الملون وفق نظريات ثبت بطلانها عن الاجناس الارية وعظمتها والسامية وانحطاطها ، والاستعمار فى معناه المعروف الآن هو السيطرة وبسط النفوذ بالقوة الحربية والوسائل الاخرى الفكرية والاقتصادية والاجتماعية التى تجعل القطر المستعمر قاصرا عن بلوغ الحرية مع العمل المستمر على التجزئة والحيلولة دون التقاء عناصره الداخلية أو التقائه مع الاجزاء الاخرى التى تتكون منها امته فى محاولة مستمرة لعزله ٠ وتجويعه والحيلولة بينه وبين العلم والحرية والقوة وابادته ومسخ قوميته بتغليب عناصر اجنبية عليه (اقرأ « الاستعمار والمذاهب الاستعمارية » للدكتور محمد عوض محمد (والاستعمار) للامير مصطفى الشهابى) ٠

شبه مؤامرة وبأسلوب أشبه بالغدر • وكان هذا كله مقدمة لاستيلائها على مصر سنة ١٨٨٢ فأصبح بيدها منافذ قناة السويس والخليج الفارسى •

وفى خلال تاريخ طويل قاومت كل تغيير فى المنطقة وجمدت موقف تركيا العثمانية وقاومت الحركة الوهابية وحركة ابراهيم باشا ليمر العالم العربى فترة تحت ضربات معاول الهدم والتمزيق حتى يتحقق لها السيطرة عليه •

فقد تم لقناصل بريطانيا عن طريق حاكم القسطنطينية احراز امتيازات ضخمة فى العالم العربى كما عقدت معاهدات ولاء مع حاكم نجد وجرت تفاهما مع الشريف حسين قدمت فيه اتفاقية ثبت من بعد زيفها ورفضت بريطانيا الاعتراف بها وبذلك حلت محل الدولة العثمانية فى كل مكان أجلى العرب قواتهم عنها فى العالم العربى • وفرضت لاسرائيل وضعا غير شرعى فى فلسطين بتصريح بلفور وأيدته ودعمته بصك الانتداب وحكم هربرت صموئيل أول مندوب بريطانى يهودى الاصل فى فلسطين •

وكانت بريطانيا قد تحالفت مع العرب فى أول الحرب وخدعتهم بوعد يقضى بقيام دولة عربية بعد الحرب مقابل انفصالهم عن تركيا فلما خرجت منتصرة من الحرب مزقت العالم العربى وقسمته الى دول ودويلات سيطرت عليه بالانتداب والوصاية واشتركت معها حليفتها فرنسا وقاوم العرب فى كل مكان هذا التقسيم والاحتلال ولم يقبلوه يوما واحدا • وكشف العرب عن ايمان بالحرية والوحدة بعد الاستقلال •

وقد رسم الاستعمار البريطانى خططا مدروسة قائمة على تجارب قديمة وأبحاث نفسية وعلمية ودراسات لحياة الامم تاريخها

ولغتها وقد ثبت بالواقع الذى حدث فعـــلا أن هـذه الخطط كلها قد عجزت عن تحقيق : بقاء الاحتلال أو بقاء الحواجز المصنوعة بين أجزاء الوطن العربى الواحد • وانها فشلت فشلا ذريعا اذ عجـز الاستعمار عن التفهم الحقيقى لنفسيات الشعوب •

ومن هذه الخطط :

١ ـ دعم عمليات التمزيق والتجزئة بفرض صور مختلفة من نظم الحكم جمهورية وملكية دســــتورية وملكية مطلقة ومحميات وامارات ومشايخ • وفى الاستعمار حماية ووصاية وانتداب •

وفى التعامل الاقتصادى : روبية هندية فى الكويت ، ريال سعودى ، دينار عراقى خاضع لمنطقة الاسترلينى • لــيرة لبنانية مرتبطة بالفرنك الفرنسى • عملة ذهبية (مارتا تريزه) فى اليمن •

٢ ـ عمدت بريطانيا بعد تجزئة العالم العربى الى أقطار الى منع اتحادها وتقاربها وعرقلة كل تلاق بينها الى توسيع هـوة الخلاف بين الملوك والامراء الحاكمين وايجاد أســباب الذعر من انقضاض بعضهم على البعض الآخر حتى يزدادوا ارتماء فى احضانها ـ وكذلك تمزيق وحدة كل قطر من هذه الاقطار داخليا الى فرق دينية وشيع عصبية وجنسية وأحزاب سياسية •

٣ ـ جعلت بريطانيا سياستها ازاء سلاطين وأمراء الساحل العربى تحريض القبائل بعضها على البعض الآخر ومنع اتحـــادها حيث توجد أكثر من ٣٠ سلطنة وامارة ومشيخة كل منها منفصـل عن الآخر مع ان سكانها لا يزيدون عن نصف مليون نسمة وكذلك توجد ست مشيخات منفصلة فى الساحل الممتد من عمان الى قطر حيث يعيش ٨٠ الف نسمة •

ووضع الانجليز خطة لحاكم عـــدن قوامها : حرض القبيلة

الموالية على القبيلة المعادية فلا تضطر الى جنود بريطانيا فان هـذه السياسة تفيد الانجليز لانها توسع الثلمة بين القبائل ٠

٤ ـ شجعت بريطانيا الخلافات الطائفية والعنصرية فى كل قطر عربى وقوت الاقطاعية وثبتت أسسها وأتاحت للاقطاعيين امتلاك مساحات شاسعة ليسيطروا على ادارة الحكم فى البلاد لتضمن بقاء نفوذها ـ فقد كان الاقطاع دائما حليف المحتلين ٠

كما جعلت القوات البريطانية من بعض شـيوخ القبائل فى البلاد المحتلة أداة لتعكير الامن العام وقد وسعت ملكية الموالين لهـا بعد احتلال مصر ٠ وبعد ثورة العراق الاولى بينما انكمشت ملكيات الاحرار الذين اشتركوا فى مقاومة الاستعمار ٠

وقد أصدرت بريطانيا قانون دعاوى العشائر ١٩٢٢ بتثبيت امتيازات شيوخ القبائل الاقطاعيين وزيادة نفوذهم ٠ وهدف هـذا القانون تقسيم الشعب الى قسمين كل منهما يخضـع لاحكام قانون خاص ٠ ومرماه اعاقة وحدة الشعب وتحضره ٠ يمنح أبناء العشائر امتيازات خاصة لا يتمتع بها أبناء المدن ٠ وتقوية نفوذ زعماء القبائل ومشايخها بما جعلهم الحكام المستبدون فى مزارعهم وجعل الشعب كله تبع عبيد ٠ وهكذا اتخذت انجلترا من الاقطاع وتعزيز نظـام العشائر وسيلة للقضاء على القومية العربية والوحدة وتأكيد الاحتلال وبقاء الاستعمار ٠

وقـد نفذت بريطانيا هـذه السياسة فى الاردن والعراق والسودان فأكدت الولاء الخاص للعشيرة والقبيلة وبذلك فشـل النظام الديموقراطى الذى فرض على العالم العربى مشوها بحـكم استناده على ركائز الاقطاع والاحزاب والنظام العشائرى ٠

٥ ـ عمل الاستعمار على تقوية روح الطائفية ودعم الانقسامات الدينية وتأكيد الطائفية قانونا بادعائه حماية الاقليات ٠ وقد حمل

الاســـــتعمار البريطانى الاقليات الدينية الى المطالبة بالتمثيل فى المجالس النيابية ٠

كما استغل الاستعمار البريطانى الخلاف بين دينين : كالاسلام والمسيحية فى مصر أو بين مذهبين كالسنة والشيعة فى العراق فى محاولات لاضعاف الوحدة واثارة الفرقة وقـــد تنبهت الشعوب الى هذه المؤامرات فقضت عليها واستغلت بريطانيا خـــــلاف الطوائف المذهبية والعصبيات القبيلية وهدرت حقـــوق أكثرية فى ســبيل مصلحة أفراد معدودين من الاقطاعيين والزعماء ورجال الـــــدين والانتهازيين ٠

٦ ــ الدعوة الى بعث الحضارات القديمة كالفرعونية فى مصر والاشورية فى العراق وهى جـــزء من خطة تمزيق الوحدة واشاعة روح الشعوبية التى كانت سلاحا هاما من أسلحة الاستعمار ٠

٧ ــ اقتطع الاستعمار الانجليزى القسم الجنوبى من سورية وأقام فيها أمارة شرق الاردن ومكن للصهيونية فى فلسطين ٠

٨ ــ حاول الاستعمار الانجليزى أن يحجب مصر عن محيط الفكرة العربية بمحاولة اذاعة آراء خاطئة بأن الناس صـــــاروا يستعملون هذه كلمة « العربى » للدلالة على البدوى غير المتحضر أو مقرونة بالتأخر والهمجية ٠ فصدق بعض المثقفين هذه الادعاءات غير ان انتشار حقائق التاريخ ومقدرات التراث العربى حطم هذه الفكرة ٠

٩ ــ أذاع الاستعمار الانجليزى فكرة الاقليمية فى العــراق فادعى أنه ليس شعبا عربيا خالص العروبة وأنه مزيج من عـــرب وأكراد ٠ وان السودان خليط من العرب وجنس آخر ليس عربيا وأن المصريين فراعنة أصلا وأن العرب كانوا دخلاء عليهم

١٠ – عمد الاستعمار البريطانى الى اثارة الصراع بين القادة والحكام والملوك ٠

١١ – اتخذ الاســـــتعمار الانجليزى من التعليم والبعثات والصـــحافة وبعض المفكرين المنحرفين قـــوة شعوبية حملت لواء دعوات البلبلة الفكرية المختلفة فى تغليب التجزئة باسم القوميـــة الضيقة ٠ ومذاهب الانحراف فى الدين والمجتمع (الالحاد والاباحة) ودعوات الحضارة القديمة وثقافة البحر الابيض المتوسط كما باح للبعثات التبشيرية القيام بعمليات تدمير ضخمة عن طريق التنصير والتشكيك فى الحقائق الروحية – كما أعطى لفريق من المستشرقين فرصة اتهام اللغة العربية بالعجز عن قدرتهـــا على تقبل كلمات الحضـــــارة ٠ وتغليب العامية على الفصحى ، والتعرض للتاريخ والبطولات والامجاد العربية بصورة تهدر مفعولهـــا فى النفس العربية ٠

وقد واجه العـــالم العربى هذه الدعوات مواجهة واقعية ، فقاومها وهدمها وعرف الغرض الذى تهدف اليه وهو سحق الوحدة العربية ٠

٧ ـ الاستعمار الفرنسي

اتخذ الاستعمار الفرنسي نفس الهدف الذي اتخذه الاستعمار الانجليزي وأن اختلف معه في الوسائل وكان أشد منه عنفا ٠

١ ـ عمل الاستعمار الفرنسي على تجزئة الشـــــام وفصل سوريا عن لبنان وفصل سوريا ولبنان عن الكيان العربي سياسيا وثقافيا ٠

٢ ـ حاول دعم التجزئة واحلال الاتجاه القومي الضيق محل الاتجاه العربي وتجزئة سوريا الى أربع دول مستقلة بعضها عن بعض تماما هي : دولة دمشق ودولة حلب ودولة جبل العلويين ودولة جبل الدروز ٠

٣ ـ خلقت دولة لبنان الكبير المؤلفة من متصرفية جبل لبنان ومن متصرفيات صيدا وطرابلس وبيروت وقضاء عكار وقسم من قضـــاء حصن الاكراد وأربعة أقضية كانت تابعة لولاية سوريا وهي البقاع وبعلبك وحاصبيا وراشيا ٠ وقد وسعت لبنان على حساب سوريا وأخذت الموصل من سوريا وضمت للعراق وأخذت الاسكندرونة من سوريا وضمتها لتركيا ٠

٤ ـ حاولت فرنسا ايجاد ثغرة بين المنطقة الساحلية والمنطقة الداخلية بفصلهما وخلق خلافات فكرية وثقافية بين المنطقتين وكان هدفها من هذه التجزئة اضعاف العقيدة القومية وقتل الروح الوطنية وخلق المنافسات والحزازات بين المقاطعات وقتل الروح الوطنية ٠ ومنع الاتصال بين دمشق والمقاطعتين اللتين بهمـــا ثورة وطنية ويحسب لهما حساب وهما جبل الدروز وجبل العلويين ٠

٥ – قمعت فرنسا الحركة الوطنية فى سوريا بأساليب غاية فى العنف .

٦ – نزلت لتركيا عام ١٩٢٠ عن اقليم قليقية ثم نزلت لها عام ١٩٣٩ عن سنجق الاسكندرونة .

٧ – تمجيد ماضى الاقوام التى استوطنت سوريا كالاراميين والفينيقيين وذلك للتهوين من الوحدة العربية وابادتها .

٨ – عزل الاستعمار الفرنسى شمال افريقيا (تونس والجزائر ومراكش) عزلة تامة عن العالم العربى ومنع دخول الكتب والصحف والمطبوعات اليه وتحويله الى اقطار فرنسية اللغة والثقافة والروح .

٩ – حول الاستعمار الفرنسى الحمـــاية المؤقتة فى تونس ومراكش الى احتلال دائم .

١٠ – اعتبرت فرنســـا الجزائر منذ ١٨٤٨ جزءا من الوطن الفرنسى رسميا .

١١ – قمعت فرنسا جميع الثورات والانتفاضات والحركات الوطنية بعنف .

١٢ – أعلنت حرب افناء على مقومات العروبة وفرضت لغتها وشوهت التاريخ العربى واضعفت اللغة العربية

١٣ – جعلت اللغة الفرنسية هى اللغـــة الرسمية فى جميع شئون الادارة والتعليم وطاردت اللغـــة العربية حتى انزوت فى المدارس الدينية الخاصة .

١٤ – شجعت اللغة العامية واعتبرتها لغة مستقلة وعملت على اضعاف اللغة الفصحى .

١٥ ــ منعت دراسة التاريخ العربى والاسلامى فى المدارس ــ بينما فرضت تعليم التاريخ ــ الفرنسى بتوسع وافاضة ٠

١٦ ــ سمحت بالحديث فى التاريخ العربى فى مواضع الطعن فيه ومحاولة اثبات ان سكان افريقيـــا ليسوا عربا ولا تربطهم بالمسلمين رابطة ما ٠

١٧ ــ جعلت ٧٥ فى المائة من تجارة الجزائر و٥٠٪ من تجـارة مراكش مع فرنسا وايقاف العلاقات التجارية مع الدول العربية ٠

١٨ ــ أباحت للصـــحافة الفرنسية والمستوردة السيطرة على الثقافة والقضاء على الصحف العربية

١٩ ــ شجعت هجرة الاوربيين خاصـــة الفرنسيين الى هذه الاقطار ويسرت تمليك الاراضى الزراعية لهم حتى أصبحت الصناعة والزراعة والمجالس التشريعية وادارة البلاد والمدارس ــ كلها بين الاوربيين الذين يبلغ عددهم مليون و٦٠٠ ألف وهم الذين يسيطرون على الحياة السياسية والاقتصادية والتوجيه الثقافى ويعملون على بقاء النفوذ الفرنسى وتقويته

٢٠ ــ حاولت فرنسا « ادماج » هذا الجزء من الوطن العربى فى الدولة الفرنسية وهو ما اطلق عليه (الاتحاد الجبرى) وذلك بقوة التشريع ، وهو مايتنافى مع الطبيعة اذ لا يتصور ان تضم اراضى شمال افريقيا وسكانها اكثر من ٢٠ مليونا لهم تاريخهم وثقافتهم وشخصيتهم الى الاتحاد الفرنسى ٠

وقد أذاع هذه الدعوة كثير من مفكرى فرنسا وقادتها أمثال جبرائيل هانوتو الذى ــ يصفها بوحدة الامبراطورية ووحدة الادارة والتشريع والعمل ، ووحدة الشعور والارادة ــ الحرة وانها ليسـت بالعنف والقوة والفتح ولكن باللين والترغيب تتم الوحدة الفرنسية ٠

ويقول : اذا عاشت فرنســـا بعظمتها وقوتها وامجادها فلتكن متجهة بنشاطها وفكرها وعبقريتها الى مستعمراتها »

وقد صور جنرال جيوم المقيم الفرنسى فى مراكش هذا الاتجاه فقال « كان شمال افريقيــــا من حيث طبيعته الجغرافية ومن حيث الاصول الجنسية لغالبية سكانه ومن حيث تاريخه حتى الفتح العربى جزءا متمما لاوربا فلا يرتبط مراكش بالشرق بأية رابطة ما غير دينها الاسلامى والتنظيم القبلى لسكانها » ٠

٢١ ـ عمد الفرنسيون الى احياء لغة البربر وبعث تقاليدهم وعاداتهم وجعلوا منها مصدرا للتشريع المدنى مستغلين قضية البربر التى خلقوا منها مشكلة كبرى مفتعلة اضافوها الى مشاكلهم العديدة التى أقاموها فى وجه الحركة التحريرية للتفريق بين الشعبين الكبيرين اللذين يسكنان المغرب بدعاوى باطلة منها ان البربر شعب مستقل عن العرب الغزاة كما حاولوا التأثير بالادعـــاء بأنهم منحدرون من شعوب أوربية وبأنهم أوربيون اصلا وأن عليهم ان يقطعوا صلتهم مع العرب ويقيموها مع الاوربيين ٠ والمعروف أن المغرب مزيج من عرب وبربر وأن هذه العنـــــاصر قد امتزجت وقد تعرب البربر الساكنون فى المدن والهضاب والسهول بالتدريج واتخذوا اللغـــة العربية لغة لهم ٠

٢٢ ـ كان الظهير البربرى الذى أصدره الفرنسيون ١٩٣٠ قمة التنظيم القبلى للبربرلمساندة شيوخ القبائل واستمالتها ليصبحوا حلفاء طبيعيين لهم وقصة زحف الجلاوى على مراكش فى ٢٠ شباط ١٩٥١ معروفة ٠

٢٣ ـ افسحوا المجال للبعثات التبشيرية لتعمل بين البربر لتنصيرهم ٠

٢٤ ـ عمدت فرنسا الى فرض الثقافة واللغة والدين والاسماء الفرنسية ٠

٢٥ ـ أوهمت الجنود السودان أن آباءهم من بلاد الغال وانهم فرنسيون روحا ودما ٠

٢٦ ـ تدبير المذابح الجماعية الضخمة على قاعدة القتل بالجملة وخلق معارك متعددة قضى فيها على اعداد ضخمة فى تونس والجزائر ومراكش مثل معارك الدار البيضـــاء التى قتل فيها الفا شخص ومعارك الجزائر ووهران التى قتل فيها آلاف القتلى ٠

٢٧ ـ وقد واجهت الامة العربية مؤامرات الاستعمار الفرنسى للقضاء على القومية العربية والوحدة بمحاولة هدم مقومات هـــذه الوحدة ٠

ولعل موقف فرنسا من توسيع شقة الخلاف بين العـــرب والبربر فى الجناح الافريقى للامة العربية هو الذى جعل الحـــركة الوطنية فى شمال افريقيا تتميز بكفاحها للاستعمار وطابعها عربى اسلامى فقد اضطرت الحركة التحريرية فى تونس ومراكش والجزائر ان تؤكد الطابع الدينى لانه دعامة الوحدة بين العرب والبربر ٠

والمعروف ان فرنسا فكرت فى احتلال الارض العربية وتمزيق القومية العربية بحملة لويس التاسع الصليبية على مصر وعلى تونس قبل ثمانمائة سنة وبحملة نابليون أول من قاد حملة استعمار فى العصر الحديث ٠

٨ ـ الاستعمار والصهيونية

تلاقت رغبة الصهيونية فى اقامة وطن قومى فى فلسطين مع رغبة الاستعمارين البريطانى والفرنسى لاقامة حاجز قوى يقسم العالم العربى ويفصل الجناح الافريقى للامة العربية عن الجناح الآسيوى . فكان خلق هذا الوضع الذى ظهر فى العالم العربى باعلان وعد بلفور (٢ نوفمبر ١٩١٨)

١ ـ تلقفت بريطانيا فكرة الصهيونية فى اقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين رغبة فى تثبيت أقدامها فى المنطقة نظرا للموقع الاستراتيجى لفلسطين ونظرا لانها كانت تعلم بان العرب لن يتخلفون عن الوحدة . فقد كان لابد لها من ادخال عنصر جديد من السكان بطريقة تخلق جوا دائما من النزاع والشقاق .

٢ ـ عملت الصهيونية بعد صدور وعد بلفور على الاشراف على صياغة وثيقة الانتداب فى فلسطين صيغة تساعدهم على تحقيق أغراضهم وتذهب فى تفسير التصريح الى المدى ـ الذى يطمعون فيه . حيث ضمنت لهم اتخاذ كافة الاجراءات اللازمة لتيسير الهجرة وتأمينها وتشجيعها . وتمكين المهاجرين من شراء الارض واستئجارها واحتكارها بواسطة جماعات منهم واستغلال المواد الطبيعية .

كما اعترفت وثيقة الانتداب بحق الهيئات الصهيونية فى أن تنشىء وكالة يهودية تتعاون مع حكومة الانتداب فى فلسطين من أجل تنفيذ شروط الانتداب .

يقول وايزمان فى مذكراته التجربة والخطأ « لقد كتبنا فى مشروع الوثيقة عبارة اردنا ان تقيد بريطانيا بها وعد بلفور وبان

تكون خطتنا فى فلسطين قائمة على أساس الوطن القومى لليهود ·
وكان نص العبارة التى كتبناها نحن « والاعتراف بحقوق اليهود ـ التاريخية فى فلسطين » واقترح لورد كيرزون تخفيف العبارة حتى لا يهيج العرب عند قراءتها وقال انه يرى ان تكون « والاعتراف بصلات اليهود وعلاقاتهم التاريخية فى فلسطين »

وقال « ان هرتزل اعلن يهود الدنيا ان بريطانيـــا العظمى وبريطانيا العظمى وحدها دون كل الدول قد اعترفت باليهود كأمة ذات كيان مستقل منفصلة عن غيرها · لقد احتضنت بريطانيـــا الحركة الصهيونية منذ نشوئها واخذت على عاتقها تحقيق اهدافها ووافقت على تسليم فلسطين خالية من سكانها العـــرب لليهود عام ١٩٣٤ ·ولولا الثورات المتعاقبة التى قام بها عرب فسطين لتم انجاز هذا الاتفاق فى الموعد المذكور

٣ ـ وضعت بريطانيـــا مع اليهود الخطط العملية لتهديد فلسطين فأباحت استقبال المهاجرين من اليهود وساعدت اليهود على انشـاء مؤسسة كبرى هى الصندوق اليهودى ـ واختـــارت لمنصب أول مندوب ســـــام فى فلسطين يهودى صهيونى عريق هو « هربرت صمويل » الذى عمل علانية على « وضع فلسطين فى حالات سياسية وادارية واقتصادية من شأنها تسهيل اقامة الوطن القومى بها » ·

٤ ـ قاومت بريطانيا معارضة العرب وعدم اعترافهم بشرعية الانتداب أو حق العرب فى تنفيذ وعد بلفور وتحدت مشـــاعرهم ومطالبهم فى اقامة دستور يضمن مصالح الشعب المدنية والسياسية والاقتصادية فاعلن « ونستون تشرشل » فى ٣ يوليو ١٩٢٢ تصريحا للتعمية جاء فيه ·

١ ـ تؤكد حكومة صـــــاحب الجلالة تصريح نوفمبر ١٩١٧ (تصريح بلفور) فهو غير قابل للتعديل ·

٢ - ينشأ وطن قومى لليهود فى فسطين ويكون افراد هـــذا الشعب اليهودى فى فلسطين أصحاب حق لا دخلاء مضطهدين .

٣ - ليس فى تفكير حكومة صاحب الجلالة ان تكون فلسطين يهودية كما أنها لا تفكر فى فناء أو اخضاع العرب سكانا أو لغـــة او ثقافة .

٤ - لا يخول الوضع الخاص للهيئة الصهيونية التنفيذية ان تشارك على نحو ما فى حكم البلاد .

٥ - بدأ الرأسماليون اليهود بعد تصريح بلفور فى اتخاذ خططهم فأخذوا فى شراء الاراضى البور غير المستثمرة وأقاموا عليها مستعمرات زراعية وسيطروا على الشاطىء كله وأقاموا مدينة تل أبيب على شاطىء البحر الابيض . كما أقامت الرأسمالية اليهودية صناعات مزدهرة . وقدمت بريطانيـا لليهود ٥٠٠ الف دونم (١٢٥ فدانا) من املاك فلسطين لليهود بعد طرد العرب منها وهى بنى عامر ووادى الحوت والحولة . وبلغ مجموع ما اشتراه اليهود من الاراضى حتى ١٩٣٠ = ٣٢٥ ألف فدان وكان صندوق القرض اليهودى يتلقى كل عـــام ٥/٥٠٠/٠٠٠ دولارا .

وهكذا تحالف الاستعمار الفرنسى والانجليزى فى القضاء على القومية العربية وتمزيق وحدة العرب فى حدود برنامج منظم قوامه :

١ - الادماج : اجراء عمليات ادماج للعرب فى شمال افريقيـا مع فرنسا واعتبار الجزائر جزءا من الوطن الفرنسى .

٢ - الاستيطان : وهو نقل مجموعات ضخمة من الاجـــانب للمناطق العربية وتمليكها أجود الاراضى وطرد العرب منها .

٣ - الابادة : سحق القوميات العربية من المناطق المختلفة كما حدث فى فلسطين والجزائر .

٤ ـ تغريب الافكار : وذلك بمحاولة تغيير الحقائق التاريخيـة واثارة الشكوك فى المعتقدات ومحاربة اللغة والتراث وتغليب اللغات الاجنبية واللهجات العامية وبعث الحضارات القديمة ·

٥ ـ اثارة الخلافات الجنسية والدينية والسياسية وذلك ببعض العصبيات القديمة وخلافات الاديان والمذاهب والاجناس ·

٦ ـ التجويع : وذلك باغتصـــــاب الثروات وتحطيم معنوية أهالى البلاد بمنح خيرات بلادهم واستغلالهم بأجور زهيدة ·

٧ ـ الاقليمية : محاولة تغليب الاقليمية بكل وسيلة للقضاء على الوحدة العربية وخلق خلافات بين الدول والملوك الحكام واقامة حواجز ضخمة بين البلاد العربية بعد تقسيمها حتى تباعد بينها وبين التفكير فى الوحدة والالتقاء والتعامل ·

وقد تلاقت رغبـــــات الاستعمار واختلفت · تلاقت فى هدف واحد هو سحق القومية العربية وتمزيق وحـــــدة الوطن وتغليب النزعة الاقليمية الضـــــيقة · واقرار التجزئة وتأكيد الفواصيل المصطنعة · وقد تصارعت بريطانيا وفرنسا فى هذه المنطقة صراعا جعل فرنسا تفسح صدرها أحيانا لمقاومى الاستعمار البريطانى غير أن الاستعمار وصل الى حالة من الترضية حين تم الاتفاق بـين ايطاليا وفرنسا فى نوفمبر ١٩٠٢ على أن تسلم ايطاليـــــا مراكش لفرنسا مقابل اعتراف فرنسا لها باحتلال طرابلس الغرب · كمـــا سلمت انجلترا لفرنسا بحق احتلال الجزائر (الاتفـاق الودى ـ ١٩٠٤) مقابل اطلاق فرنسا لبريطانيا يدها فى مصر ·

قامت المقاومة العربية بدور ضخم ضد الاستعمار وقد انقسم العمل الى مرحلتين :

١ – فى سبيل الحرية .

٢ – فى سبيل الوحدة .

١ ـ حركة المقاومة العربية فى سبيل الحرية

مصر : ثورة ١٧٩٨ ـ ثورة ١٨٨٢ ـ ثورة ١٩١٩ ـ ثورة ١٩٣٥ ٠

العراق : ثورة ١٩٢٠ ـ ثورة ١٩٤١ ـ ثورة ١٩٤٨ ٠

السودان : ثورة ١٨٨٤ ـ ثورة ١٩٢٤ ٠

سوريا : ثورة ١٩٢٠ و ١٩٢١ ـ ثورة ١٩٢٥ ـ ثورة ١٩٤٥

فلسطين : ثورة ١٩٢٢ ـ ثورة ١٩٢٩ ـ ثورة ١٩٣٥ الكبرى

ليبيا : ثورة ١٩١١ ـ معارك ممتدة الى ١٩٣١ ٠

تونس : ثورة ١٩١١ ـ ثورة الجنوب ١٩١٥ ـ ثورة ١٩٢٢ ـ ثورة ١٩٣٤ و ثورة ١٩٣٨ ٠

الجزائر : ثورة ١٨٦٤ ـ ثورة ١٨٧١ ٠ ثورة ١٩٥٤ ٠

مراكش : ثورة ١٨٤٣ ـ ثورة ١٩٠٩ ـ ثورة ١٩١٢ ـ ثورة ١٩٢٠ ـ ثورة ١٩٢٦ ٠

لم تتوقف المقاومة العربية بعد الاحتلال الغربى لاقطار العالم العربى كما يكشف عن ذلك هذا البيان الذى شمل ابراز الثورات التى اندلعت لمقاومة بريطانيا وفرنسا وايطاليا فى خلال الفترةمابين ١٨٣٠ حتى نهاية الحرب العالمية الثانية ١٩٤٠ ٠

وهى مرحلة تزيد عن مائة عام لم يتوقف فيها الصراع بين العرب والمستعمر ، كان هذا الجهاد يحمل طابع الحرية والمقاومة التى هى الخطوة الاولى للعمل فى سبيل الوحدة العربية ولذلك فهو جزء لا

يتجزأ منها اذ لا يمكن العمل للقومية العربية قبل تحرير الاوطان من الاستعمار والاحتلال ولهذا الدور أهميته الواضحة فى تصوير قوة الشخصية العربية التى رفضت أن تستعبد او يفرض عليها سلطان خارجى ٠

ولقد كبدت المستعمرين فى هذه الحروب والثورات الضحايا والاموال ـ كما قدمت آلاف الشهداء الذين بذلوا حياتهم رخيصة فى سبيل حرية أوطانهم ووحدة أرضهم

وقد تميزت نهاية هذه الفترة بالتحول من المعركة الدموية الى المعركة الفكرية والى مقاومة الاستعمار بالتكتل فى جماعات وهيئات والتجمع حول افكار توقظ الشعور القومى وذلك باصدار الصحف العربية والفرنسية وبناء المدارس التى تحمى اللغة العربية ونشر الكتب والمنشورات ٠

وقد انتهت هذه الفترة قبيل الحرب العالمية الثانية عندما وصلت الاجزاء العربية الى بعض حقوقها بحصولها على الحكم الذاتى أو النظام النيابى أو توقيع معاهدات تنقل الاقطار من الحمـــــاية والانتداب والوصاية الى نظام قريب من الاستقلال ٠ وقد ارتبط هذا الـــدور بانبعاث جديد لدعوة القومية العربية والوحدة العربية ٠

وقد كان لهذه المقاومة العربية التى انبعثت فى أجزاء الوطن العربى من اجل الحرية اثرهـــا الواضح فى تحطيم خطط المستعمر وتغيير أساليبه واضطراره الى مجاراة التيار العام فى الوحدة العربية مع محاولة استغلال هذا التيار عن طريق عملائه ٠

ولا تكفى هذه الصفحات لرسم صورة كاملة لهذه المقـــاومة الجبارة التى كانت من جانب العرب قتالا بالاجساد المتراصة ومقاومة لآلات التدمير والافناء الحديثة التى ساقهاـالمستعمر بالجموع المؤمنة بحقها فى الحرية المضحية بنفسها ٠ ذلك أن الشعب العربى لم تكن

له جيوش مسلحة تستطيع أن تقف أمام الاستعمار ولكن الاصرار على المقاومة كان يفعل الاعاجيب فلم يفلح القتل بالجملة والافنـــاء والتجويع والسجن والتعذيب فى رد هذه الامـــة المؤمنة بحقها فى الحرية والوحدة عن المقاومة المرة بعد المرة وكلما انهار الصف تقدمت صفوف أخرى تحتله ٠

وقد صور هذا المعنى الرئيس جمال عبد الناصر رائد القومية العربية بقوله : « خلال القرون الطويلة كانت اجيال شعبينا العربى تكافح وتناضل٠ كان الشهداء يسقطون علىالارض وبجوارهم أعلامهم مضرجين بالدماء ٠ ولكن لايستسلمون أبدا ٠ كانت المعارك لاتنقطع بين مد وجزر وتقدم وتأخر ٠ ولكن قوى المعارضة فيها ظلت تخفق وتنبض ٠ كانت الجموع تحشد ولا يستطيع البارود أن يوقف تقدمها او يخنق صيحة الحرية التى تنطلق من صدورها ٠

وهكذا بدأت معركة المقاومة مع الاستعمار الذى كان حريصـــا فى معركته أن يحطم وحدة الامة العربية وان يمزقها الى أجزاء يجعل منها امما منفصلة ويعمل على سحق مقومات الوحدة فيها بكل الوسائل غير قوة المقاومة العربية أقنعته بالعجز عن تجزئة هذه الامة ٠

مصر

قاومت مصر ١٧٩٨ الحملة الفرنسية خلال ثلاث سنوات كاملة ٠ وصمدت وهى تواجه قوة عسكرية حديثة رهيبة ، ولكنها لم تتوقف عن تقديم الضحايا وحفر الخنادق وعمل الرصاص من حديد المساجد ونقل المعركة من قلب القاهرة الى ميت غمر وغرب الدلتا بل لقـــد قاومت بمراكب الصيد فى المنزلة حتى أخرت معركة نابليون فى عكا عاما كاملا مما انتهى الى هزيمته ٠

وقاومت مصر حملة فريزر ١٨٠٧ وكبدت رشيد الباسلة الحملة البريطانية ٤١٦ قتيلا و٤٠٠ أسيرا ثم قاومت الثـــورة العرابية بريطانيا ولم تهزمها غير الخيـــانة ولقيت من الاستعمار البريطانى مواقف العدوان والاجرام والقتل فى دنشواى (٢٤ يونيو ١٩٠٦) وفى الشوبك والعزيزية ١٩١٩ .

وقاومت مصر الانجليز فى ثورة ١٩١٩ بصورة بهرت العالم وانتظمت انحاء القطر ولم يزدها عدوان بريطانيا الا قوة واشتعالا . وقد اهتزت بريطانيا لضرامها وموقفهـــا من الحكام والمستوزرين وامتدادها مع المقاطعة حيث القيت القنابل على كبار الموظفين الانجليز والمعسكرات البريطانية .

ولم تتوقف مصر عن المقاطعة طوال هذه الفترة حتى اندفعت فى مقاومة جديدة ١٩٣٥ قدمت فيها الشهداء والضحايا .

العراق

وقاوم العراق الاستعمار البريطانى فى ثورة ١٩٢٠ التى كبدت بريطانيا ٢٠ مليون - جنيه استرلينى و٢٠ ألف مقاتل . فقد كانت ثورة ضاربة اندلعت على أثر اهتزاز مشاعر الوطنيين بان بريطانيا ستفرض عليهم الحماية وتضم بلادهم الى حكومة الهند فتكون مستعمرة لمستعمرة . هنالك اندلعت الثورة وامتدت الى مختلف أجزاء العراق واقضت مضاجع الانجليز سبعة شهور كاملة .

وعندما حرق الانجليز قرية « الرميثة » اندفعت كتـــائب الوطنيين فقطعت المؤن والطعام عن القوات البريطانية حتى اشتدت

المجاعة بهم فهجموا على الاسواق ونهبوا منها المؤن واضطروا تحت ضغط الوطنيين الى حفر الآبار للاستقاء منها بعــــد ان عجزوا عن الوصول الى نهر الفرات ٠

وتوالت مصادمات العرب للبريطانيين فى الرسمية والديوانية وهاجموا القطارات ـ والبواخر المحملة بالمؤن ٠ واضطرت بريطانيا الى التسليم بحق العراق فى الحرية

وظل العراقيون فى مقاومة لم تتوقف حتى كانت ثورتهم١٩٤١ بقيادة رشيد عالى الـــكلانى وصـــلاح الصباغ ، هذه الثـــورة التى كانت ستحقق النصر لولا خيانة جلوب لها وطعنها من الخلف حين زحف الفيلق العربى واحدث ثغرة واسعة فى احدى جبهـــات القتال ٠ وواصل العراق ثورته بعد الحرب العالمية الثانية ٠ ولم يتوقف العراق وثورته على معاهدة بورتسموث ورفضها فى (يناير ١٩٤٨) معروفة ٠

الســودان

وقاوم السودان فى ثورتين كبيرتين : الأولى الثورة المهـدية عام ١٨٨٤ ثم ثورة عام ١٩٢٢ المعروفة بثورة اللواء الابيض بقيادة البطل الباسل « على عبد اللطيف » التى ترسمت خطوات الثـورة المصرية وطالبت بما طالب به عرابى وهو اسناد المناصب الكبرى فى الجيش الى السودانيين ٠ وامتدت الثورة حيث خرجت الخرطوم كلها فى يونية سنة ١٩٢٣ -- وامتلأ سجن كوبر بأعضاء اللواء الابيض ثم توالت الاضطرابات بقيادة البطل عبد الفضيل الماظ قائد الفرقة السودانية وقتلت ٧٠٠ جندى بريطانى ٠

ســـورية

لقد وقفت سورية فى وجه الاستعمار الغربى منذ فجر الحركة العربية ، ففى ميسلون (٢٤ يوليو تموز ١٩٢٠) قدم يوسف العظمة و ٨٠٠ شهيد أرواحهم ثمنا للمقاومة حيث مرت قوات فرنسا فوق أجسادهم الطاهرة ٠

وخرج الشيخ صالح العلى على رأس قواته حيث احتشاد القوات الفرنسية على ساحل طرطوس ٠ وعمدت القيادة الفرنسية فى دمشق الى حشد قوات ضخمة لتطويق المجاهدين ٠ فلما قبضوا عليه وحاكموه قال للفرنسيين ، أنا محب لعروبتى لو بقى معى عشرة من الرجال لقاومتكم حتى الرمق الاخير ٠

وأعلن « ابراهيم هنانو » ثورته ومضى يقاتل ويجمع حوله الجموع حتى بلغ جيشه ٣٠ ألفا من الضباط والجند المدربين على النظام العسكرى ودامت ثورته عشرين شهرا ٠

وعندما تأكد من ان الحلفاء يتآمرون على سورية قال ان المؤتمرات السياسة لاتجدى نفعا ٠ وغادر دمشق الى حارم وأذن فى الناس « حى على الجهاد » وجمع الشباب والمناضلين وانطلق بهم يدك معاقل الجيش الفرنسى الغاصب ٠

ولم تلبث الثورة السورية الكبرى أن اندلعت فى ابريل سنة ١٩٢٥ وبدأت فى جبل الدروز ثم شملت أنحاء سوريا وكلفت فرنسا ألوف من خيرة جنودها ٠ قد قادها شيخ الجبل سلطان باشا الاطرش ثم تطورت الى معارك حامية انتصر فيها الدروز ثم امتدت الى حماة فدمشق ٠

وفقد الفرنسيون أعصابهم فضربوا العاصمة بالمدافع من القلاع وفتحت الآلات ـ الجهنمية أفواهها وصبت حممها على قلب المدينـة فأحرقت ودمرت وأكلت مايربو على ستمائة دار فضلا عما وقع من النهب والسلب بصورة لم يعد لهـا مثيل فكانوا يحطمون أبواب الحوانيت وينهبونها ويضرمون النار فى البيوت ويحملون متاعهـا

وسـجلت الثـورة بطولات فى حماه والغوطة ودير الزور وحموره والبنك والسويداء وارتكبت القوات الفرنسـية جـرائم وحشية مخجلة تعد سبة فى تاريخ فرنسا التى كانت تدعى حمـل رسالة الحرية والاخاء والمساواة ٠

وقد بقيت جيوش فرنسا عاجزة تسعة شهور عن اجتياز جسر صغير يقوم على أحد أنهر دمشق المعروف بنهر تورا ويبلغ عرضـا أربعة أمتار وقد كلف عبور هذا الجسر الجيوش الفرنسية أكثر من عشرة آلاف قتيل وجريح اذ كان رصاص المجاهدين يصرعهم كلما دنوا منه شبرا أو حاولوا اجتيازه ٠ وبقى سعير الثورة السورية فى تأجج مستمر عامين وبضعة شهور ٠

وواجهت سورية عدوانا فرنسيا غادروا ـ ففى ليلة ٢٥ أيار (مايو) سنة ١٩٤٥ أطلق الجنود الرشاشات على الاهلين الذين كانوا فى المحطة بعد وصول قطار حلب ، فتركزت قوات المجاهرين فورا فى مدخل المدينة على طريق حمص حيث أصلت قوات المحتلين نارا حامية مساء ٢٧ أيار واستمرت المعركة ساعتين وأسفرت عن تراجع

وتوالت المعارك فى حماه وحمص واللاذقية وطرطوس وتوالت ماأسماه الجنرال أوليفيه روجيه : المجزرة الكبرى ، وقـد اتصلت المعارك حتى ٢٩ (أيار) مايو سنة ١٩٤٥ حيث هربت القـوات الفرنسية مهزومة تاركة وراءها مصفحتين وعشرات من القتلى ٠

وقد عرف أن الفرنسيين كانوا يعــدون للملحمة من قبــل اذ شرعوا قبل المجزرة فى نقل نسائهم وأطفــالهم وشــيوخهم الى مطـار المزة وأعــدت فرنســا نفسهــا لابادة جميع العناصر الوطنية وفى يوم ٢٩ أيار (مايو) ١٩٤٥ أطلقــت المصفحـات الفرنســية الرصــاص والرشــاشات والبنادق والقنابل على المجلس النيابى ، وظلت النيران الفرنسية تفتك بالآمنــين وتقذف نيرانها من ثكناتها على ور الحكومة ومستشفياتها كما ظلت المصفحات الفرنسية تطوف الشوارع وتصليها قذائف محرقة تدمر وتضرم الحرائق كما ألقت الطائرات الفرنسية قنابلها على مطار المزة على قلعة دمشق فدمرت الســجون وقتلت المســجونين ورجالـ الدرك ٠

ولكن هل أوقف هذا العدوان سورية عن المقاومة والاصرار على الحرية ؟ لم تتوقف سورية وظلت تقاوم واستطاعت أن تحصل على الجلاء وأن تلفتت فى أول لحظة للحرية الى الوحدة العربية فتعلن انها لن ترفع فوق العلم السورى علما غير علم الوحدة العربية ٠

فلســطين

أما فلسطين فقد قاومت استعمارين : انجليزى وصــهيونى وقدمت الشهداء ولم تتوقف يوما ولم تقبل الضم ولا تجزئة الحرية، ورفضت كل مشرع أريد به تخدير أعمالها أو حملهــا عــلى توقيف الكفاح وعاشت الفترة بين تصريح بلفور والحرب العالمية الثانيــة سنة ١٩١٨ – ١٩٣٩ خلال عشرين عاما فى ثورة متصلة ٠

فقد نشبت الاضطرابات فى فلسطين لاول مرة فى ٤ ابريل سنة ١٩٢٠ وفى مايو سنة ١٩٢١ وفى يافا وطولـكوم حيث هاجم

العرب اليهود ، ثم امتدت ولم تتوقف فى القدس وصفد والجليل ونابلس ٠

وفى نوفمبر ١٩٢٥ نشبت اضطرابات عامة عندما زار اللورد بلفور القدس لافتتاح الجامعة العبرية ٠

وفى أغسطس سنة ١٩٢٩ جرت اضطرابات جديدة فى جبرون وصفد قتل فيها ١٣٣ يهوديا ثم كانت ثورة ١٩٣٣ فى القدس ويافا وحيفا ونابلس ٠

ثم كانت (الثورة الكبرى) عام ١٩٣٦ حيث تنظم أول اضراب من نوعه ٠ فقد أضرب العرب ستة أشهر عن المعاملات التجارية وأغلقوا محلاتهم وامتنعوا عن التعامل مع الاجانب واليهود كما أعلنوا العصيان المدنى لحكومة الانتداب ثم تطور الاضراب الى ثورة داميه عنيفة كان على قيادتها فوزى القاوقجى الذى نظم المعارك وقد عطل نحو مليون عربى أعمالهم تعطيلا تاما ٠ وقد واجهت بريطانيا هذه الثورة بفظائع لاحد لها من النسف والتدمير وابادة مدنا بأكملها ٠ واحراق المزارع والقرى وفرضت الاتاوات ونهبت الاموال وسلبت الاعراض ومزقت الكتب المقدسة ٠

ومن أهم معارك هذه الثورة ٠ معركة نور شمس فى ٢٣ يونيو سنة ١٩٣٦ وعين جارود فى مرج بنى عامر ٠

وفى خلال فترة الانتداب البريطانى كانت الخطة هى ابادة العرب الذين لم يتوقفوا عن الثورة ٠ كل بيت منه ثائر ينسف بالديناميت والمدافع الرشاشة وكل قرية يشترك أهلها فى المقاومة تحرق ويفنى أفرادها ٠

أما اليهود فيغيرون على البدو سكان الخيام فيقتلونهم ويسلبونهم

متاعهم وأراضيهم ومع كل هذه الحرب من اليهود والانجليز فقد ظل العرب يقاومون .

وبالرغم من أساليب العسف والضغط وحرق القرى الكامل فانه فى خلال ثلاثين عاما (١٩١٨ - ١٩٤٨) لم ينتزع من العرب الا ٦ ١/٢ فى المائة من مجموع الاراضى وقد قاوم العرب فى فلسطين مقاومة فعالة باسلة دون توقف ولا تردد فى تقديم التضـــحية بالمال والدم .

ولقد سجل وايزمان فى مذكراته فاعلية هذه المقاومة فقال ، «ان مقاومة الفلسطينيين العنيفة هى التى أخرت تنفيـــذ البرنامج اليهودى فى فلسطين الى عام ١٩٤٨ بينما كان مقررا أن يتحقق عام ١٩٣٤ على الاكثر .

ولقد كان معروفا أن تستمر ثورة ١٩٣٦ حينما أضرب العرب فى فلسطين من (١٥ ابريل ١٩٣٦ الى ١٢ أكتوبر من نفس العام) وكانت على استعداد لمواصلة الاضراب الى النهاية لولا وساطة ملوك العرب الذين كانوا أداة استعمارية لايقاف الثورة .

ليبـــــيا

قاومت ليبيا الاستعمار الايطالى الذى كان أشد ألوان الاستعمار قسوة لتفننه فى أعمال الابادة فقد هاجمت ايطاليا طرابلس فى ٢٩ سبتمبر ١٩١١ متخذة نفس الخطة الفرنسية فى اعتبار ليبيا امتدادا لها . وقد قاوم أهل طرابلس مقاومة عنيفة واشترك معهـم العرب من كل مكان .

ومنذ احتلوا الساحل والمقاومة العربية تواصل الكفاح - وكان

عمر المختار قائد المجاهدين فى الجبل الاخضر الذى ظل منـــذ عام ١٩١١ الى ١٩٣١ مقاتلا ٠ حتى قيل أنه لم ينزل عن سرج جـواده سبع سنين ٠ وقد أحصى المؤرخون ان أبطال طرابلس اشتركوا مع الايطاليين فى ألف معركة ٠

ويعجز الوصف عن تصوير المجازر التى أقامتها ايطاليا لاهالى برقة وطرابلس فقد سلطوا السيوف على الاعناق والرقاب فى الجبال وضربوا البلاد ودكوها بالمدافع ونهبوا الاموال واغتصبـوا الارض وألقوا العجائز من الطائرات على ارتفاعات أقلها ٤٠٠ متر ٠

وقد نقلوا ٣ ملايين ايطالى الى طرابلس وفقـــد ٥٧٠ ألفا من المواطنين وبلـغ ما قتل من ١٩١١ الى ١٩٢١ ما يقرب من ٦٦ ألف نسمة وظلت طرابلس تجـــاهد حتى فقدت ما يقرب من مليون من شبابها فى سبيل الحرية ٠

وقد كانت زوايا السنوسيين مراكز المقاومة الوطنية ٠ تعـلم السنوسيين استعمال الاسلحة التى كانت تهرب من مينـــاء طبرق وقد أقفلها عزيزيانى فى مارس ١٩٣٠ وصـــادر املاكهـــا ونفى شيوخها وأقام معسكرات الاعتقال التى ضمت ٨٠ ألف من البدو ٠ رجالا ونساء وأطفالا فى برقة وأقام حاجزا من الاسلاك الشائكة بين القطرين طوله ٣٠٠ كيلو متر ٠

تونس

رفضت تونس كل تعاون مـــع سلطات الاستعمار وبدأت مقاومتها له منذ أول يوم وقد هبت قبـــائل خمير الشمالية ومدن صفاقس والقيروان تحارب الجيش الفرنسى ١٨٨١

ولمعت أسماء قادة المقاومة محمد العرب زروق ٠ محمـــــد

السنوسى · البشير صفر ، وكان على باشا حمبه اول زعيم قومى قاد الحركة الوطنية وأسس دعائمها فتكتل حوله الشباب ·

واندلعت ثورة ٧ نوفمبر ١٩١١ ووقعت معارك دامية ونصب الفرنسيون المشانق فى ميدان باب سويقة وشنقوا الوطنيين وعلى رأسهم البطل (الجرجار) ·

وفى عام ١٩١١ اضرب عمال الترام ونفت السلطات الفرنسية أقطاب الحركة وقامت ثورة الجنـــوب فى أوائل عام ١٩١٥ حيث هبت قبائل بنى زيد المعروفة بالبأس والفروسية والفتـــوة تحت قيادة بطلها « سعيد بن عبد اللطيف » وظلت تخوض معه المعـارك عام ١٩١٦ ـ وقد سحق قسما كبيرا من القوات الفرنسية وهاجمهم برجاله بالسلاح الابيض وافنى فيلقـــا كاملا فى معركة واحدة · ودامت الحرب عامين كاملين ·

ووقعت ثورة ابريل ١٩٢٢ وثورة ١٩٣٤ ·
واضربت تونس فى نوفمبر ١٩٣٧ ·

ووقع صدام مسلح بين القوات الوطنية والفرنسية المسلحة فى بنزرت (يناير ١٩٣٨) وكانت واقعة (وادى مليز) فى ٤ ابريل ١٩٣٨ أقوى هذه المعارك حيث رد الوطنيون هجوم القوات الفرنسية واشتبكوا معهم فى معركة سقط فيها مئات الشهداء والجرحى ·

وقد تبع ذلك انتقام مروع من الفرنسيين حيث قاموا بحركة قتل وتعذيب ومهاجمة وانتهاك للحرمات وصدرت الاحكام بالاعـدام - والاشغال الشاقة وغصت السجون والمعتقلات بالوطنيين والاحرار ·

وكان سجن «لامبيز» الشهير مضرب المثل فى فظاعتــه وقد أطلق عليه اسم «جهنم البيضاء» لكثرة الثلوج به ·

وقد قاوم الاستعمار الفرنسى القوى الوطنية بعنف وشراسة،

ولم يدع وسيلة من الوسائل الاجرامية الوحشية الا استعملها مع الشباب الوطنى فى سبيل تحطيم معنويته ٠

وواجهت تونس بعد الحرب العالمية عدوانا مسلحا أشد قسوة عام ١٩٥١

الجزائر

أما الجزائر فقد احتملت أضخم عبء فى المقاومة العربية ٠٠ اذ كان الاستعمار الفرنسى قد وطد العزم على ابادة أهلها وادماجها ادماجا كاملا فى الوطن الفرنسى ٠ وقد قاومت من اليوم الاول للاحتلال فى معارك متصلة لم تتوقف ٠

حارب « عبد القادر الجزائرى » الفرنسيين عام ١٨٣٥ بعد أن نقضوا المعاهدة معه وحاصر جيوشهم وامتدت الحرب ستة سنوات كاملة وقد غدرت به بعض القبائل حين أغراها الفرنسيون بالذهب٠ وكانت أبرز معاركه «وهران» منطقة تكتل القوة الفرنسية ٠ وبعد معركة دموية رهيبة دامت ست ساعات فوق بطاحها انتصر عبد القادر بجيشه القليل وأسلحته المصنوعة فى الجزائر ٠

ثم توقف القتال حتى أحس بأن الفرنسيين يتجهون الى الغدر سارع يقود خطة حربية سريعة تهدف الى قطع الطريق بين تلمسان ووهران ٠ فحاصر الطريق بفرسانه وحصر القائد الذى كان فى طريقه الى الهرب وكان حصارا مميتا ولم يلبث الفرنسيون أن استقبلوا امدادات جديدة ليدخلوا معركة من أضخم المعارك هى معركة (تافنا) ـ ابريل ١٩٣٧ ـ ثم لم يلبث الفرنسيون ان عادوا فأرسلوا قواتهم لاحتلال قسطنطينية فرد عليهم عبد القادر باحتلال مواقع استراتيجية ممتازة فاشتد التوتر بينه وبين فرنسا التى

أعلنت الحصار البحرى وحرمت عبد القادر كل فرصة لاسترداد الذخائر وبدأت خطة آثمة فى خطف النساء واستبعادهن ٠ ولكن الجزائريين حصلوا فى مقابل كل جندى جزائرى على خمسة عشر محاربا فرنسيا مع عتادهم ٠ وكان فى عزم الجزائريين بقيادة عبد القادر المضى فى الحرب لولا الخيانة وانضمام بعض القبائل ضده مما خلق عددا من الجبهات المحاربة التى كان الهدف منها تمزيق قوته ٠ وقد رفض عبد القادر التسليم فحوصر واعتقل (٢١ ديسمبر ١٨٤٧) ٠

ولم تلبث الثورة قليلا حتى اندلعت فى الجنوب الغربى الجزائرى عام ١٨٦٤ – بزعامة الشهيد « سليمان بن أبى بكر » الذى جمع ما يلزم من سلاح وانضم له العرب الذين جندتهم فرنسا ، ودامت الحرب قاسية فظيعة خمسة أعوام كاملة هلك خلالها عدد ضخم من المواطنين ودمرت خلالها عدة قرى ٠

وعندما أعلن مرسوم (٢٤ اكتوبر ١٨٧٠) بادماج الجزائر فى فرنسا اندلعت الثورة وتكتلت القوى الوطنية وبدأت فى مقاومة عسكرية منظمة لتخليص الجزائر من الفرنسيين ٠ وهاجمت القوات الوطنية المراكز العسكرية الفرنسية بزعامة البطل « محمد المقراتى » الذى كان له من النفوذ والسلطة فى الجزائر ما أرهب الفرنسيين ٠

وقد استمرت هذه الثورة تسعة شهور واضطرت فرنسا خلالها الى ارسال ما يزيد على عشرين حملة عسكرية ضدها ٠ وساعدت قوة فرنسا الحديثة الى ترجيح كفتها ٠

وبعد معركة (وادى سفله) التى ثبتت فيها قوات المجاهدين حتى اللحظة الاخيرة وقتل فيها محمد المقراتى من أهم هذه المعارك٠

وقد واصلت الثورة كفاحها بقيادة أخوه «أبو مزارق» وتحصن

المجاهدون في الجبال واستباح الفرنسيون البلاد ووقعت معارك عند كل جبل وكل قرية ٠

ولم يستسلم المجاهدون الا بعد أن انقطعت عنهم الامدادات والاقوات فانتشروا فى الصحراء وضيق الفرنسيون حولهم النطاق وسقطوا من الجوع والعطش فأسرهم الفرنسيون فى ٢٠ ينــاير ١٨٣٠ وقد خاض الفرنسيون ٣٤٠ معركة ضد هذه الثورة وتكبدوا خسائر فادحة ٠

وقد فرض الفرنسيون على اهل الجزائر غرامة عسكرية فادحة بلغت ٣٦ مليون ونصف مليون فرنك وصادروا ٤٤٦ الف هكتارا من الارض قيمتها ١٨ مليون فرنك واعــدموا خمسمائة من قادة المجاهدين ٠

ولم تتوقف معارك المقاومة فى الجزائر ففى فترة مابين الحربين حشدت فرنسا نصف مليون جندى فى الجزائر وبدأت المقاومة فى ٥ مايو ١٩٤٥ حيث وقعت مذبحة سطيف وهى من افظع المذابح الاستعمارية استمرت اياما وليالى شارك فيها اسطول البحر وقاذفات قنابل الجو والمصفحات والدبابات وقد استشهد فيها ٤٥ ألف من المجاهدين

ولم تتوقف حملات الارهاب على هوسو لفيل ١٩٤٨ وسيدى على ١٩٤٩ ٠

مراكش

وقاوم المغرب فى عنف وبســالة منذ أن وقع تحت سلطان

الاستعمار الاسبانى لاجزاء من المغرب وبعد احتلال فرنسا لها ٠

وتعد ثورة فاس ١٩١٢ من اهم هـــذه الثورات ٠ فقد قامت فرقة مراكشية عسكرية فى مدينة فاس مكونة من ثلاثة آلاف جندى عليهم ضباط فرنسيون فى الليلة الفاصلة بين ١٧ و ١٨ أبريـــل ١٩١٢ واغتالوهم جميعا وكانوا ٦٨ ضابطا يحملون اعلى الرتب فى الجيش الفرنسى ثم استولوا على معظم المدينة وبلغ عدد افراد القبائل زحفوا الى فاس ٢٠ الفا واســتفحل امر الثورة ٠ وقـــد خـــاض الفرنسيون مع المغاربة معارك طاحنة ٠

وثار أهل المغرب بقيادة الشــيخ ماء العينين ولقبه (موسى وحمو) الذى قاوم الفرنســـيين فى منطقة شنقيط واستطاع ان يكتســـح مناطق الجنوب ويحتل مراكش فى ٨ اغسطس ١٩١٢ واستمر فى المقاومة حتى عام ١٩٣٥ ٠

وقـــد مضت الثورة فى منطقة (تافيلالت) باقصى الجنوب اكثر من عشرين عاما بقايدة الزعيم السملالى الذى هزم كل ماوجه اليه الفرنسيون من حملات حتى استعانوا عليه بحاميـات الجزائر فلما قتل تولى امرهم القائد ابو القاسم النقادى الذى ظل مسيطرا على الموقف الى ان انهزم ١٩٣٥ ٠

وقامت الثورة فى مدينة مليله بالريف ١٩٠٩ بقيـادة محمد امزيان وقتل فى هذه الوقائع عدد كبير من الضباط الاسبانيين كما ابيدت فرقة عسكرية كاملة خسر الاسبان فيها نحو عشر آلاف جندى ٠

وعجز الجيش الاسبانى بعد احتـــلاله تطوان ان يستمر فى التوغل ويبسط نفوذه على البلاد ٠

ثم كانت معارك الريف بقيادة عبد الكريم الخطابى التى امتدت اربع سنوات كاملة (١٩٢٠ ـ ١٩٢٤) ٠

وقد كون عبد الكريم فرقا فدائية على غرار (الكومندوس) تعمل على تمزيق جبهات ـ الاسبان واغتنام الاسلحة منهم • ووقع الصدام بين قوات عبد الكريم والاسبان فى موقعة فاصـــلة هى موقعة (انوال) وتقهقر الاسبانيون منهزمين وتعقبهم المراكشيون فساد الذعر والارتباك وتساقطوا صرعى واستطاع المغاربة الاستيلاء على ٢٠ الف بندقية ومائتى مدفع وبضعة ملايين من الطلقات وقد انتهت المعركة بسحق الجيش الاسبانى الى آخر رجل

وأرسل الاسبان جيشا جديدا قوامه ٥٠ ألف رجل فىالوقت الذى استمر عبد الكريم فيه متوغلا فى مناطق شمال الريف التى كانت فى ايدى الاسبان ثم تابع زحفه حتى وصـــلت الى مدينة سليلة •

وعاد الى الاشتباك مع الاسبان فى معركة (وادى لو) ودامت المعارك سبعة عشر يوما وتضعضعت قوة الاسبان وانهزموا وحقق جيش الريف انتصارات جديدة فى معارك دارا وشفشاون وغرغير واسر المراكشيون اكثر من ١٢٠ الف جندى من الاسبان •

ثم عمد الفرنسيون فى مؤامرة غادرة الى فتـــح جبهة اخرى للقتال ليمزقوا قوات المغاربة فى وادى وزعه الاعلى •

وخاض جيش الريف الحرب مع فرنسا بنفس البســالة فى معاركه مع اسبانيا واشتبك معهم فى معارك طاحنة طوال الثلاثة اشهر الاولى واستولى على اكثر من مائة مركز من مراكز الفرنسيين وغنم أسلحة كثيرة •

وفى أواخر ١٩٢٤ كان قد مر على مجـــاهدى الريف اربع سنوات وهم يخوضون المعارك ضد قوات الاحتلال وقد اتسعت أمامهم الجبهة وبدأت المجاعة تنتشر بين القبـــائل وزاد ـ الموقف حرجا أن الفرنسيين وحدوا قيادتهم مع الاسبان وطوقت القـــوات

الفرنسية والاسبانية منطقة الريف بجيش قوامة ٢٠٠ الف جندى وبذلك حالت دون وصول الامدادات الى المجاهدين فما أن جاءت سنة ١٩٢٦ حتى كانت القوات العربية قد انهكت تماما واضطرت الى التسليم ٠

وفى معركة (انوال)قتل المجاهدون من الفرنسيين اكثر من الف وجرحوا ثلاثة آلاف وفى معركة (واولو) قتل المجاهدون من الفرنسيين خمسة آلاف ٠

ولم يتوقف أهل مراكش عن المقاومة فانه عندما أقيمت فى مراكش محاكم البربر وعمد الفرنسيون الى احيـاء اللغة البربرية باصدار الظهير البربرى تجددت المقاومة وأستمرت ولم تتوقف ٠

وهكذا قاوم العرب الاحتلال فى كل مكان بقوة وعنف واصرار ودخلوا عشرات المعارك وشنوا عشرات الثورات ٠ ولم يتوقفوا قط عن تكبيد العدو الخسائر وكانوا فى خلال هذه المعارك يتطلعون الى الحرية والى اللحظات التى تمكنهم من أن يمدوا ايديهم الى الاجزاء من الاخرى من الوطن العربى ٠

وفى خلال هذه المعارك كان الشعر والادب يروى قصة الكفاح وكانت كل معركة فى المغرب يتجاوب صـداها فى العراق ومصر وسورية ، وكل معركة فى فلسطين تجد صداها فى تونس والجزائر ومراكش ٠٠٠

٢ ـ حركة القومية العربية فى خلال معركة الحرية

عاش العالم العربى بعد الحرب العالمية الاولى حتى حوالى عام ١٩٣٠ فترة عصيبة من المقاومة للاستعمار الذى اقام حجبا ضخمة بين الاجزاء العربية من الوطن العربى • اما الاستعمار الفرنسى فقد أغلق المنطقة العربية التى تبدأ بتونس وتضم الجزائر وتنتهى بمراكش نهائيا فى وجه باقى العالم العربى •

وقد حرص الاستعمار على فصل الجنـــاح الغربى الافريقى للقومية العربية • وعزله عن مصر والشــــام والعراق والجزيرة العربية • ومع ذلك فقد فشل الاستعمار الفرنسى فى ذلك فقد هاجر الى مصر كثيرون من اعلام الجهاد (١) والفكر واذاعوا دعوة الحرية فيه وكشفوا عما يقوم به الاستعمار الفرنسى من مجازر فى اوطانهم•

ولقد ظلت الدعوة الى الوحدة العربية على لسان الزعماء والقادة والمفكرين والشعراء طوال هذه الفترة • فالكاظمى شاعر العراق حين ينتقل من بغداد الى القاهرة ويقيم فيها يحس أن أفق الدعوة الى الوحدة الكبرى قد اتسع به فيقول :

أحن اذا قيـــل العراق وانحنى ... واشهق ان قيل الشـــام وازفر
واطرق ان قيل الحجاز على جوى ... واعجب اذا ما قيـــل مصر وابهر
جميع بلاد العرب فى القدر واحد ... اذا وزنوا البلدان يوما وقدروا

---

(١) من هولاء
محمد الخضر حسين ، عبد العزيز الثعالبى
علال الفاسى ، عبد الحميد بن باديس

اذا ماتوالى جرحنا وتعـــذرت　　مراهمه فالجرح للجـرح مرهم

ويقول محمد رشوان شاعر القدس

امة العرب يابنة المجد عودى　　وانشرى للانام عهد الجـدود
فى ثنايا ردائك السابغ المعطار　　نفح العلاء والتخليـــــد
انك اغرودة الزمان وفى ذكرك　　يحلو لديه عذب النشـــيد
نحن أبناؤك الالى ندفع الضيم　　ونمشى على شفار الحديـــد
نبذل النفس طائعين لاسـعادك　　يا امة الفخار التليـــــد
لتعيدى مجدا بناه الغطـــاريف　　اباة من الكماة الصـــيد
أمة العرب لاتنام على ضـــيم　　ولو كان فى جنان الخلــود

ويصور محمد رضا الشبيبى روح القومية العربية ممثلا فى الشوق الى الاجزاء التى قامت السدود دونها والحواجز ٠

بغداد اشتاق الشـام وها انا　　الى الكوخ من بغداد جم التشوق
فما انا فى ارض الشـام بمشئم　　ولا انا فى ارض العراق بمعرق
هما وطن فرد وقـد فرقوهما　　رمى الله بالتشتيت شمل المفرق

وعندما زار الزعيم عبد العزيز الثعالبى بغداد عام ١٩٢٥ صـور الرصافى روابط الوحدة العربية بين بغداد وتونس فقال : ـ

اتونس ان فى بغداد قومـا　　ترف قلوبهـم لك بالوداد
ويجمعهم واياك انتسـاب　　الى من خص منطقهم بضـاد
فنحن على الحقيقة اهـل قربى　　وان قضت السياسة بالبعـاد

وفى المهجر كان مفهوم العربية بين شعراء العرب واضحا ، يقول الشاعر القروى (رشيد سليم خورى) « العروبة عندى ان يشعر اللبنانى ان له زحله فى الطائف ويشـعر العراقى بان له

فراتا فى النيل · هى دم ذكى يجرى مع عروق الجسد الواحـــد اعضاؤه الاقطار العربية وكل ما يعوق دورة هـــذا الدم يعرض الجسد كله للاخطار ·

ويصور امين الريحانى الذى قام برحلة من مهجرة الى العالم العربى وقابل ملوكه وبحث قضية الوحدة العربية ، انى وان كان لبنان وطنى الصغير وسورية وطنى الكبير انتســــب الى البلاد العربية وطنى الكبير وانتسب الى الامة العربية وطنى الاكبر · وانى وان كانت المسيحية دينى ودين اجـــدادى ، ادين بدين كل من اقام حقا وازهق باطلا · بل ادين بدين فلاسفة العرب وشعرائها الكبار كالغزالى وابن الفارض والمعرى وأبى العلاء · بل ادين بدين كل من قال بالوحدة العربية وتجديد مجد العرب ·

وعبد الحميد باديس قائد الفكر العربى فى الجزائر والرجل الذى قاوم الاستعمار الفرنسى بالتعليم وحمـــاية اللغة العربية وانشاء المدارس لا ينسى فى خلال معركته مع الاستعمار الفرنسى ان يربط كفاحه فى سبيل الحرية بكفاحه فى سبيل الوحدة : يقول « ان لنا وراء هذا الوطن الخاص اوطانا اخرى عزيزة علينا هى منا على بال ونحن فيما نعمل لوطننا الخاص نعتقد انه لا بد ان نكون قد خدمناها واوصلنا اليها النفع عن طريق خدمتنــــا لوطننا الخاص ·

ثم صور رشيد سليم الخـــورى دعوته الى القومية العربية بقوله : ـ

هبونى عيدا يجعل العرب امة   وسيروا بجثمانى على دين برهم

هذه هى صورة الفكر فى هذه الفترة التى كانت أقطـــار العالم العربى المجزاة تكافح الاستعمار وتصارع فى سبيل الحرية·

ولكنها ما كادت تحس بشيء من القدرة على التقاط انفاسها حتى اتجهت لتتلفت الى جارتها من الاجزاء التى انفصلت عنها ٠

وقد كان لتنقل بعض الكتاب بين الاقطار العربية أثره في تعزيز الدعوة للوحدة العربية حتى ان محمود عزمى وهو الغربى النزعة اضطر بعد زيارته لبعض أقطار العالم العربى أن يعرض للدعوات التى كانت تثار اذ ذاك من الرابطة الشرقية والجامعة الاسلامية والوحدة العربية فقال : الرابطة العربية فى نظرى أمتن الروابط التى يصح أن تقوم مساعينا واحتماله فى سبيل التكيف الجديد المتمشى معروح العصر ٠ بل انها هى الرابطة الوحيدة التى يجب أن يستند اليهـا تطورنا المحتوم ٠

ومعنى الرابطة العربية انها تلك التى تستند الى حوادث التاريخ التى وجدت بين نوع التفكير ونوع الحياة وأساليب الحكم وقواعد الاقتصاد فى تلك الكتلة المتصلة من المحيط الاطلنطى الى الخليج الفارسى ٠ والثقافة والحضارة والمثل الاعلى انما هى العناصر الفعالة فى توحيد الاتجاه وهى انما تقوم على واقع جغرافى وعلى واقع اجتماعى يؤيدهما واقع روحى عظيم أيضا وهى أمور لم تتوافر للرابطة الشرقية ولا للرابطة الاسلامية « وقد كتب محمود عزمى هذا عام ١٩٣٣ مما يؤكد انهيار حزب الدعوة الى الوطنية الضيقة حتى بين صفوف حماة الثقافة الغربية فى مصر ٠

وقد تعددت الاحاديث والكتابات فى هذه الفترة عن الوحدة العربية وكان أبرز الكتاب عبد الرحمن عزام وعبد الرحمن شهبندر وساطع الحصرى ونقولا زيادة ٠ وقد أشار عبد الرحمن شهبندر الى المعنى الذى أكدناه من أن الاقطار العربية بعد أن حصلت على الاستقلال حين عقدت مصر والعراق وسورية معاهدات منحتها الاستقلال الذاتى مع بقاء قوات الاستعمار بها ، تساءلت « ماذا بعد الاستقلال ، كان

الضمير العربى يسأل ماذا يفعل العرب بعد أن يتحرروا من الاستعمار الذى مزق وحدتهم • هل سيقفون موقفهم من التجزئة أم سيكون ذلك عاملا لتلاقيهم فى الوحدة الكبرى •

يقول عبد الرحمن شهبندر : لا غرو اننا نجـــد الشعوب العربية والتى شعرت بالروابط الثقافية والاجتماعية الاساسية التى تربط بعضها ببعض تهب من رقدتها فتجد فى هذه الروابط من عوامل التضامن والتضافر والاتحاد مايعد فاتحة انقلاب سياسى خطير فى القرن العشرين •

ونظرة واحدة على المصور الجغرافى تدل على المقام الرفيع الذى يتمتع به عالمنا العربى فهو يقف جبهة واحدة منضمة متشــابهة من خليج الاسكندرونة من الطرف الشمالى للجانب الشرقى من البــحر المتوسط الى مضيق جبل طارق من الغرب •

وحسبك من هذه الاقطار أن تذكر اسمها فقط لتعلم انها أقطار تجمع بينها أواصر اللغة والعقيدة والتاريخ الشىء الكثير من لحمـة النسب وهى تعلم أن ماضيها متشابك ومستقبلها يدور حول مركز واحد • فاذا قدر لاهلها أن يحصلوا أولا على حريتهم الموضعية ثم على تعاونهم الشامل فان قسطاس السياسة العالمية يصبح بيدهم •

ويقول عبد الرحمن عزام : اذا قيـــل للعرب انهـــم على أبواب الخروج للعالم بالدولة التى تليق بعظمتهم التاريخية ظن المرتابون اننا نسبح فى حلم لذيذ • ليس بين العرب وبعثهـــم مرة أخرى الا أن يؤمنوا بأنفسهم وأن يؤمنوا بوجودهم فقد افتتنوا بعظمة غيرهم حتى نسوا ذلك الوجود • ولقد أتيح لى أن أخالط الشعوب العربيـــة فى أفريقيا وآسيا بالرغم من الحدود المصطنعة التى تفصل بين الشعوب

وبين الاستعمار الاوربى الذى يعمل على حل عرى الوحدة فيهـا فان الامة العربية الحديثةوحدة اجتماعية وثقافية وليدة تاريخ مشترك لها خواصها الظاهر والخفية التى تميزها عن غيرها من الشعوب والامم بعد أن خاض الكيان العربى معركة الحرية بالثورات والحروب وحصل على الاســـتقلال الذاتى بدأ يخوض معركة جـــديدة هى المعركـة الفكرية ٠

٣ ـ مقاومة التغريب جزء من معركة القومية العربية

كان لابد للاستعمار ـ وهو العدو الاول للقومية العربيـــة ـ وخالق نظام التجزئة بعد أن واجه « معركة الحرية » أن يحقق لهذه الدول التى صنعها وخطط حدودها نوعا من الاستقلال الذاتى تقوم به دساتير وحكومات وحياة نيابية وأن يبدأ معركة جديدة لتثبيت هذه الحدود بالقضاء على وحدة اللغة والفكر والتاريخ وأن يجنـــــد الكتاب والصحف والدعاه وبعض الاحزاب لهذا الغرض ٠

والمعركة هذه المرة « معركة فكرية » وقد دخلتها الامة العربية بنفس القوة وقاومتها بنفس الاسلحة ٠

تتمثل هذه الحركة فى : عملية تمزيق الجبهةالداخليةبواسطة :

١ ـ قيام الاحزاب السياسية التى تتصارع على الحكم فى ظل الاقطاع ٠

٢ ـ قيام الدعوات الفكرية التى تعمد الى احياء الحضـــارات القديمة ٠

٣ ـ قيام دعوات العنصرية والجنس والخلاف بين آلاديان وبين مذاهب الاديان ٠

٤ ـ الصراع بين الملوك والحكام والامراء ٠

٥ ـ انتشـــار حملات التبشير والتنصير والتشـــكيك فى الاديان ٠

لقد أحس الاستعمار أن هذه الاجزاء التى اقتطعت والحــدود التى أقيمت لابد أن تتنادى بعدمابدأت تحس بحريتها الداخلية فكان

لابد من الضغط عليها بعنف فى معارك فكرية ودعوات ومذاهب بالغة الخطر تبلبل الفكر ٠

وكانت هذه المذاهب والافكار تتضارب وتتصارع فى عنف يمزق الجبهات الداخلية فى الوطن العربى بحيث لايجد الفرصة للالتقاء على الرأى ٠

كما أثار الاستعمار عددا من قضايا التشكيك فى كيان الأمة العربية وعقليتها ولغتها ودينها ٠

أهم هذه الدعوات :

(١) «العقلية الغيبية» ٠

ان علم العرب وفكرهم قائم على الاسلوب الغيبى ٠ وأن العرب لم يعرفوا التجربة فى العلم وان عقليتهم عقلية غيبية جزئية تتنقل من الجزء الى الجزء دون أن تربط بين الاجزاء ولا تبحث فى المقدمات والنتائج ولا تعنى بالتحليل ٠ وقد رد على هذه النظرية بالدليل القاطع بأن العرب عرفوا نظرية المعرفة قبل الغرب سبعة قرون ، وقد قال (ابن حزم) ان المعرفة تكون أولا بشهادة الحواس أى بالاختيار التى تقع عليه الحواس ، وببرهان راجع من قرب أو بعد الى شهادة الحواس وأولها العقل ٠

(٢) « السامية والاريه » :

كما أثار الغرب نظرية الاجناس وقال ان هناك فروقا جوهرية وجسمانية وذهنية بين الاريين والساميين ٠

وهى نظرية استعمارية استغلها الاستعمار فى الفتح والتوسع تحاول أن تجعل للبيض المستعمرين سيادة فى العقل نتيجة اختلاف

العرق وترى هذه النظرية انه مادامت هناك شعوب عليا وما دام قانون الطبيعة يعطى الغلبة للآرى المتفوق فان من حقه أن دكووله السيطرة وأن الجنس الابيض تفرد بكل الخلق العظيم وأن ماعداه من الاجناس عالة عليه ·

وقد كذبت هذه النظرية ودحضت بالادلة والبرهان اذ اعترف أساتذة علم الاحياء بفسادها بعد أن رأوا أن الجماجم الآرية تشبه جماجم أقزام القرون الوسطى وأن شعورهم وجلودهم ومميزاتهم الجسدية تتمتع بها كثير من القبائل والشعوب · كما تأكد ان ادعاء الارين بأرجحيتهم وحصر مظاهر القوة والجمال والذكاء فيهم هو مجرد وهم باطل ·

فقد أثبتت الشعوب السامية المجد والعظمة والبطولة فى مختلف أدوار التاريخ وان الحضارات التى قامت على شاطىء النيل وبين دجلة والفارت وفى الشام واليمن حضارات سامية سبقت حضارة أوربا وقد قامت يوم كان الجرمان والفرنك قبائل بربرية تعيش عيشة بدائية ·

(٣) تشويه الحضارة العربية :

كما جرى اتهام الحضارة العربية بأنها لم تكن الا مجرد مرحلة حفظ حماية لحضارة اليونان والرومان وانهم لم يكونوا أكثر من نقلة لهذه الحضارة · وقد رد كتاب الغرب المنصفون أنفسهم أمثال سيريو ودوزى ولوبون على هذه المزاعم : يقول سيديو فى كتابه تاريخ العرب العام :

ان مغازى العرب خلال اقامتهم فى القرنين الثامن والحادى عشر بجنوب فرنسا أسفرت ولا ريب عن آثار لاتزول فى لغتنا · وان نفوذ العرب كان باديا فى مختلف أدوار تاريخنا لا فرق فى ذلك بين زمن

الغزوات الاولى وزمن الحروب الصليبية ونحن مدينـــون للعرب فى الحقل العلمى ٠

وقال دوزى : ان العرب هم أساتذة العالم وزارعو بذورالعلوم والفنون والعالم اليوم من زرعهم يقتطف ٠ ولا ينـــكر ذلك الا من لايعرف اليمين من الشمال ٠

وقال بيرتمام توماس : لقد كان أثر العرب بعيدا فى مدينةالقرون الوسطى ، حتى أن كلمة العرب أصبحت سائغة التداول فيما يتعلق بالقضايا الثقافية٠ ولولا العربلم تبلغ الحضارة مابلغته اليوم٠ ان من الأمور التى تدهش العقل هؤلاء العلماء العرب على التغييروالجمع٠

وقال لوبون : ان العرب لم ينقلوا حضارة اليونان والرومان فحسب ولكنهم زادوا عليها وأضافوا اليها ٠ ان مؤلفاتهمظلتالمرجع الوحيد لجامعات أوربا وقتا طويلا ٠

العمل من أجل التجزئة

ولم يتوقف الاستعمار عند بلبلة الفكر بالنظريات بل حاول اتخاذ خطوات عملية فى سبيل « تثبيت التجزئة » كان أهمها الحفريات وكتابة التاريخ ٠

فقد نشط الاستعمار الى احياء التاريخ القديم فى كل قطر ، ونشطت الحضريات للبحث عن آثار هذه الحضارات القديمة فى كل من العراق وسوريا ولبنان ومصر رغبة فى القضاء على الوحدة والحيلولة دون التجمع ودعم التجزئة ٠ ونشط الكتاب المستغربون فى الحديث من حضارات البابليين والاشوريين والكلدانيين والحيثيين والفيين والفراعنة والمفاخرة بالعصور البائدة ومحاولة الكشف عن حضارة وثقافة لها ٠ وتبرع المليونير الامريكي روكفلر بملايين الجنيهات لمواصلة البحث عن آثار الفراعنة ٠

وألفت فى البلاد المحتلة لجان لكتابة تاريخها الانفصالى مرتبطا بالعهود الآرامية والفينيقية واليونانية والرومانية ٠

وكانت الدعوة تجرى الى أن يكون الادب مصريا فى مصر وسوريا فى سوريا وعراقيا فى العراق ٠ ونادى الاستعمار بنظرية الفن للفن ٠ والادب للادب مستهدفا منها عزل الادب الفكر عن قضية الحرية والمقاومة والتجمع للوحدة ٠ وصرفه عن الواقع وايداعه الابراج العاجية ونقله الى قصور الف ليلة ٠ فاذا عجزوا عن حصره فى هذا الاتجاه صرفوه الى الادب الانسانى الواسع ٠

وجرى اتجاه الكتاب الى نقل الحضارة نقلا كاملا « مايحمد منها

وما يعاب » وأعلن بعض الكتاب أن مصر جزء من أوربا وليست من العرب ٠

(٢) اللغة العربية :

واتجه الضغط الى اللغة العربية فى عنف ٠ وذلك بان اللغة العربية هى المقوم الاول للقومية العربية ولذلك فقد اتسعت دعوات اشاعة اللهجات المحلية فى الكتابة والاذاعة ٠ وهذه الدعوة قد بدأت فى مصر منذ عهد بعيد ٠ فى خلال العشرينات من القرن العشرين وجرى القول بالغاء الاعراب وتسكين أواخر الكلمات ٠ وفى سوريا اتسعت هذه الدعوة لتغليب اللغة العامية السورية على الفصحى ٠ واستند الدعاة الى أسباب باطلة هى أن اللغة العامية أوفق تعبيرا وأدق معنى ٠

وفى هذا الطريق اتجه كثيرون من عملاء التغريب ودعاة التجزئة فقد ألف أحد قضاة محكمة الاستئناف من الانجليز (القاضى ولمور) كتابا أسماه (لغة القاهرة) وضع فيه قواعد للعامية ودعا وليم ولكوكس مهندس الرى الى هجر اللغة العربية وخطا بدعوته فترجم الانجيل الى ماسماه باللغة المصرية ٠

وجرت الدعوة الى كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية ٠

وفى الجناح الافريقى من الامة العربية عمل المستشرقون على احياء دراسة اللهجات البربرية وقواعدها لاحلالها محل اللغة العربية وانشئت لذلك مدارس خاصة ٠ وعمل الاستعمار فى كل من تونس والسودان والجزائر ومراكش وليبيا ومصر على تغليب اللهجات المحلية حتى يتفرق العرب ولا يفهم قطر لهجة القطر الآخر ٠ وبذلك ينفرط عقد القومية العربية ٠ وهاجم المستشرقون الفرنسيون حروف الهجاء العربية وقواعد النحو ولكن العرب لم يتوقفوا عن حماية اللغة العربية

وكان الازهر والزيتونة والقرويين والنجف تحمى اللغة وتذيعها ٠ كما قام عبد الحميد بن باريس والبشير الابراهيمى فى الجزائر بانشاء ثلاثمائة مدرسة للغة العربية فى المساجد والزوايا ٠

وقد اعترف شيخ المستشرقين (جب) بعجز حركة التغريب عن النيل من قوة اللغة العربية والعجز عن مقاومة تيارها الضخم الجارف ٠ وقال انها أبرز مظاهر الوحدة وانها لغة الثقافة الوحيدة٠ وقال المستشرق وليم وول أن اللغة العربية لم تتقهقر قط أمام أى لغة أخرى من اللغات التى احتكت بها ٠ وينتظر أن تحافظ على كيانها فى المستقبل كما حافظت عليه فى الماضى ٠ وان التباين (الجزئى) بين اللهجات العربية لابد أن يزول وانه لايعقل أن اللغة الفرنسية والانجليزية تستطيع أن تحل محلها ٠

وقد تلخصت معركة اللغة العربية فى (١) تغليب اللغة العامية (٢) القضاء على العربية باللغات الفرنسية والانجليزية (٣) خلق حروف لاتينية بدلا من العربية ٠

وواجه الكتاب العرب المعركة فى قوة وبسالة وتعددت الكتابات فى مختلف أنحاء العالم العربى تدافع عن العربية بحق ٠ وفى نفس الوقت الذى كان الكتاب المستغربين يهاجمون اللغة كان أمثال كوتهيل يقول ان اللغة العربية لغة مرنة لينة ذات مادة تكاد لاتفنى وقدل وليم ورل : ان فى اللغة العربية لين ومرونة يمكنانها من التكيف وفقا لمقتضيات العصر ٠

(٣) التعليم :

كان الاستعمار قد اتخذ من التعليم وسيلته الكبرى لمحاربة القومية العربية فقد حرص على أن يقصى عن مناهجه كل حديث عن الحرية أو الوحدة أو أمجاد التاريخ أو عظمة اللغة العربية ٠ وكانت

المناهج تحرص على أن تعلم معظم المواد باللغة الاجنبية وترسم صورة للبلاد على انها عاشت حياتها محتلة بمختلف الدول وان الاستعمار القائم هو الوسيلة الحقيقية لرفع مستواها وان التقدم مرتبط بالحضارة الغربية والدولة المستعمرة وقد حرص الاستعمار البريطانى فى مصر أن يذيع فى كل دروسه أن المصريين لم يكونوا مستقلين فى عصر من العصور بل تقلبوا من جيـــل الى جيـــل تحت نير الفرس والرومان والعرب والجركس وأخيرا الاتراك وانه لايوجد الا عصر الفراعنة المظلم الذى يظن أن المصريين حكموا فيه أنفسهم ٠

وقد جرى بعض مفكرينا وراء هذا الاتجاه فاعتبروا أن العرب أمة غازية احتلت مصر والى ذلك عمـد الاســـتعمار البريطانى فى العراق ٠

أما الاستعمار الفرنسى فى تونس والجزائر ومراكش فقد عمد الى فرنسة السكان بكل الوسائل الممكنة وكانت المدارس واسطة هذه هذه الغاية ٠ ولذلك جعلت فرنسا اللغة الفرنسية لغة التعليم فى جميع المدارس الفرنسية العربية على نفس مناهج فرنسا ٠ أما اللغة العربية فهى لغة اختيارية يتعلمها من يرغب من الطلاب خارج أوقات الدروس المقررة ٠

وهكذا سارت المعركة الفكرية فى ضربات تغريبية موجهة من الاستعمار ورد عليها من جبهة المؤمنين بالامة العربية والقومية العربية ثم ظهر فى الافق عامل جديد هو فلسطين ٠

أثر فلسطين

كان لفلسطين أثرها الواضح فى حركة القومية العربية فى فى هذه الفترة ، فقد تعالت الصيحات فيها حتى كان أول اجتماع بعد الحرب العالمية الاولى يضم العرب الى مائدة واحدة مع غيرهم من الدول الاسلامية هو مؤتمر فلسطين سنة ١٩٣٢ فى القدس – ثم تعددت الثورات حتى كانت ثورة فلسطين الكبرى سنة ١٩٣٦، هنالك تأكد الاحساس بأن المؤامرة لانتزاع فلسطين من الوطن العربى اوشكت أن تتم • هنالك ارتفعمد القومية العربية وبدأ يأخذ وضعا اشد قوة وحياة •

ووقف بشارة الخورى يصيح فى آذان العرب •

سائل العلياء عنا والزمانا — هل حفزنا ذمة مذ عرفانا
المروءات التى عاشت بنا — لم يزدها العنف الا عنفوانا
ياجهادا صفق المجد له — لبس الغار عليه الارجوانا
شرف تاهت فلسطين به — وسماء للمعانى لا تدانى
ان جرحا سال من جبهتها — لثمته بخشوع شفتانا
يا فلسطين التى كدنا لما — كابدته من أسى ننسى أسانا
نحن يا اخت على العهد الذى — قد وضعناه من المهد كلانا
يثرب والقدس منذ احتلما — كعتبانا وهوى العرب هوانا
شرف الموت وأن نطعمه — انفسا جبارة تأبى الهوانا
انشروا الهول وصبوا ناركم — كعبتانا وهو العرب هوانا
غذت الاحداث منا انفسا — لم تزل تجرى سعيرا فى دمانا

وتنادى الشعر والادب فى كل أجزاء الوطن العربى وعلت

الصيحة حتى أصبحت دويا وطنيا عاليا . كان معنى هذه الصيحة أن يتحول الفكر الى عمل .

لقد بدأ صوت القومية العربيـــة يعلو فى كل مكان . كانت فلسطين هى بؤرة اليقظة قبل أن تقع الكارثة . ومن كل مكان فى الوطن العربى تكشف روح القومية العربية .

ومن أقصى نقطة للوطن العربى على حدود الخليج الفارسى حيث دعـا أحد قادة الحركة الوطنية والفكرية الى تنسيق الكفاح العربى حتى يتحقق تكوين «الشمول» فى التفكير العربى وحتى لا يبقى اقليم من أقاليم الامة العربية ينظر الى مصالحه الخاصة وحدها وهو فى الحقيقـة جـزء من صالح عام عربى ذلك من أجـل التحرر الكامل والانبعاث العظيم » .

وهكذا انبعثت الصيحة من جديد من كل مكان الى عمل يوحد العرب

ولكن هل كان فى الامكان أن يتحقق شىء للامة العربية يحطم عوامل التجزئة ويدفع تيار النهر الى مجراه فى طريق الوحـــدة الكبرى .

كانت مشـــاعر الشعب العربى بعد الحصول على الاستقلال تتحرك فى مختلف الاتجاهات لتلتقى وتترابط من جديد . ولكن الاستعمار وحكوماته التى فرضها كان يدبر للخطوة التالية .

كان يعمل على أن لايقاوم التيار بل يسايره ثم يحـــوله الى خدمة أغراضه وهو فى ذلك يحقق هدفه النفسى المعروف . التنفيس عن المشاعر المحبوسة حتى يبددها دخانا فى الهواء .

• دخلت حركة القومية العربية مرحلة جديدة بعـــد أن جمعت محاولة سلب فلسطين العرب الى الوحدة واستطاع الاستعمار أن يجرى مع التيار على أن يسلم الحركة الى أعوانه لتحقيق أهدافه .

محاولة لتحقيق الوحدة : الجامعة العربية

لم ينقطع الامل يوما فى العودة الى العمل فى سبيل الوحدة العربية فى عام ١٩٣١ بعد ان دخلت العراق وسوريا عصبة الامم وتم الاتفاق بين العراق والمملكة السعودية بدأ الحديث يتجدد عن « حلف عربى » ٠

وتلفت المفكرون الى مصر فنشر أحد دعاة القومية العربية فى صحف العراق يدعو مصر الى قيادة الحركة ، قال ساطع الحصرى : لقد زودت الطبيعة مصر بكل الصفات والمزايا التى تحتم عليها ان تقوم بواجب الزعامة والقيادة فى انهاض القومية العربية لانهـــا تقع فى مركز البلاد العربية بين القسمين الافريقى والآسيوى منها كما أنها تكون أكبر كتلة من الكتل التى انقسم العالم العربى اليها بحكم السياسة والظروف ٠ وكل ذلك من الموقع الجغرافى الى الكثرة والثروة العامة ومستوى الثقافة وتشكيلات الدولة وانتشار الادب والفصاحة مما يجعل مصر الزعيمة الطبيعية للقومية العربية (١) ٠

غير أن هذه الدعوة وجدت فى مصر مقاومة من المفكرين ذلك ان بريطانيا فى خلال التهيئة لعقد معاهدة ١٩٣٦ وبعدها كانت قد فرضت جوا عنيفا من الدعوة الى الاقليمية الضيقة والاتجاه نحـــو الغرب ٠

وصدرت مؤلفات تنحو هذا النحو وتهاجم القومية العربية ٠ وقد رد أحد كتاب مصر المرموقين فى هذه الفترة على رأى ساطع الحصرى بقوله« ان الفرعونية متأصلةفى نفوس المصريين وانهاستبقى كذلك بل يجب أن تبقى وتقوى ٠ لا تطلبوا من مصر ان تتخلى عن مصريتها ، ان الاكثرية الساحقة من المصريين لا تمت بصلة الى الدم

العربى بل تتصل مباشرة بالمصريين القدماء » . وقال ساطع الحصرى : ان دعاة الوحدة العربية لم يطلبوا من المصريين لا ضمنا ولا صراحة ان يتنازلوا عن مصريتهم ، بل انهم يطلبون اليهم ان يضيفوا الى شعورهم المصرى الخاص شعورا عربيا عاما ، الى فكرة الوحدة العربية لا تستند الى العاطفة وحدها بل تستند الى المنفعة أيضا » .

وأخذت سوريا تدعو الى الوحدة العربية وتحمل لواءها مرة أخرى عندما مضى كتابها (*) يدعون الى البدء بوحدة اقتصادية وثقافية بين الاقطار العربية .

وجرى الربط بين مصر والشام باعتبارهما انضج دولتين ، مذكرا بتلاقى مصر والشام من زمن بعيد باعتبارهما بوابتى آسيا وافريقيا . واستمرت الدعوة الى الوحدة العربية على أساس التعاون الثقافى وطالب مفكرون عرب(*) بعقد ميثاق عربى يؤكد عوامل التقريب اقتصاديا واجتماعيا وجرت مناقشات وابحاث انتهت بالعمل على اساس التدرج لتحقيق الدولة الاتحادية العربية .

وكان قادة العرب من مختلف الاقطار العربية قد تلاقو مع بعض زعماء المسلمين فى القدس عام ١٩٣٢ من أجل فلسطين لانشاء شركة عربية لانقاذ فلسطين ثم تلاقوا فى بلودان ١٩٣٧ فى مؤتمر أعلن أن فلسطين جزء لاينفصل من الارض العربية وطالب بوقف هجرة اليهود اليها .

وفى عام ١٩٣٨ عقد فى القاهرة مؤتمر برلمانى للدفاع عن فلسطين .

وفى لندن عقد ١٩٣٩ مؤتمر حضره زعماء العرب لبحث قضية فلسطين .

(*) شكيب ارسلان
(*) عبد الرحمن شهبندر

وكان هذا اللقاء مقدمة لعمل فى طريق الوحدة العربية ٠

وفى خلال هذا التطور الشعبى الذى قام على أساس ايمان أحرار العرب واستجابة لمشاعر الامة تنقل نورى السعيد رئيس وزراء العراق والمعروف باتجاهاته فى العمالة البريطانية بين بيروت ودمشق والقاهرة ١٩٣٨ يحمل فكرة تكوين دولة عربية كبرى تضم العراق وفلسطين وشرق الاردن ٠ وقد أذاع عبارات براقة « ان الوحدة العربية يجب أن تتحقق لا للدفاع عن كيان البلاد العربية فحسب وانما بتشجيع تبادل المعونة فى الميادين الثقافية والعلمية والصناعية ٠

ثم كانت الحرب العالمية ١٩٣٩ وتضاعف القاء الاضواء على الوحدة العربية من جميع الجهات ٠ فقد بدأت الدول الاوربية خلال الحرب تخطب ود العرب وأقامت بريطانيا وألمانيا أقساما عربية فى اذاعاتها ٠ ووجهت برامجها الى العالم العربى للدعاية متنافسة فى استرضاء شعور العرب وتملقهم ٠ وظهرت نشرات ثقافية باللغة العربية من مكاتب الدعاية فى هذه الدول تتحدث عن أمجاد العرب وعظمة لغتهم وبطولة اعلامهم ومكانة حضارتهم وبذلك أخذت الوحدة العربية تتشكل على نحو جديد ٠

وفى مصر تحدث بعض الساسة المصريين غير المسلمين يعلنون ان « المصريين عرب وأن تاريخ العرب سلسلة متصلة الحلقات ٠ بل هى شبكة محكمة العقد ٠ وان رابطة اللغة والثقافة العربية عند العرب أوثق منها فى أى قطر من اقطار الارض ٠ وقال « ان ابناء العروبة فى حاجة الى أن يؤمنوا بعروبتهم وبما فيها من عناصر قوية استطاعت ان تبنى حضارة زاهرة ٠ وقال « نحن عرب من هذه الناحية ومن ناحية تاريخ الحضارة العربية فى مصر وامتداد أصلنا

(*) مكرم عبيد

القديم الى الاصل السامى الذى هاجر الى بلادنا من الجزيرة العربية فالوحدة العربية حقيقة قائمة وهى موجودة ولكنها فى حاجة الى تنظيم(*) .

وتكونت جماعات فى اوائل الحرب العالمية الثانية فى القاهرة من شباب عراقيين ومصريين وسوريين وفلسطينيين للدعوة للوحدة العربية .

ثم أعلنت فى القاهرة جمعية (الاتحاد العربى) ١٩٤٢ جعلت هدفها تنمية العلاقات وتقوية الروابط بين الاقطار العربية وابرزت ان « وحدة اللغة هى الاساس الذى اتجهت اليه الفكرة فى مظهرها الحالى » وقامت لها فروع فى بغداد ودمشق وبيروت والقاهرة ودعت الى محاولة كيزها فكرة الوحدة العربية فى اتحاد شعبى .

وفى ظل هذه الاحـــــداث والخطوات التى امتدت وتشعبت وقامت على أســـــاس شعبى فى ظل أحداث فلسطين التى كانت مصدر هذا التكتل وقوامه . اعلن ايدن تصريحه هذا التصريح الذى ارتبط بثورة رشيد الكيلانى فى العراق وجاء بعد القضاء عليهـــا وقمعها . وكان معنى هذا ان الاستعمار يحـــاول ان يجرى مع التيار ليستغله لمصلحته أو يحوله الى دخان يتبخر فى الهواء .

كان هدف الاستعمار :

× توحيد الجبهة العربية فى الحرب العالمية لمصلحتها .
× تحقيق قيام دولة اسرائيل فى ظل تكوين الو[illegible]
× تحويل الوحدة العربية من عمل شعبى الى عمل حكومى .
× تسليم الحركة الى انصار بريطانيا .
× محاولة جعل المنطقة خاضعة لما تخضع له [illegible] من معاهدات .
× اقامة دعوات انفصالية لها كيان فكرى مستقل (*)

وبالنظر الى هذه الحركة التى امتدت نجد ان جانبا منها كان صادرا من مشاعر الشعب العربى الحقيقية ٠ وان جانبا آخر كانت هنــاك دوافع من ورائه كتصريحات الساسة الذين كانوا مرتبطــين ببريطانيا فى مصر والعراق ٠ وقيام جماعات اشترك فيها بعــض الموالين للاستعمار ومما يذكر أن أصحاب المقطم كانوا يوجهـــون جمعية « الاتحاد العربى » بالقاهرة ٠

ولكى نحدد الصورة نسجل تصريح مستر ايدن وزير خارجية بريطانيا الذى ادلى به فى ٢٩ مايو ١٩٤١ بعـــد ان قعمت ثورة العراق بمؤامرة بريطانية حين طعن جلوب باشـــا الثورة بتدخله بواسطة الفيلق العربى لحساب بريطانيا ٠ قال : ان العالم العربى قد خطـــا خطـوات عظيمــــة منذ التسـوية التى تمت عقب الحرب الماضية ٠ ويرجـــو كثير من مفـــكرى الغرب للشعوب العربية درجة من الوحدة أكبر مما يتمتـــع بها الآن وان العرب ليتطلعون الى نيل تأييدنا فى مساعيهم نحو هذا الهدف ٠ ويبدو لى أنه من الطبيعى ومن الحـــق وجـــوب تقوية الروابط الثقافية والاقتصادية بين البلدان العربية وكذلك الروابط السياسية ايضا٠ وسوف تبذل بريطانيا تأييدها لاى خطة تلقى موافقة عامة ٠

وكان معنى هذا أن أعوان بريطانيا فى المنطقة يجب أن يبدأوا العمل ولذلك فان المشروع الذى تقـــدم به (نورى السعيد) كان هدفه ربط الدول العربية تحت نفوذ بريطانيا بوحدة عربية تتحكم فيها او توحيد الدول العربية فى صف بريطانيــا ٠ واستخلاص سوريا.ولبنــــــان من سيطرة النفوذ الفرنسى وهو ما اطلق عليه البريطانيون « حلف يسهل التعامل معه »

وكان مشروع نورى السعيد الذى يطلق عليه « الكتـــاب الازرق » الذى رفعه الى مستر كيسى وزير الدولة البريطانى فى

القاهرة فى مطلع عام ١٩٤٢ هو اول محاولة فى هذا الصدد وأبرز ما يشمل المشروع :ـ

١ يعاد توحيد سوريا ولبنـــان وفلسطين وشرق الاردن فى دولة واحدة ٠

٢ ـ انشاء عصبة أمم عربية ٠

٣ ـ ضمان مستقبل الوطن القومى اليهودى فى وضعه الراهن فى فلسطين مع جميع امكانيات قيام شبه حكم ذاتى يتطور مستقبله فى نطاق سوريا كبرى وجامعة عربية

٤ ـ يمنح اليهود فى فلسطين شبه حكم ذاتى ويكون لهم الحق فى ادارة أقاليمهم فى المدن والريف ٠

٥ ـ تكون القدس مدينة مفتوحة لمعتنقى جميع الاديان ٠

٦ ـ يمنح الموارنة فى لبنان نظاما خاصا اذا طالبوا بهذا ٠

وكان هذا المشروع بداية انقسام الرأى بين العرب ٠

جدد « ايدن » بتصريحه فى ٢٤ فبراير١٩٤٣ «عطف» بريطانيا على أمانى العرب فى الاتحاد « ان الحكومة البريطانية تنظر بعـين العطف الى كل حركة بين العرب لتعزيز الوحدة الاقتصــــادية والثقافية والسياسية ولكن من الجلى ان الخطوة الاولى لتحقيق أى مشروع يجب ان يأتى من العرب انفسهم ٠ والذى اعرفه انه لـم يوضع حتى الان مثل هذا المشروع الذى ينال استحسانا عاما ٠ »

وقد جاء هذا التصريح بعد انتصار الحلفاء فى معركة العلمين وفى ظل حكومات ترضى عنها بريطانيا فى مصر والعراق ٠

ونظر الشعب واحرار العرب الى تصريحات ايدن بشىء من الحذر فقد كان الاتجاه نحو الوحدة العربية سائرا فى طريقه قبل هذه التصريحات وبعد حركات التحرير والاستقلال وفهم العرب ان

بريطانيا تريد ان توحد البلاد العربية لتحكمها بسياسة موحدة وانما هى خدعة لتحل فى ظلها قضية فلسطين لصالح الصهيونية ٠

* * *

وأعلن أعوان بريطانيا ترحيبهم بتصريحات ايدن وقالوا : ان العرب انما كانوا ينتظرون من بريطانيا ان تأخذ بيدهم فى سبيل تحقيق غايتهم ٠

وظهر مشروع جديد تقدم به أحد اعوان بريطانيا هو الامير عبد الله أمير شرق الاردن هـو مشروع سوريا الكبرى « لحل المسألة السورية بوجه خاص والمسألة العربية بوجـه عام » ويتضـمن « الاعتراف باستقلال الدولة السورية الموحدة التي تضم سـوريا الشمالية وشرق الاردن وفلسطين ولبنان مع ادارة خاصة فى لبنان القديم وفى فلسطين لحفظ حقوق الاقلية اليهودية والغاء وعد بلفور أو تفسيره تفسيرا يزيل مخاوف العالمين العربى والاسلامى »

ونص المشروع على أن يدعى الامير عبد الله لرئاسـة الدولة السورية الموحدة لما له من حقوق ماضية وحاضرة ٠ ويصار اعلان تأسيس اتحاد عربى تعاهدى مؤلف من سوريا والعراق « الهـلال الخصيب » ٠

وقد قوبل هذا المشروع بالازدراء فقد كان معروفا اتجـاه صاحبه وهدف المشروع الذى يرمى الى تحويل سوريا الجمهـورية المستقلة الى كيان خاضع لشرق الاردن على أساس تحقيق امل شخصى للامير عبد الله فى الملك والسـيطرة وانسحاب معاهدات السيطرة البريطانية الاردنية على سوريا ولبنان ٠

ثم دخلت المحاولة فى دور تنفيذى حين جرت مشـاورات مرتبطة بمصر قاومها رئيسا وزراء مصر والعراق ٠ ثم مشـاورات

بين رئيس وزراء مصر ورؤساء الوفود العربية لتوقيع بروتوكول الاسكندرية « ٧ أكتوبر ١٩٤٤ » ٠

وقد انتهى البروتوكول بخيبة أمل لاحرار العرب ودعـــاة القومية العربية اذ كان البحث قد جرى فى أول الامر بشأن قيـــام اتحاد عربى أو هيئة عليا غير أن الخلاف بين رؤساء الدول العربية وتدخل بريطانيا قد حول هذا الهدف الى عمل لا يرضى احلام العرب واماني الشعوب وبذلك حققت بريطانيا هدفها بأن افسدت حماية العمل للوحدة العربية ٠ وحققت اقامة الوحدة ظاهريا وعرقلتهـــا فعلا ٠ اذ حالت دون قيام اتحاد عربى وتبلورت كل الاعمـال فى « ميثاق » لا يحقق الهدف الذى يحول « الحـــركة العربية » الى «وحدة» أو حكومة عربية ٠

وكانت محاولة تمييع الهدف بارزة فى المشروعين اللذين تقدم بهما عميلاهما نورى السعيد والامير عبد الله ٠

وقد ظهر الفارق بين البروتوكول والميثاق بما عبر عنه الدكتور نبيه أمين يونس فى كتابه « غيوم عربية » : البروتوكول فتح بابا والميثاق أوصد بابا ، اصبح هذا الميثاق وثاقا يكبل مساعى العـرب نحو التعاون وتحقيق امانيهم فى سبيل الاتحاد ويزهق آمالهم فى سبيل الوحدة وفى الميثاق فوز مؤقت للاقليمية ٠

وأبرز عيوب الميثاق أنه حمـل فى طياته عوامل الانفصـالية بين الدول العربية :

× يحمل فى طياته عوامل التجمد فى تمســـك الدول بسيادتها واستقلالها فى المحيط الضيق ٠

× لم يعط الميثاق الجامعة للاغلبية القدرة على تنفيذ قـرار تلتزم به الدول العربية كلها ٠

× لم يضم غير الدول المستقلة وبذلك اصبحت الجـــامعة « جامعة دول ، لا جامعة شعوب » .

× لم يحقق ميثاق الجامعة اعادة أحياء السيادة العـــربية الموحدة .

× عجز الميثاق عن ان يضع الخطوط الاساسية لقيام دولة عربية موحدة او اتحاد فيدرالى .

× جعل الاجتماع كقاعدة عامة لامكان التزام الاعضاء بقرار يصدر من الجامعة (المادة ٧ من الميثاق) .

أكد نورى السعيد التجزئة والاقليمية بعد قيام الجامعة فى تصريحه الذى أعلنه بعد توقيع الميثاق بقوله : ان اتحـاد البـلاد العربية بحكومة مركزية تنضم لها جميعـــا لا يمكن تحقيقه فى الظروف الحاضرة مهما اردنا ذلك . ليس فقط بسبب الصعوبات الخارجية بل ان ظروف البلاد العربية نفسها ومالها من مشكلات خاصة لكل منها وما بينها من تفاوت فى الاقتصاديات والثقـــافة كل ذلك لا يمكن معه تصور حكومة مركزية واحدة للجميع »

هل استطاعت الجامعة بهذا التشكيل ان تعمل للوحـــدة العربية ؟؟؟

للاجابة على هذا علينا ان نعرف الجامعة بالصورة التى قامت عليها لم تكن الا منظمة اقليمية تقوم على التعـــاون الاختيـــارى ، لا يعطيها الحق فى أن تكون لها سلطة عليا فوق هذه الدول . وقد تبين قصور التطبيق للميثاق القاصر اصلا .

وابرز عوامل الانفصالية فى الميثاق : (١) التمسك بنظـــم الحكم المختلفة . (٢) المحافظة على المصالح المحلية المؤقتة من سياسة واقتصادية . (٣) التمسك بالاوضاع الموروثة عن الاستعمار .

كما خضعت بعض الدول العربية للنفوذ الاجنبى الذى حال دون الاتجاه الى تحقيق الوحدة وعرقلة التعاون الاختيارى ٠

وقد كان نقص الميثاق فى (١) عدم وجود نظام الزامى لحـــل المنازعات ٠ (٢) عدم وجود تمثيل للشعوب العربية بجوار الحكومات وعدم المساواة بين الدول العربية من حيث عدد السكان والموارد ، كل هذا حال دون تحقيق اهداف الوحدة العربية

هذا وقد توقفت بعض الدول عن تنفيـــــذ قرارات مجلس الجامعة ولم تصدق على المعاهدات التى ابرمت فى ظلها ٠

وهكذا لم تعترف بريطانيا بالوحدة العربية الا تحت ضغط المحور من ناحية وثورة العراق من ناحية أخرى ، ثم حولت اتجــاه العرب من « اتحاد عربى » الى جامعة دول عربية ميثاقها يؤكـــــد الاقليمية مع سيطرة الجيل القديم وعملاء الاستعمار على مقدراتها ٠

وقد ارتبط قيـــام الجامعة العربية بأخطر موقف فى تاريخ الامة العربية فى العصر الحديث وفى تاريخ القومية العربية ذلك وهو سقوط فلسطين فى ايدى الصهيونية

مراجع الجامعة العربية

مراجع :

١ – جريدة البلاد ١٩ ابريل ١٩٣٦

٢ و ٣ هذا العالم العربى : الدكتور نبيه امين يونس و (ك) جامعة الدول العربية : دكتور محمد حافظ غانم .

ارادوها مؤامرة للقضاء على الامة العربية وتمزيقها

« فكانت بؤرة الانتفاضة العربية »

– أثر فلسطين فى معركة القومية العربية –

بدأت معركة فلسطين مع القومية العربية منذ صدور تصريح بلفور (نوفمبر ١٩١٨) وهى خطة مكررة ، حاولها الفرنجة فى الحروب الصليبية التى هى عندنا المحاولة الاولى لمقاومة القومية العربية والقضاء على الوحدة العربية وقد اراد الاستعمار الغربى ان يقيم فى قلب الوطن العربى « دولة » يجعلها :

١ – مركز انقضاض له على الامة العربية .

٢ – يحقق بها بقاء التجزئة والاقليمية .

٣ – يحقق بها عملية افناء القومية العربية او اضعافها بتغليب قومية أخرى عليها .

٤ – عزل الجناح الافريقى للامة العربية عن الجناح الاسيوى .

٥ – ضرب حركات الحرية والوحدة .

٦ – ابادة شعب فلسطين العربى والاستيلاء على أرضه

ولا أدل على هذا من تصريح اللورد اللنبى حين دخل فلسطين قال : « اليوم انتهت الحروب الصليبية وقول الجنرال غورو حين دخل مدينة دمشق : هانحن قد عدنا باصلاح الدين . وبذلك أعلن الاستعمار الرابطة بين وعد بلفور وبين الحروب الصليبية التى اقامت فى الوطن العربى امارات استمرت ٨٠ عاما ثم انهارت منذ ثمانمائة عام .

ولقد انتهى الموقف فى فلسطين الى قيام دولة اسرائيل فى فلسطين المحتلة (وهو ما سنفصله تاريخيا فى موضعه) فماذا كان أثرها على القومية العربية ؟؟

كانت صدمة يقظة عارمة حتى يمكن القول بأنهـــا « بؤرة الانتفاضة العربية » التى تمثلت فى ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ التى قام بها ضابط اشترك فى معركة فلسطين هو : جمال عبد الناصر رائد القومية العربية ٠ وقد ارادها الاستعمار مؤامرة للقضاء على الامة العربية وتمزيقها وتحقيق كل ماعجز عنه فى الفترة التى بدأت منذ صراعه مع العرب ٠ فقد احتلت فرنسا الجزائر ١٨٣٠ واحتلت بريطانيا عدن ١٨٣٩ فاذا بها تتحول الى بؤرة للانتفاضة بعد قيام « الجمهورية العربية المتحدة »

(١) الولايات العربية فى أوائل القرن الحالى

كانت الامة العربية فى اوائل القرن العشرين (١٩٠٠) الا مجموعة من الولايات

١ – ولاية الحجاز
٢ – ولاية اليمن
٣ – ولاية البصرة
٤ – ولاية بغداد
٥ – ولاية الموصل
٦ – ولاية حلب
٧ – ولاية سوريا
٨ – ولاية بيروت
٩ – ولاية طرابلس الغرب
١٠– منصرفية قدس الشريف
١١– منصرفية بنغازى
١٢– منصرفية الزور
١٣– منصرفية جبل لبنان
١٤– ايالة مصر
١٥– ايالة تونس

٢ – أقطار الامة العربية حاليا

الجمهورية العربية المتحدة :
لبنان :
فلسطين المحتلة :

الاردن :

ضمت ٢١٥٠ ميلا من الاراضى الفلسطينية بها ٩٥٠ ألف من الفلسطينيين

سورية :

الكويت :

اليمن :

السعودية : تضم الاحساء وسلطنة حائل والحجاز وعسير ونجد

العراق :

السودان :

ليبيا : (برقة وطرابلس وفزان)

تونس :

الجزائر :

مراكش :

البحرين : (مجموعة الجزر الصغيرة أهمها البحرين والمحرق)

قطر : شبه جزيرة صغيرة تتوسط الساحل العربى على الخليج الفارسى ٠

مشيخات الساحل المهادن أو المشيخات المحمية : (الشارجة : رأس الخيمة ٠ أم القوين ٠ العجان ٠ دبى ٠ بو صنبى ٠ كلبه ٠ فجيرة)

سلطنة مسقط وعمان :

محمية عدن : من حدود سلطنة عمان ومستعمرة عدن ٠ (تتكون من أكثر من ٣٠ وحدة سياسية من سلطنة وامارة ومشيخة عشائرية اهمها سلطنة لحج (شمالى مستعمرة عدن) وسلطنة مكلا والشحر ٠

مستعمرة عدن : مستعمرة بريطانية تتبعها جزائر باريم وكوريا موريان وقمران ٠ سكانها ٨٠٨٧٦ عرب آدخل لهم ٨٥٠٠ح من الهنود والصوماليين واليهود

الاجزاء التى لم تتحـــرر من الوطن لعربى •ورتنيانيا : افنى : البحـرين ، الكويت : المحميات : البريمى : قطر : الخليج العربى: فلسطين ، الجزائر ٠

- - - -

- ٣ -

القومية العربية فى دور الوحدة الكبرى

(ان تغييرات ضخمة سوف تقع فى الشرق الاوســـط أن خريطة الشرق الاوسط لن تبقى كما كانت ٠ ان خريطة الشرق الاوسط سوف ترسم من جديد على نحو آخر ٠ بعد هذا الذى جرى ســوف تتغير الالوان والاعـلام والخطوط ؛ ربمـا كان أبرز هـــذه التغييرات هو قيام الجمهورية العربية المتحدة ٠

« جيمس مورتس »

عندما قامت الثورة المصرية العربية فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢، كان ذلك ايذانا بدخول القومية العربية فى مرحلتها الثالثة : وهى مرحلة قيام الوحدة الكبرى اوتحولها الى دولة بعـــد ان قطعت أشواطها الطبيعية وهى حقيقة ووقائع ثم حركة .

ذلك لان الثورة المصرية العربية كانت تمثل الامل الذى ظلت تترقبه القومية العربية وهى أن تحمل لواء العمل لها دولة كبرى كمصر . وكان للعوامل التى رافقت الثورة نتائجها المتوقعـة فى الاتجاه نحو العمل فى ميدان القومية العربية . لذلك ان الثورة المصرية العربية حررت نفسها من جميع القيود التى كان الاستعمار يضعها كحواجز دون الوحـــدة ويجعل منها اداة للتجزئة وموئلا للاقليمية : كانت هذه القيود هى : استبدال القصر والاقطـــاع والحزبية .

وقـد مكن القضاء على هـذه العوامل تحقق الجلاء . وكان طبيعيا ان تكون الخطوة التالية للحرية هو العمل للقومية العربية والوحدة العربية الكبرى والاشتراكية العربية

لقد كان طبيعيا ان يتلفت جمال عبد الناصر حوله بعد ان نجحت الثورة وينظر فى الافق البعيد الى الحدود ، ويتساءل «هل هى الحدود السياسية لبلاده . ويجيب :

١ - لو كان الامر كله محصورا فى حدود عاصمتنا او فى حدود بلادنا السياسية لهان الامر ولأقفلنا على انفسنا كل الابواب وعشنا فى برج عاجى . ولقد مضى عهد العزلة .

ثم قال : ايمكن ان نتجاهل ان هناك دائرة عربية تحيط بنا وان هذه الدائرة منا ونحن منها . امتزج تاريخنـــا بتاريخهـــا . وارتبطت مصالحنا بمصالحها : حقيقة وفعلا وليس مجرد كلام .

ثم يقول : وما من شك فى ان الدائرة العربية هى اهم هذه الدوائر واوثقها ارتبــاطا بنا • فلقد امتزجت معنا بالتاريخ وعانينا معها نفس المحن وعشنا نفس الازمات • وحين وقعنا تحت سنابك خيل الغزاة كانوا معنا تحت نفس السنابك» •

ثم صور طلائع الوعى العربى فى نفسه فقال : بدأت تتسلل الى تفكيرى وانا طالب فى المدرسة الثانوية اخرج مع زملائى فى اضراب عام فى الثانى من شهر ديسمبر من كل سنة احتجاجا على وعد بلفور الذى منحته بريطانيا لليهود ومنحتهم به وطنا قوميا فى فلسطين اغتصبوه ظلما من أصحابه الشرعيين •

وحينما كنت اسائل نفسى فى ذلك الوقت : لماذا اخرج فى حماسة ، ولماذا اغضب لهذه الارض التى لم أراها !! لم أكن أجد فى نفسى سوى أصداء العاطفة ثم بدأ نوع من الفهم يخـالج تفكيرى حول هذا الموضوع لما اصبحت طالبا فى الكلية الحـــربية ادرس تاريخ حملات فلسطين بصفة خاصــة وادرس بصفة عامة تاريخ المنطقة وظروفها التى جعلت منها فى القرن الاخير فريسة ســـهلة تتخطفها انياب مجموعة من الوحوش الجائعة !!

ثم بدأ الفهم يتضح وتتكشف الاعمــدة التى تتركز عليهـــا حقائقه لما بدأت أدرس – وانا طالب فى كلية أركان الحرب حملة فلسطين ومشاكل البحر المتوسط بالتفصيل •

ولما بدأت ازمة فلسطين كنت مقتنعا فى اعماقى بان القتال فى فلسطين ليس قتـالا فى أرض غريبــة • وهو ليس انسياقا وراء عاطفة وانما هو واجب يحتمه الدفاع عن النفس

وروى الرئيس كيف اجرى خطوات الاشتراك فى حـــرب فلسطين • ثم قال :

« انما يعنينى من حرب فلسطين درس عجيب : لقد دخلتها شعوب العرب جميعا بدرجة واحدة من الحماسة واذن فهذه الشعوب جميعا تشارك فى شعورها وفى تقديرها لحــدود سلامتها • ثم خرجت منها هذه الشعوب بنفس المرارة والخيبــة • واذن ـ فهى جميعا كل منها فى بلاده • قد تعرضت لنفس العوامل وحكمتهـــا نفس القوى التى ساقتها الى الهزيمة ونكســـت راســـها بالذل والعار •

ولقد خلوت الى نفسى مرات كثيرة فى خنادق عراق المنشية وفى جحورها • وكنت يومها اركان حرب الكتيبة السادسة التى كانت تقف فى ذلك القطاع وتدافع عنه احيانا وتهاجم فى اكثر الاحيان •

وكنت اخرج الى الاطلال المحطمة من حولى بفعل نيران العدو وثم اصبح بعيدا عن الخيال •واحيانا كانت الرحلة مع الخيال تمضى بى بعيدا الى آفاق النجوم • فأطل من هذا الارتفاع الشاهق على المنطقة كلها •

وكانت الصورة تبدو فى ذلك الوقت واضحة امام بصيرتى•

هــذا هــو المكان الذى نقبــع محــاصرين فيه هــذه مواقــع كتيبتنا • وهذه مواقع الكتائب الاخرى المشتركة معنا على الخط • وهذه قوات العدو تحيط بنا • وهذه قوات اخرى لنا • هى ايضا محاصرة لاتستطيع الحركة الواسعة وان بقى لنـــا مجال للمنــاورة المحدودة

ان الظروف السياسية المحيطة بالعاصــمة التى نتلقى منها الاوامر تحيطها بحصار وتلحق بها عجزا • اكثر من الذى تصنعه بنا نحن القابعين فى منطقة الفالوجه •

ثم هذه قوات اخواننا فى السلاح وفى الوطن الكبير وفى المصلحة المشتركة وفى الدافع الذى جعلنا نهرول الى ارض فلسطين . هذه هى جيوش اخواننا . جيشا جيشا كلها هى ايضا محاصرة . بفعل الظروف التى كانت تحيط بها والتى كانت تحيط بحكوماتها لقد كانت جميعا تبدو كقطع شطرنج لا قوة لها ولا ارادة الا بقدر ماتحركها ايدى اللاعبين

وكانت شعوبنا جميعا تبدو فى مؤخرة الخطوط ضحية مؤامرة كبرى محبوكة اخفت عنها عمدا ما يجرى . وضللتها حتى عن وجودها نفسه .

وكنت مؤمنا ان الذى يحدث لفلسطين كان يمكن ان يحدث — ومازال احتمال حدوثه قائما — لاى بلد فى هذه المنطقة مادام مستسلما للعوامل والعناصر والقوى التى تحكمه الان . ولما انتهى الحصار وانتهت المعارك فى فلسطين وعدت الى الوطن كانت المنطقة كلها فى تصورى قد اصبحت كلا واحدا . وايدت الحوادث التى جرت بعد ذلك هذا الاعتقاد فى نفسى . كنت اتابع تطورات الموقف فيها فاجده اصداء يتجاوب بعضها مع بعض . كان الحادث يقع فى القاهرة فيقع مثيل له فى دمشق غدا . وفى بيروت وفى عمان وفى بغداد وغيرها .

وكان ذلك كله طبيعيا مع الصورة التى رسمتها التجارب فى نفسى . منطقة واحدة . ونفس الظروف ونفس العوامل . بل ونفس القوى المتالبة عليها .

وكان واضحا ان الاستعمار هو ابرز هذه القوى . حتى اسرائيل نفسها لم تكن الا اثرا من آثار الاستعمار .

ولقد بدأت بعد ان استقرت كل هذه الحقائق فى نفسى .

أؤمن بكفاح واحد مشترك واقول لنفسي : مادامت المنطقة واحدة وأحوالها واحدة ومشاكلها واحدة ومستقبلها واحدا · والعـــدو واحد مهما حاول ان يضع على وجهه اقنعة مختلفة فلماذا تتشتت جهودنا ثم زادتني تجربة مابعد ثورة ٢٣ يوليو ايمانا بهذا الكفاح الواحد وضرورته · فقد بدأت خبايا الصورة تتكشف والظلام الذى كان يحيط بتفاصيلها ينقشع

واعترف انى كذلك بدأت ارى العقبات الكبرى التى تسد الطـريق الى الـكفاح الواحد ولـكنى بدأت أؤمن بأن هذه العقبات نفسها يجب ان تزول لانها من صنع ذلك العدو نفسه · وقال : لقد بدأت اخيرا فى اتصالات سياسية من أجل توحيد الكفاح مهمـــا كانت وسيلته وخرجت بعد شهر من هذه الاتصالات بنتيجة هامة هى ان العقبة الاولى فى طريقنا هى (الشك) وكان واضحا ان بذور الشك قد بذرها فى نفوسنا ذلك العدو الواحد نفسه لكى يحول بيننا وبين الكفاح الواحد

هكذا كانت الصورة فى نفس قائد ثورة ١٩٥٢ وهـــذه انطباعاته بالنسبة للقومية العربية والوحدة · ولقد سار القـائد على الطريق نحو الهدف فكانت كل خطواته : اما « قيود » يحطمها ليلتقى الجزء العربى بالكل ، واما « سدود » يتخطاها لتلتقى الاجزاء التى فصلت دون ارادة اصحابها · وكانت فلسطين فى اعماقه بؤرة الاحساس بضرورة العمل من اجل هذا الهدف الكبير · وكان بتحطيم الاستبداد الملكى وسحق الاقطاع والقضاء على الحزبية انما يسير فى اتجاه واضح نحو تحقيق الجلاء الذى كان مقدمة لكلمة وحـــركة اما الكلمة فهى مادة فى الدستور تحدد اننا : جزء من الامة العربية· اما الحركة فهى ذلك الصوت الذى بدأ يتجاوب انحاء الامة العربية ليوقظها من ثباتها ويدفعها الى نفض التراب والانضمام الى موكب الزحف المقدس ·

وعندما تحقق « الجلاء » تحررت الادارة وانطلقت • وكان تأميم قناة السويس هو نقطة البدء • وكان العدوان هو المعركة الاولى للقومية العربية مع الاستعمار فقد اراد الاستعمار أن يقضى على القوة الجديدة حتى تظل له حرية التصرف فى المنطقة ولكن القوميـــة العربية حين هبت تؤازر مصر فى هذه المعركة كان ذلك النصر الذى تحقق علامة على أن العمل قد سار فى طريق «واضح» الى غايته •

وهذه هى الصورة كما تبلورت فى تفكير قائد الثورة عندما اعلن مادة الدستور « الشعب المصرى جزء من الامة العربيـــة » ١٦ يناير (كانون الثانى) ١٩٥٦ •

« اننا عضو فى الكيان العربى الكبير • ويشعر إيضا ان كل مايحيق بأى بلد عربى لابد أن يؤثر عليه • لقد ارادوا فى الماضى ان يفرقونا • وارادوا فى الماضى ان يقطعوا أوصالنا وارادوا فى الماضى أن يدسوا بيننا قوميات اخرى ولكنا اليوم قد تنبهنا •

لقد انتهت الحرب العالمية الاولى فماذا كانت النتيجة ؟

لقد قسم العرب وقطعت اوصالهم ووزعوا كغنائم واسلاب • ولكن العرب كافحوا وكانوا يتفاعلون فى كفاحهم • وكانت مصر تتفاعل مع العروبة جميعا من أجل تحقيق الحرية بين ربوع العالم العربى جميعا •

لقد حاولوا أن يخدعونا • وحاولوا أن يضـــللونا ، وكانوا يقولون لنا • مالكم وللعرب ولكنا اليوم وقد تنبهنا لن نخدع ابدا •
« ان الكيان العربى يمتد من المحيط الاطلسى الى الخليج العربى : كلنا شعب واحد • شعب عربى واحد • نكافح متحدين من أجـل حقنـا فى الحرية ومن أجل حقنـا فى الحياة • نكافح جميعا ضـد الاستعمار وضد اعوان الاستعمار • لن تقطع اوصالنا مرة أخرى • كما قطعت فى الحرب العالمية الاولى • وبعد الحرب الثانية ماذا تم

وماذا حدث ؟؟ لقد اغتصبت قطعة من قلب العروبة ، من قلب بلادنا لاننا خدعنا ولاننا تفرقنا . واليوم نحـــن نعلن عروبتنا الحقيقية ونعلن تماسكنا مع العرب جميعا حتى لا يتكرر ما مضى وحتى لا يتكرر مافات . لقد ضاعت قطعة من أرضنا . لقد محيت قوميـــة العـــروبة من فلسطين لاننـــا خدعنا وتبعنـــا الاسعمـــار وأعـــوان الاستعمار . اننا نعلن اليوم اننا نتكاتف مع العـــرب جميعا من المحيط الاطلسي الى الخليج العربي من أجل الحرية ومن أجل الاستقلال ومن أجل الحق في الحياة » .

لقد ازعجت الصيحة الاستعمار الذى كان يعمل خلال ١٢٦ عاما (١٨٣٠ – ١٩٥٦) على دعـم قواعد التجزئة والفصل بين الاجزاء ودعم الحدود المفتعلة ، ومن اجل هذا شبت معركة ضخمة ماتزال مستمرة الى اليوم .

انها معركة محاولة منع قيام الامة العربية في كيان واحـــد والحيلولة دون دخول القومية العربية مرحلة الوحدة العربية .

فقد قاوم الاستعمار « القومية العربية » وعمل على القضاء عليها والتشكيك فيها وتحطيم دعائمها . فلما عجز ورأى ان العقيدة تتحول الى حركة ، ارغم على مجاراتها وفرض سلطان عملائه عـــلى التصرف الذى حول الاتجاه الى اقامة « الحلف العربى » الى اقامة « جامعة دول عربية » مستهدفا من ذلك الاستفادة بالوحدة للسيطرة على الاجزاء بالمعاهدات المفروضة على بعض الاجزاء والقضاء على نفوذ الاستعمار الفرنسى ولهدف أكبر من هذا هو بعبارة أحمد سـعيد « محاولة امتصاص جذوة القومية العربية واحتكار طاقاتها الوطنية، او هو تنظيم للقومية العـــربية تتحكم فيه القوى الاســتعمارية والرجعية .

وبالجملة فان الاستعمار قصد من الجرى في تيار الوحدة العربية

محاولة تخدير الحاجة الى الوحدة لا تاكيد هذه الحاجة على حد تعبير الدكتور منيف الرزاز ٠

ولاول مرة فى تاريخ المنطقة تنبعث الصيحة من :ـ

١ ـ حكومة ثورية متحررة قضت على الاستعمار وأعوانه ٠

٢ ـ مصر بثرائها العربى وفاعليتها وثروتها ٠

٣ ـ قيام حركة للوحدة العربية لاول مرة متحررة من الاستناد الى دولة اجنبية على قاعدة « الحياد الايجابى » ٠

لذلك كان الموقف : ان حملت « مصر العربية الثائرة » لواء « العمل » للقومية العربية على أساس المفهوم التقدمى الحيادى هو دخول القومية العـــربية فى مرحلتها الثالثة وهى مرحلة تبلور القومية العربية فى كيان « الوحدة العربية » وتحول الامة العربية المجزأة فى دول الى « الوحدة الكبرى » أيا كان نوع وشكل هــذه الوحدة ٠

الوحدة العربية

ثمرة القومية العربية

اذا كان علينا ان ندرس مفهوم الوحدة العربية وعلاقتهـــا بالقومية العربية . فالمعتقد ان الرابطة بين القومية العربية والوحدة العربية كالرابطة بين السبب والمسبب أو النتيجة المنطقية للحقيقة الواقعة . فان قيام « عقيدة » القومية العربية بأصولها وقواعدها يجعل قيام الوحدة العربية نتيجة حتمية . ومعنى هذا ان الوحدة العربية هى ثمرة القومية العربية

ولما كان هدف القومية العربية هو تحرير العالم العربى من كل تسلط اجنبى وتوحيده داخل حدوده الطبيعية فقد كانت الوحدة هى خطوة واقعية لابد من وقوعها .

ولقد تحققت «الوحدة العربيـــة» قبل ذلك مرات ، وكانت الوحدة العربية لمواجهة الحملات الصليبية واضحة المعنى والاثر — وبهذه الوحدة صدت الامة العربية الغزو الاستعمارى الذى رفع الصليب ليستر مطامعه وراء قناع من المسيحية . وكان معنى الوحدة قاطعا فى دلالته حين اشتركت المسيحية فى الشرق العربى فى مقاومة الصليبيين جنبا الى جنب . كما اتحدت الامـة العربية امام الغزو التترى وانتصرت عليه وكذلك اتحدت أمـــــام الغزو العثمانى . وجيش الفلاحين الذى كان يسير تحت قيادة ابراهيم باشا ليحرر سوريا من الظلم العثمانى كان يسمى نفسه « الجيش العربى » . واتحـــدت الامة العربية فى مقاومة عـــدوان السويس ١٩٥٦ .

والواقع ان المنطقة العربية عاشت حياتها « وحدة متكاملة » ولم تتمزق الى دول ذات حدود بارادة اصحابها وانمـــا بسلطة الاستعمار وان الدول العربية القائمة الآن لم تتكون بمشيـــئة أهلها ولا بمقتضيات طبيعتها وانمـــا تكونت من اجراء المعـاهدات التى تقاسمتها بها الدول العربية •

وان تقسيم الامة العربية الى اجزاء مكن من اقامة اسرائيل فى فلسطين العربية

ولقد التقت رغبة الاستعمار مع الصهيونية فى اقامة اسرائيل كمركز انقضـاض على الامة العربيـة وقـد تعهـدت الصهيونيـة للاستعمار بأن قيام اسرائيل ، يحمى ظهر قنال السـويس وان وجودها فى فلسطين سيحول هذه البلاد وما جاورها الى بـلاد تسير فى فلك الاستعمار »

ولقد كان قيام الوحدة العربية كثمرة للقومية العربيـة ضرورة استراتيجية لتـأمين الوطن العربى ذلك « ان شـعوب المنطقة لا تستطيع ان تحمى حياتها وآمالها ضد مطـامع القوى الكبرى الا اذا توحد كفاحها • والتجربة اثبتت انه كلما اتحدت الشعوب العربية استطاعت ان تواجه العدوان وان ترده • بالاتحاد واجهت العدوان الصليبى وغزو التتار ومغامرات الاستعمار • وحين تخلت عن اتحادها وقعت فريسة سهلة للسيطرة الاجنبية • »

وهكذا يبدوا منطقيا انه من أجل تأمين البلاد العربية يجب ان تكون هناك جبهة عربية واحدة « وشرط الوحدة أن تكون البلاد العربية كلها مستقلة غير خاضعة لاى نفوذ أجنبى يفرق بينهما • وفى الدرجة الاولى ان يقوم التضامن العربى بتوحيد «الكفاح»(٥) لأن المصير العربى واحد • أما الاشكال الدستورية فأمرها سهـل بسيط • ان لكل شعب حقه فى أن يرسم حدوده مع باقى الشعوب

العربية فى (١) دولة واحدة أو (٢) اتحاد فيدرالى أو (٣) تضامن عربى . فالمهم ان يكون التضامن قائما فى كل الحالات . »

ومستقبل الوحدة « لا تقرره القوة ولكن تقرره الارادة المستقلة لكل شعب عربى .

« ولا يقف فى سبيل الوحدة الا النفوذ الاجنبى . وحينما يتوفر الاستقلال لاى بلد فان تضامنه يصبح امرا طبيعيا . ولقد كانت سيطرة الاستعمار انما تعنى قيام الحواجز - المصطنعة التى هى « اول الخطوات لتفتيت التضامن العربى » وجملة القول أن « التضامن العربى هو التعبير الحقيقى عن الوحدة العربية » .

والتضامن العربى يعنى :

١ - نهاية الاستعمار

٢ - القضاء على الصهيونية

٣ - تحقيق العدالة الاجتماعية

٤ - تصفية نظم الاقطاع والقبلية واستبداد رأس المال .

ويقتضى قيام الوحدة العربية قيام الوحدة الداخلية فى كل جزء من أجزاء الوطن العربى فلابد من اتحاد الطبقات المكونة للشعب مثل الفلاحين والعمال والتجار بما يهيىء الفرصة لاتفاق هذا الشعب مع الشعوب الاخرى فى نطاق الوحدة العربية

ويجمع الباحثون على أن الوحدة هى : « ان يعيش شعب أو تعيش مجموعة من الامة فى جو واحد تطمئن اليه أى أن يكون هناك نظام سياسى مركزى قوى لهذه المجموعة » أو هى « رغبة مجموعة من الشعوب فى أن تعيش فى اطار وفى نظام تطمئن اليه وترغب فيه » وهى « قوة سياسية فلسفية روحية ، وهى رغبة

الناس الذين يعيشون فى اطار معين ويظلون فى هذا الاطـــــار ويكونون وحدة بين بعضهم البعض · وتستند الوحدة العربية الى : العربية الى :

١ ـ انها وحدة حقة ·

٢ ـ وحدة تسعى الى القوة ·

٣ ـ وحدة خيرة لانها تهدف الى تحقيق الخير · والوحـــدة العربية قائمة فى التشابه الكبير فى المواد الطبيعية بين البـــلاد العربية· وقد كانت البلاد العربية، وما زالت تكون منطقة اقتصادية واحدة وقــد كانت البــلاد العربيــة تتبادل السلــع والخـــدمات ورؤوس الاموال بكل حرية · ثم تقطعت هذه الاوصال الاقتصادية تحت تأثير الاجنبى ولكنها كانت فترة عارضة بدأت منذ سنة١٩٢٠ حتى انقشعت الغمة بعد ثلاثين عاما ·

ويرى الباحثون ان جوهر الوحدة يقوم على أسس رئيسية لابد منها هى :

١ ـ وحدة السياسة الخارجية

٢ ـ وحدة الجيش والدفاع عن الوطن العربى ·

٣ ـ وحدة التعليم التى تنشىء أجيـــالا عربية تتحلى بنفس الثقافة بعد ان اصبحت تنبض بنفس الشعور

٤ ـ الوحدة الاقتصادية التى يتفاعل فيها اقتصاد البـــلاد العربية ويتكامل ·

ولا شك ان التضامن العربى الذى هو أهم خطوات ا[illegible] الكبرى يستدعى العمل لخروج الامة من حالة التجزئة التى هى فيها وذلك حتى توحد سياسة الاجزاء لمواجهة الســياسة الاستعمارية

الوحدة ومواجهة السياسات التى تفرض علينا من الخــارج ذلــك بأسلوب ايجابى بناء ٠

وامام الامة العربية فى هذه المرحلة ربط المصالح المشتركة : اقتصادية وسياسية وعسكرية - وهذا يتطلب وضع الخطط ازاء الثروات الطائلة التى يكتنزها العالم العربى والقيود التجارية بين الدول العربية ورأس المال العربى وسوء توزيع الثروة والبترول كل هذا يتطلب تضامنا قائما على أساس الوحدة لا التجزئة

ويلقى « السيد كمــال رفعت » الاضواء الـكاشفة على مفهوم الوحدة العربية فيقول : « الوحدة ليست مجرد عامل تاريخى نسعى لتحقيقه ٠ انها تطبيق عملى لفكرة (الاشتراكية العـــربية) التى تهدف الى تطوير حياة العــــالم العربى والى رفع مستوى معيشته وتحقيق الحرية والمساواة ٠ وأسس الوحدة والتضامن العربى هى تكامل النظم الاشتراكية فى العالم العربى ٠

الاشتراكية العربية

وان اساس اى نظام انما هو تطوير حياة المجتمـــع ٠ ونظرتنا الى الوحدة انها عامل تطور فى حياة الشعب العربى ٠ اذ تقـــوم الوحدة على أساس من التكامل والترابط الاشـــتراكى بين أجزاء المجتمع العربى ٠ وأن احرار العرب فى سائر ارجاء الوطن العربى ينظرون الى النظام الاشتراكى الذى يطبق فى الجمهورية العربيـــة المتحدة على أنه النظام الامثل الذى يجب ان تحتويه النظرية العربية فى الحياة وكلما زاد هذا النظام قوة كلما كان مرآة سليمة امـــام الشعب العربى عن الحياة العربية ٠ ان وجود الوحدة سيؤدى الى وجود نظام اشتراكى ٠ والنظام الاشتراكى يحل مشاكل الاقليات والعنصرية الطائفية ٠

ويرسم ملامح «الاشتراكية العربية» فيقول : « حينما نقول اننا نحتاج الى اشتراكية عربية نقصد فقط ان نراعى الشروط الخاصة بنا كعرب فى هذه المرحلة من الحياة ـ ونحن لا نختلف على مبدأ « الاشتراكية » وانما على أسلوبها ولا نقبل أن تكون قوميتنا مرحلة عارضة من مراحل التطور الاقتصادى كما تدعى الاشتراكية الغربية · بل ان على الاشتراكية ان تتلائم مع امتنا ومع نضالنا السياسى فلا تكون اداة تآمر على الوطن وعامل تفرقة ومنازعات داخلية أو شعارا لحركات شعوبية · نريد من الاشتراكية ان تخدم قضيتنا وتساعدها على حرية التفكير وعلى المناداة بحرية الفرد والدعوة الى خصب الروح وغناها لا أن نقضى على حريتنا الجديدة فى مهدها · نريد من الاشتراكية ان تزيد الروابط بين افراد الشعب العربى التى كانت من ألزم صفاتنا منذ الازل لا ان تفككها وتقضى عليها · نريد منها أن تكون اداة حب وخير لا أداة حقد وبغضاء هذه هى الاشتراكية التى تلائمنا وتتفق مع تاريخنا وحاضرنا ومستقبلنا وتجعلنا نحيى تراثنا وحضارتنا العربية التى كانت ثلث حضارة العالم »

ولعله مما يتصل بهذا ان نسجل شروط تحقيق الوحدة العربية كما أقرها مؤتمر الاتحاد القومى للجمهورية العربية المتحدة فى ١٩٦٠/٧/١٠ ·

١ ـ أن يكون الاختيار الحر المستقل طريق أى شعب من الامة العربية الموحدة ·

٢ ـ أن يكون هذا الشعب قد استكمل مقومات وحدته داخل حدوده الوحدة ·

٣ ـ الوطنية قبل ان يدخل فى ارتباط أوسع مدى من هذه الحدود ·

٤ ـ أن يكون هذا الشعب قد عقد اجماعه على طلب الوحدة وثبت من يقينه ورغبته فيها ٠

وعلى الجملة يمكن ان نصل الى الحقائق التالية :ـ

× محاولات الوحدة لم تتوقف فى الامة العربية ٠

× ان السعى للوحدة كان يتشكل بشكل الخطر التى تعيش فيه مع بقاء الهدف ثابتا ٠

× الهجوم الثلاثى على السويس كان هجومـــا على اليقظة الفكرية الثورية فى العالم العربى للقضاء على تيارها المتحرر ٠

× الوحدة هى الثمرة الطبيعية للقومية العربية والاستجابة لداعى التطور ومنطق التاريخ ٠

× كل مقاومة للوحدة انما هى مقاومة للتطور والتاريخ ٠

× كارثة فلسطين ادت الى تحويل واقع القومية العربية الى وحدة ٠

× انهيار النظم والافكار القائمة على الانفصالية والتجزئة بعد ان ثبت فشلها ٠

× آمن جمال الدين الافغانى بأن الشرق لا ينهض الا بنهضـة العرب وأن العرب لا ينهضون الا بالوحدة ٠

× كل من ينتسب الى البلاد العربية ويتكلم اللغة العـربية فهو عربى أيا كان نوع الدولة والجنسية والديانة والمذهب ٠

× توافر عناصر الوحدة فى الامة العربية بدرجة لا تصـل اليها الوحدات التى قامت فى الولايات المتحدة او بلجيكا التى تتحدث لغتين أو يوغوسلافيا التى تضم ٦ قوميات أو الاتحاد السوفييتى الذى يضم ١٦ جمهورية ٠

× لم تستطع « التجزئة » القضـــاء على الروح العربية واتجاهها نحو الالتقاء فى الكيان الواحد ٠

التجربة الاولى للوحدة العربية

كان لابد بعد أن حملت ثورة عام ١٩٥٢ لواء القومية العربية أن يتجدد الامل فى قيام الوحدة العربية الكبرى وذلك بعد أن تحررت مفاهيم القومية من سلبيــة الآراء التى كانت تخضـــع للحكومات القائمة فى المنطقة والتى يمثل بعضها العمالة للاستعمار أو سيطرة النظام القبلى أو الشعوبية أو سيطرة الرجعية · فقد مزقت الانتفاضة العربية أوهام دعاة التجزئة والاقليمية ودعاوى الاستعمـــار لذلك كان لابد أن تقع تجربة أولى للوحدة على الطريق الطويل الى الوحدة الكبرى ، وان تحقق هذه التجربة مجموعة من الخبرات والنتائج التى تضىء السبيل وتكشف عما فيه من عقبات وصخور ·

وقد قامت هذه التجربة حين فرضت سوريا بمختلف قواها الشعبية هذه الوحدة التى ارتضتها مصر وقبلتها تحقيقا لامانتها حين حملت لواء دعوة القومية العربية التى تستهدف تحقيق الوحدة الكبرى وفق الارادة الشعبية وتحويل الحركة الى قيام وحدة فعلية ·

وكان معروفا أن هذه التجربة هى من أخطر التجارب ازاء خصوم القومية العربية الذين يقاومون وصولها الى مرحلة التحقيق ·

· الاستعمار بمصالحه فى المنطقة والحكومات الرجعية المعزولة عن شعوبها ودعاة التجزئة والمذاهب الغريبة عن محيطها والاقطاعيين وأصحاب رءوس الاموال والمستغلين وعملاء الاستعمار ولا شـك أن الاستعمار كان قد حاول فى معركة السويس تحطيم هـــذا الوعى الجديد للقومية العربية وسحق هذه القوة الجديدة بالقضاء على القاعدة التى تحمـــل لواء الحركة وتؤازر تحرير الاجـــزاء المحتلة وتنهض لدفع العدوان عن الاجزاء المتـــحررة ، وذلك حتى

يوقف هذا التيار الذى تبين أنه يدعو الى شىء يختلف عن (الحلف العربى » الذى كان يحمل لواء الدعوة اليه عملاؤه باسم ســــورية الكبرى أو الهلال الخصيب والذى كان يراد به وضع نطـاق حـول جزيرة العرب وحماية النفط واخضـــاع العراق واعداد متاريس ضد سياسة دول أوروبية أخرى طامعة .

وكانت سوريا قد وقعت بعد تحررها من الاستعمار الفرنسى فى ١٧ نيسان (ابريل) سنة ١٩٤٦ تحت سيطرة قوى مختلفة تنازعت الحكم فيها وحدث بهامنذ عام ١٩٤٩ نتيجة لذلك عديد من الانقلابات لحساب القوى التى كانت تتحكم فيها وهذه القوى هى ضباط الجيش والاحزاب الرجعية وقوى الاحتكاريين والمذاهب الهـــدامة وكانت تتنازعها تيارات متعددة قوامها الصراع بين بغداد والاردن من ناحيه باسم العرش الهـاشمى بينهـا وبين الرياض خصـم الهاشميين من ناحية أخرى .

وقد قام نورى السعيد والملك عبد الله بالدعوات المتواليـة الى مشروعيهما (الهلال الخصيب) و (سوريا الكبرى) .

كانت كل من الدول الاجنبيـة تقف وراء هيئة أو حزب من هذه الاحزاب .

ولقد ظلت سوريا تقاسى هذا الاضطراب وتخشى أن تقع فى أية لحظة فريسة لقوة من هذه القوى ، ولذلك فقد تطلعت الى الانتفاضة العربية التى حمل لواءها الرئيس جمال عبد الناصر واتجهت الى الارتباط بها .

هنالك أعلنت سوريا بلسان كل أحزابها السياسية وجميـع كتلها فى الجيش طلب الوحدة ، وقامت فى مدن سوريا مظاهرات شعبية ضخمة تنادى بالوحدة ، وقابل ممثلو هذه الهيئات جميعـــا الرئيس عبد الناصر طالبين اليه أن يقبـل بالوحدة غير أن الرئيس

عارض في ذلك وقال : ان الوحدة صعبة وانها مسألة مادية ستتكتل لهدمها كل أعداء الوطن العربي وكل أعداء القومية العربية وفي مقدمتها الرجعية والاستعمار وانه في الامكان انتظار خمس سنوات على أن تجرب وحدة اقتصادية ووحدة عسكرية ووحدة ثقافية ثم يتم بعد ذلك الاتجاه الى الوحدة الدستورية ، غير أن الذين طالبوا بالوحدة قالوا : ان سوريا تتعرض للضياع برفض الوحدة وانها الحل الوحيد لانقاذ سوريا وان القاهرة مسئولة عما أعلنته من ايمان بالقومية العربية وحماية الامم العربية من العدوان الخارجي على أي جزء منها

وقد صور الرئيس هذا المعنى في خطابه التاريخي (٥/١٠/١٩٦١) حيث قال :

عندما فرضت الارادة الشعبية السورية هذه الوحدة الشاملة كان من رأيي أن الوحدة — خصوصا في فترات البناء الوطني — عملية شاقة مرهقة . وكان من رأيي التمهيد لها قبل أن يتم اطارها الدستوري ولكني نزلت على الارادة الشعبية السورية ، وكنت أشعر في أعماقي انني بهذا أحمي الوطنية السورية وأشارك في انقاذ الوطن السوري مما كان يتهدده من أخطار الفرقة الداخلية وفي مواجهة ضغط القوى الاستعمارية . . »

ومعنى هذا أن القاهرة لم تدع الى الوحدة وانها لم تفرضها على أحد وانما سوريا هي التي طالبت بها ، وكانت بناء على ارادة شعبية حقيقية ، وقد قبلها الرئيس لهذا المعنى وتقديرا لمؤازرة سوريا لمصر في معركة العدوان عام ١٩٥٦ حينما حطمت أنابيب البترول وكان عليما بكل العقبات والمشاق التي تقف في الطريق وقد أبدت سوريا رأيها في استفتاء شعبي بما يشبه الاجماع .

وقد سببت تجربة الوحدة متاعب كثيرة وحققت نتائج كبرى

١ — أما متاعبها فان عناصر كثيرة تألبت عليها وفي مقدمتها الرجعية والاستعمار وقد بدأت المحاولات لتحطيمها منذ اليوم الاول

كما أقام الاستعمار وحدة زائفة بين العراق والاردن باسم الاتحـاد الهاشمى كجزء من خطة مقاومة تجربة الوحدة الحقيقية ·

وكذلك أصبحت الوحـدة هدفا واضحـا محددا يمكن توجيـه الضربات اليه فى حرب دعائية عنيفة باسم تسلط مصر على سوريا وباسم عودة الامبراطورية العربية وغير ذلك من أكاذيب ·

٢ ـ أما حقيقـة تجربة الوحدة فى عمرها القصير فانها حطمت حلف بغداد وقضت على نفوذ المذاهب غير العربية وكشفت عن القوى الرجعية فى المنطقة وناصرت الثورة الوطنية فى العراق ووضعت اسرائيل بين فكى الكماشة وحالت بينها وبين تحقيق حلمهـــا فى تحويل مجرى نهر الاردن ·

وقد جرت أبحـاث متعـددة حول الاسباب التى حققت وقوع الانقلاب الانفصالى الرجعى فى (٢٨ سبتمبر سنة ١٩٦١) أى بعد ثلاث سنوات ونصف من الوحدة التى تمت فى (٢٢ فبراير ١٩٥٨) وخلاصة الرأى فى هذا :

١ ـ ان تجربة الوحدة التى قامت بارادة شعبية انمـا كانت تعتمد على أساسين همـا وحدة اللغة ووحدة التاريخ وهى مقدمتان العمليات اقتصادية واجتماعية لابد منهما قبل الاقدام على خلق الدولة الواحدة وانه كان من الضرورى قيام ثلاثة أسس قوية للوحدة هى : الاساس الفكرى والاساس الاقتصادى والاساس الاجتماعى · فلمـا لم لقم هذه الاسس كان ذلك عاملا هاما فى أنه لم تكن هناك روابط فعلية لارساء الوحدة سوى شخصية قائد الثورة العربية ·

٢ ـ كان هناك فارق واضح بين مراحل التطور الاجتماعى بين كل من مصر وسوريا فقد قطعت مصر عشر سنوات فى ظل الثورة ، بينما لم تمر سوريا بهذه التجربة الضخمة ·

٣ ـ كانت الوحدة ممثلة فى الشكل لافى المضـمون ، رئيس

واحد وعلم واحد ونشيد واحد وكل شيء بعــــد ذلك فى الاقليمين يختلف اختلافا واضحا ٠

٤ ـ كان الفاصل الجغرافى بين الاقليمين عقبة حقيقية

٥ ـ عرقلت المشاكل الصــــغيرة حركة التطور وعمليـــة الامتزاج ٠

غير أنه يجب أن يذكر موقف قائد الثورة العربية ازاء الانقلاب الرجعى فى سورية فقد اتسم تصرفه بضبط النفس والارتفاع فوق مجرى الاحداث على نحو رائع فقد رفض (تحويل الوحدة العربية فى ســوريا الى عملية عسكرية) كمـا رفض (أن تكون الحرب الاهلية وسيلة لدعم الوحدة) ٠

وعندما تعرضت وحدة الشعب العربى فى سورية للخطر قدم وحدته الوطنية على الوحدة العربية على أساس المفهوم الواضح بأن الوحدة العربية اساسا لا تقوم الا على اساس الوحدة الوطنية ، وان قيام الوحدة بين أجزاء العالم العربى هى قضية « حتمية » التاريخ وقد قام هذا التفكير على أساس ثلاث دعائم :

ان الشعــــب العربى فى ســورية والشعب العربى فى مصر تربطهما روابط أزلية ٠

ان عروبة مصر عروبة حقيقية ٠

ان الجمهورية العربية المتحدة ستظل قائمة على مســـاندة حركات التحرر وحمل لواء الدعوة الى القومية العربية والوحــــدة الكبرى ٠

وقد تبين من التجربة الاولى للوحـــدة أن تطوير الاوضـــاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فى كل بلد عربى هو العــامل الفعال فى البلوغ الى مستوى تحقيق الوحدة ٠

وان ماحدث هو أن الرجعية حققت في سورية ماحققه الاستعمار في مصر عام ١٩٥٦ بأن اقامت رأس جسر في دمشق . وان الشعب العربي في سوريا الذى آمن بالقومية العربية الكبرى لن يقهر ولن تتمكن منه الرجعية .

ولاشك أن التجربة الاولى للوحدة العربية هى عمل عميق الاثر بعيد المدى في تحقيق هدف القومية العربية من قيام الوحدة الكبرى فقد كشف الطريق وألقى عليه الاضواء وعمق الخبرة وصحح الاساليب ما يعين على الظفر والنجاح .

تطور القومية العربية فى العالم العربى

بعد ثورة عام ١٩٥٢

وقيام الجمهورية العربية المتحدة

وأثرها فى : معركة فلسطين

: ثورة الجزائر

: ثورة العراق

: ثورة الجنوب والخليج العربى

كانت ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ بعيـــدة الاثر فى بعث الامة العربية ويقظتها بعد مرحلة اليأس التى خاضتها على أثر فشـــل معركة فلسطين وسقوطها فى أيدى الصهيونيين وقيام اسرائيـــل . ويمكن القول بأن الفترة من ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ الى ٢٣ يوليه سنة ١٩٥٢ هى مرحـــلة اليأس بالنسبة لمشـــاعر الامة العربية وهى فى نفس الوقت مرحلة الاستعداد لتصحيح الاوضاع والقضاء على الفساد .

والمحقق الذى لايقبل الريب ان «فلسطين» هى العامل الكبير لليقظة وذلك منذ صـــدور وعد بلفور وانكشاف موقف الاستعمار والصهيونية فى تضامنها لاقامة «اسرائيل» كمركز للانقضاض على الامة العربية وتثبيت قوائم التجزئة والاقليمية وسحق مقومـــات القومية العربية وتحطيم كل محاولة للقوة أو الاتحاد . غير ان الامة العربية ظلت عاجزة عن العمل حتى دخلت معركة ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ مع اليهود وانتهت المعركة بالهزيمة التى كان سببها المباشر هو الخيانة وسقطت فلسطين . وكان لسقوطها دوى اصم آذان العرب وايقظهم . منذ تلك اللحظة بالذات بدأ التفاعل الثورى للعمل الكبير الذى ظهر بعد ذلك بأربع سنوات فى ثورة يوليو سنة ١٩٥٢

وبذلك يمكن القول بأن فلسطين هى بؤرة الانتفاضة العربية . التى هى فى واقع الامر تعويض ثورى عن فترة تجمد طويلة . وتجمع فى طاقة متفجرة لتغطية هذا الزمن الطويل من التوقف والدوران فى الحلقة المفرغة حول حقيقة واقعة هى بمثـابة العقيـــدة فى النفس العربية .

لقـــد كشفت معركة فلسطين الحقيقة التى كانت تختفى وراء

أثواب الحكام وخلف المظاهر البراقة التى كانت تحجب الفســـاد والانحلال والاقطاع والظلم الاجتماعى وسيطرة الاستعمار وتسـلط عملائه وهى القوى التى يعمل بها فى سبيل خلق استحالة فعليـــة دون تحقيق الحرية والوحدة ٠

ولقد كان ضروريا ان يحمل لواء الانتفاضة رجل عاش المأساة كلها وحارب من اجل الحيلولة دون سقوط هذا الجزء من الوطن العربى فى يد الصهيونية فلما سقطت كشف سقوطها عن فجر الحقيقة، يقول جمال عبد الناصر : « لم التق فى فلسطين بالاصدقاء الذين شاركوا فى العمل وانما التقيت ايضا بالافكار التى انارت امامى السبيل »٠

فماذا كان أثر الانتفاضة العربية على العالم العربى ؟

الحق أنه كان بالغ الاثر ٠ كان الثقـــة لدى الذين أحســـوا باليأس ٠ والأمل للذين يكافحون فى سبيل الحرية ٠ والقوة للذين يدعون الى الوحدة ٠ والضياء فى ظلام الليل الطويل للامة العربية من المحيط الى الخليج ٠ وكان أنهيارا للاستعمار وتقويضـــا لقوائمـه وسقوطا لحدوده ٠ وعلامة على دخوله فى دور التصفية النهائيـة فى أرض العرب ٠

وقد صور هذا الفريد لينتال فقال « لقـــد لمع نجم جمـــال عبد الناصر بالسرعة التى أفل بهـــا نجم بريطانيا العظمى ونظرت الامة العربية الى عبد الناصر نظرة البطل الذى يقاوم القوى الغربية٠

ولقد مضت حصون الاستعمار تتحطم واحـــدة بعد أخرى ، تحطمت فى مصر وتحطمت فى العراق وتحطمت فى لبنان وتحررت السودان ومراكش وتونس ٠ وبدت المنطقة كلها مشدودة الى مركز الثقل فى العمل الكبير الذى تصوغه القومية العربية ٠

ويقول جوزيف أيسوب « من الدار البيضاء على شاطىء الاطلنطى

الى الشرق العربى نجد شعوب هذه المنطقة فى حالة غليان . وتتمركز هذه الثورة هنا فى القاهرة حيث قد أصبح عبد الناصر رمزا للعروبة فى كل مكان وزعيما لحركة الاندفاع العربى ، هذا الاندفاع يتجه اساسا الى نبذ الماضى والاخذ بأسباب المدنية الحديثة .

والحق أن صوت القومية العربية الذى انبعث من القاهرة كان قويا صادقا وقد جرف فى طريقه كل أصوات الرجعية والاقليمية والتجزئة والتغريب . وحطم كل الاوهام وقضى على كل المذاهب القائمة والمدارس الرجعية والمذاهب المستغربة . جرفها فى عبابه الدافق ، وكان من أثر ذلك أن التفت الشعوب وانعزلت عن حكوماتها الرجعية وحطمت السدود مندفعة فى سبيل اللحاق بالركب . وبذلك كانت الانتفاضة العربية أقوى أعصار واجهه الاستعمار البريطانى والفرنسى فى العالم العربى منذ قرن كامل . بعد أن اختفى هذا الصوت الى حد ما بعد الحرب العالمية الاولى وراء الحكام العملاء والاحزاب والاقطاعيين وحاول أن ينتقل من صورة الى صورة محاولا التستر وراء مظاهر خادعه .

دخلت القومية العربية بعد ثورة ١٩٥٢ معارك فعلية وانتصرت فيها ، انتصرت فى معركة الجلاء عن مصر وتحطيم قيد السلاح وتأميم القنال ومعركة السويس والسد العالى ومعركة الوحدة .

وقامت ثورة العراق وقضت على الرجعية العميلة لبريطانيا ممثلة فى الاسرة الهاشمية والحكام العملاء . وتحررت لبنان بعد ثورتها واستطاعت أن تتجاوب مع ركب القومية العربية . وأعلنت ثورة الجزائر التى مازالت تعمل وبدأت الاجزاء المحتلة فى عمان وجنوب الجزيرة العربية تقاوم وتحارب .

وتوالت انتصاراتها فتحررت ليبيا وتونس والمغرب والسودان وقامت ثورته التحررية كما قامت ثورة الاردن . حتى ليمكن القول

بأنه ما من جزء من العالم العربي الا وقد انتفض متأثرا بالثورة المصرية العربية التى حملت لواء القومية العربية ٠

والقومية العربية كما عبر عنها رائد القومية العربية جمال عبد الناصر ، حركة قديمة راسخة الجذور فى رمال البلاد العربية وأراضيها ومياهها ٠

ولقد تحققت انتصاراتها لانها واقعية وطبيعية ولانها تفاعلت مع روح الامة العربية ، ونفست تنفيسا ــ طبيعيا ايجابيا ــ عن طاقاته المكبوتة فاندفعت تحطم القيود ٠

كما رفعت القومية العربية معنويات الامة العربية وأعادت اليها ثقتها وكشفت عن الحقائق التى كانت منطوية تحت شعارات الخداع والتضليل ٠

وجمعت الانتفاضة العربية «الامة العربية» على الاصرار وعلى الحياد وعدم الانحياز ٠ وكشفت فى نفس الوقت معسكر العملاء فبرزت قوى النضال الشعبى وهى تعمل متجمعة نحو الحرية والوحدة بعد أن اكتسبت بقيام الجمهورية العربية قاعدة راسخة رسمية لنضالها ٠

وبعد فهذا كلام مجمل يحتاج الى تفصيل ٠

١ – فلسطين العربية : بؤرة الاستفاضة

أول مايلفت النظر فى هذه المؤامرة الضخمة التى استمرت ٣٠ عاما قبل قيام اسرائيل (١٩١٨ – ١٩٤٨) ان بريطانيا كانت العنصر الفعال فى تحقيقها وخداع العرب عنها فلقد اصـــدرت بريطانيـــا عديدا من التصريحات بعـد وعد بلفور محـاولة صرف اذهان العرب عن نياتها الاصلية . صدرت هذه الوعود فى الكتب «البيضاء» ١٩٢٢ – ١٩٣٠ – ١٩٣٩ ومؤداها « أن جعل فلسـطين دولة يهودية ليس من السياسة البريطانية » ذلك ان بريطانيـــا كانت ترى أن انشاء الوطن القومى اليهودى فى فلسطين سـيكون فى مصلحتها هى أولا لانه سيحمى قناة السويس من كل اعتـــداء خارجى وقد فهم اليهود هذا الهدف فقال حايم وايزمان لرئيس وزراء بريطانيا « اذا اصبحت فلسطين ضمن منطقة النفوذ البريطانى ووافقت بريطانيا على تشجيع اقامة اليهود فيها فانـــه يمكن ان يصبح لنا بها خـلال عشرين عاما أو ثلاثين عاما نحو مليون يهودى يشكلون حراسة عملية لقناة السويس » .

هذا وقد باعت بريطانيا وعد بلفور غالبا لليهود فى الوقت الذى لم تكن تملك بأى حق أو ســـلطة أو قانون منـــح فلسطين لليهود . وذلك عندما احست عام ١٩١٧ – ان ميزان الحرب العالمية الاولى يوشك أن يتحـول ضدها وانهـا بحاجة الى تأييد الجاليـات اليهودية فى امريكا والمانيا والبلاد المعادية لكى يناصروا الحلفـــاء سواء بالتجسس او بالنفى فى الثورة .

وكان حلم اليهود هو ايجاد اكثرية ساحقة فى فلسـطين تستطيع الاستيلاء على الاراضى الصالحة وخنق العرب ماديا . وكان

اليهود فى عام ١٩١٨ ـ ٥٥ الف شخص • غير ان احلام اليهود التى كانوا يظنونها يسيرة سهلة لم تتحقق ، لقد كانت تصريحات اقطاب اليهودبعد صدور وعد بلفور علىهذا ، النحو : حايم وايزمان، اليوم تحقق الصهيونية أول خطوة فى برنامجها •

دافيد بن جوريون : ليست هذه هى نهاية كفاحنا • بل اننا اليوم نبدأ وعلينا ان نمضى لتحقيق قيام الدولة التى جاهدنا فى سبيلها من النيل الى الفرات •

وقال ليتمان : ان جمع الشتات معناه حشد خمسة ملايين من اليهود على الاقل فى داخل اسرائيل خلال السنوات العشر القادمة •

وقال الحاخام رابينوفتش : أستطيع ان اعدكم وانا واثق من صدق هذا الوعد انه قبل مرور عشر سنوات سيصبح كل صهيونى سيدا و يصبح غير الصهيونى عبدا •

ولكن الموقف بعد مرور السنوات العشر لم يكن كما تصوروه

قال بنجوريون : انه من الصعب انتوقع من العرب التسليم بدولة اسرائيل فجوانحهم تنطوى علىالنقمة • ولا تزال اثار الضربة التى انزلت بهم تهز شعور الكرامة القومية عندهم • وهى ادق احساساتهم •

وقال : ان دولة يحيط الاعـــداء بحدودها لمضطرة الى خلق شعب قوى محارب فيها • واعتبار كل قادر على حمل السلاح منذكر وأنثى حتى سن الخمسين جنديا فى الميدان •

وقال : ان الاعداء يحيطون بنا من كل جانب وان لم نبـــادر بمهاجمتهم فى عقر دورهم ونحطم قوتهم الحربية سبقونا الى تحطيم اسرائيل •

وقد فسر المراقبون وعد بلفور بانه علامة من علامات خوف بريطانيا من انبعاث القومية العربية وامتدادها مرة اخــرى من الخليج الفارسى الى المحيط الاطلسى ــ لذلك عمدت الى تقسيم البلاد بينها وبين فرنسا والاستعانة بالصهيونية العالمية لمعاونتها فى مقاومة الانتفاضة العربية · فجعلت المنطقة العربية منطقة ملتهبه عرضة للانفجار فى اى وقت فهى ــ اى بريطانيا ــ قد نجحت فى استغلال العرب وخداعهم ، واقصت فرنسا عن مطامعها فى شمال العراق وسوريا الجنوبية برمتها (فلسطين وشرق الاردن) وبذلك تم لها تطويق الجزيرة العربية تطويقا تاما وتطويق سوريا ولبنان · ولكن الموقف تحول تحولا كبيرا بعد اربعين عاما · فــان فلسطين التى كانت قمــة المؤامرة الاستعمارية أصبحت بؤرة الانتفاضة العربيــة التى ستطيح بالانجليز من العالم العربى كله ·

ولقد حرصت بريطانيا أن تعد فلسطين لاقامة الدولة اليهودية منذ اليوم الاول ولكن العرب لم يستسلموا بالسهولة التى كانوا يتصورونها · وقد سجل ذلك وايزمان فى مذكراته بأن المقــاومة الفلسطينية العنيفة اخرت تنفيذ البرنامج اليهودى فى فلسطين الى عام ١٩٤٨ بينما كان مقررا أن يتحقق عام ١٩٣٤ على الاكثر» ·

وبالرغم من اساليب العسف والضغط وحرق القوى الكاملة فانه فى خلال ثلاثين عاما (١٩١٨ ــ ١٩٤٨) لم ينتزع من العرب الا ١/٢ ٦ فى المائة من مجموع الاراضى ·

وقــد قاوم العــرب فى فلسطين مقاومة فعــالة باسلة طــوال الفترة من صدور وعد بلفور حتى قيام اسرائيل بالغــدر · دون توقف ولا تردد فى تقديم التضحية بالمال والدم وليس ادل على ذلك من موقفهم فى ثورة ١٩٣٦ حينما اضربت فلسطين من ١٥ ابريل سنة ١٩٣٦ الى ١٢ اكتوبر من نفس العام وكانوا على اســـتعداد

لمواصلة الاضراب الى النهاية لولا وساطة « ملوك العرب » الذين خدعهم الاستعمار ·

وقد جند الشباب العربى نفسه لحراسة الموانى لمنع دخـــول المهـاجرين ووصول الاسلحـة التى كانت ترد فى براميل الاسمنت من بلجيكا الى ميناء يافا ·

وقد قامت عصابة سورية فى حيفا برئاسة الشهيد الشيخ عز الدين القسام هدفها الجهاد عن طريق الفتك بالانجليز · وقد دفع القسام الاهالى بايمانه وحماسته الى الفداء فاخذتهم النشوة فباعوا متاعهم واشتروا بثمنه سلاحا وذخيرة · والفوا اول كتيبة فدائية فى فلسطين قادها بالرغم من بلوغه سن الخامسة والستين حيث هاجموا معسكرات اليهود وظلوا يقاتلون حتى قتلوا ·

ومن شهداء فلسطين (موسى كاظم الحسينى) اول من رفع الصوت عقب الانتداب وتطبيق وعـــد بلفور وخرج على رأس أول مظاهـــرة شعبية فى فلسطين ١٩١٨ وهــو رئيس بلدية القدس يقود مظاهرة ضخمة وكان فى نحو الثمانين من العمر ·

و « احمـد جابر » من مجاهدى صفـد · ظل يجاهد حتى نفذت ذخيرته فاسره الانجليز وحكم عليه بالسجن عشرين عاما وخرج بعد ان امضى نصف المدة فعاد الى ساحة الجهـــاد حتى خر صريعا فى معارك الشمال ١٩٣٩ ·

« وعبد القادر الحسينى » شهيد معركة فلسطين خاض المعارك فى ثورة ١٩٣٦ ـ فأبلى فيها بلاء حسنا وقاد المجاهدين فى منطقـة القدس · وشردة الانجليز فظل يتنقل بين العراق والحجاز وسوريا ولبنان واشترك فى ثورة رشيد الكيلانى وحاول الانجليز التخلص منه فى العراق فاعتقلوه واساءوا معاملته حتى اشرف على الموت ثم

قصد الى مصر فاقام بها حتى عاد مع المجاهدين عام ١٩٤٨ — وفوزى مجارة ورفيقاه الزبير وجحجوم وقـــد طورد الثلاثة حتى اعتقلوا وحوكموا • وحكم عليهم بالاعدام فى يونية ١٩٣٠ •

وفى ذكر الشهداء يرد فرحان السعدى الذى شنقه الانجليز وهو صائم فى الثمانين من عمره ومحمد سعيد العاصى ويوسف ابو دره وعلى سليم الحسينى وعبد الرحيم الحـــاج • وعارف عبد الرازق الذى حمل العبء الاكبر فى الجهــاد فى نابلس أبان ثورة ١٩٣٦ واذاق الجيش البريطانى سلسلة من الهجمات تحدى بها الموت ثلاثة أعوام واشترك فى حركة رشيد الكيلانى •

وفيصل وعاصم الطاهر ، وحسن سلامة الذى استشهدفىيونيو ١٩٤٨ وقد لقى العرب عسفا شديدا اذ بلغ عدد الذين استشهدوا بالقتل أكثر من ثلاثة آلاف • وبلغ عدد من اعتقل لمدد مختلفة نحو خمسون الفا • وبلغ عدد الجرحى سبعة آلاف •

وقد نسف الانجليز واليهود اكثر من خمســـــة آلاف بيت فلسطينى وكانت القوات البريطانية تحـاصر قرية من القرى • فتجمع رجالها فى العراء ثم ينتقى الضـــــابط البريطانى عــــددا من الشباب القوى فيطلق عليهم النار على مشهد من سكان القريه العزل

* * *

كانت ثورة ١٩٣٦ قمة هذه المعارك وليس أدل على ذلك من عبارة وايزمان عنها « ان اليهود يقفون فى اخطر ساعة فى تاريخ حركتهم » فقد بدأ الاضراب العام فى ١٥ ابريل سنة ١٩٣٦ وتناول جميع مظاهر الحياة • • واشترك فيه بحارة ميناء يافا وســـائقوا السيارات حتى تعطلت حركة السير واضرب المحامون عن المرافعة

وقرر الوطنيون الاستمرار والاضراب حتى تغير الحكومة سياستها المتبعة تبديلا أساسيا تظهر بوادره فى وقف الهجرة اليهودية وحددت مطالب البلاد الاساسية فى (١) منع الهجرة اليهودية منعا باتا • (٢) منع انتقال الاراضى العربية الى اليهودية (٣)انشاء حكومة وطنية مسئولة امام مجلس نيابى •

وتوالت المظاهرات واشترك فيها الرجال والنساء • ولم تستطع السلطات البريطانية ايقاف الموجة العارمة • ثم اعلان العصيان المدنى بالامتناع عن دفع الضرائب وعندما أعلن دخول ٤٥٠٠ مهاجر يهودى جدد تحول الاضراب الى ثورة مسلحة دامية فاشتد الهجوم على معسكرات اليهود وتدمير خطوط السكك الحديدية وقلب القطارات ونسف الجسور وتخريب الطرقات • وبدأ تكتل واسع النطاق لقمع الثورة •• فرض منع التجول وقذف المجاهدون المعتقلات ونسفت منطقة واسعة من مدينة يافا • وخربت أكثر من ستين كيلو متر من الطرق الحديدية • وبلغ ما انساب من بترول بسبب تفجير الانابيب ٣٢ ألف طن وأخذ الثوار يحتلون المدن وينهبون ما فى مخافرها من سلاح ويدمرون المنشآت الحكومية ـ كما احتلوا الخليل وبئر السبع والقدس القديمة وكان العراق مصدرا اساسيا من مصادر امداد الثورة بالسلاح والعتاد •

وطلبت بريطانيا نجدات عسكرية من مصر ومالطة لمقاومة الثورة التى كانت تزداد ضراما وعنفا وفيما كانت قوات المجاهدين تعمل كان المتطوعون العرب يتدفقون من انحاء العالم العربى : سورية والعراق والاردن وبلغت الثورة ذروتها حين اقبلت من العراق نجدة بقيادة فوزى القاوقجى أخذت تسقط الطائرات وتفجر أنابيب البترول بين حيفا والعراق واندمجت الامة العربية كلها فى الثورة •

ورأى الانجليز واليهود ان الامر بالغ الخطورة ، وان قتــل الشعور بالقوة غير ممكن وان مقاومة الثورة أمر مستحيل . لذلك لجأت بريطانيا كعادتها الى الخدعة فاتصلت بملوك العرب وضغطت عليهم فأرسلوا برقيتهم التاريخية (١) الى اللجنــة العليا باذلــين وساطتهم فى حل مشكلة فلسطين فتوقف الفلسطينيون وهم فى أوج انتصارهم تحت ضــغط ملوك العرب ١٣ تشرين اول (اكتوبر) ١٩٣٦ وكانوا قد قدموا خلال هذه الفترة أكثر من ألف شــهيد . وسجن منهم ثلاثة آلاف عربى ، ولكن النتيجة كانت لغير صــالح العرب .

---

(١) نص البرقية : الى أبنائنا عرب فلسطين : لقد تألمنا كثيرا للحالة السائدة فى فلسطين فنحن بالاتفاق مع اخواننا ملوك العرب والامير عبد الله ندعوكم للاخلاد للسكينة وحقنا للدماء معتمدين على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل وثقوا باننا سنواصل السعى فى سبيل مساعدتكم .
١٩٣٦/١٠/٨

ومضت المؤامرة في طريقها : تخدير للعرب وتمكين لاسرائيل ·
وعندما احست بريطانيا واسرائيل وامريكا ان الامور قد بلغت غايتها اصدرت الجمعية العامة للامم المتحدة فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ قرارا بتقسيم فلسطين الى دولتين عربية ويهودية وان يكون من الدولتين اتحاد اقتصادى · وان تترك مدينة القدس تحت الوصاية الدولية · ولاول مرة اتفقت كلمة الدول الغربية وامتنعت انجلترا عن التصويت ، وكان على بريطانيا بصفتها الدولة المنتدبة المسئولة عن تحمل امانة الحكم فى فلسطين ان تبقى فى البلاد حتى تنفذ قرارات هيئة الامم وتؤمن العرب على حقوقهم · وتوطد فى المنطقة دعائم الامن والسلام ·

ولكنها سرعان ماأعلنت قرارها « بتصفية الانتداب »وحددت يوم ١٥ مايو ١٩٤٨ لسحب موظفيها وجميع قواتها · وبذلك هيأت الجو للصهيونيين ليضعوا ايديهم على مواقع البلاد ومراكزها الحيوية ويسيرون دفة الحكم قبل جلاء الانجليز عنها ·

وكان قادة العرب قد اجتمعوا فى خريف عام ١٩٤٧ فى عالية (لبنان)باسم مجلس جامعة الدول العربية لاستعراض الموقف الخطير فى فلسطين وتقرر (١)تسليح عرب فلسطين وتدريبهم وتحصين مدنهم وقراهم تحصينا عسكريا فنيا وجعلهم الاساس فى الدفاع عن بلادهم لانهم أعرف بمواقعها ومسالكها (٢) الاستعانة بالمتطوعين القادمين من الاقطار العربية لمساعدة الفلسطينيين (٣) مرابطة الجيوش النظامية للدول العربية على حدود فلسطين دون دخولهاكما تقرر البدء بتدريب الف شاب فلسطينى فى معسكر قطنة ·

وقد عملت الدسائس الاستعمارية عملها فى قلب الاوضاع وتبديل الخطة وقدمت بريطانيا للجامعة العربية مذكرة تعترض

فيها على تسليح الفلسطينيين وتدريبهم واصفة اياه بأنه عمل غير ودى نحو بريطانيا التي لم تنسحب من فلسطين . ولم تلبث بعد ذلك ان ظهرت سياسة اقصاء الفلسطينيين عن المعركة وحرمانهم من كل وسيلة من وسائل الدفاع عن وطنهم المهدد بالغزواليهودى وابعادهم عن ميادين قضيتهم السياسية وكل شأن من شئون بلادهم

وانهى الانجليز الانتداب البريطانى فى ١٥ مايو « آيار » ١٩٤٨ بعد نيف وثلاثين عاما وانسحب الانجليز من فلسطين بعد ان سلموا مدنها الكبرى والمئات من قراها لليهود وعملوا على تشريد أهلها واخراجهم من ديارهم ، وهكذا كان موعد جلاء الانجليز عن فلسطين هو فى الحقيقة موعد تسليمها لليهود .

واعلن اليهود قيام الدولة اليهودية (اسرائيل) والفوا حكومة مؤقتة واسرعت أمريكا فاعترفت بها خلال نصف ساعة من تسلم الرئيس ترومان الاشعار بتأسيس الدولة اليهودية .

وصدرت صحف أمريكا وهى تحمل فى صفحاتها الاولى صورة الرئيس الامريكى وهو يحتضن العلم الاسرائيلى . علم الدولة التى قامت على أرض مغتصبة وحقوق مسلوبة ومذابح وأشلاء .

واحتشدت قوات الجيوش العربية النظامية على حدود فلسطين يوم ١٤ مايو واجتازتها فى اليوم التالى . وأعلنت الجامعة العربية أن الجيوش العربية انما تدخل فلسطين بقصد اعادة الامن والسلام الى ربوعها وحماية أهلها العرب من الارهاب اليهودى وصيانة حقوقهم .

وكان اليهود يسيطرون فعلا على جميع المدن والمستعمرات اليهودية ما عدا النقب والقدس وغزة والمجدل . وكانوا ايضا يحتلون مدن طبرية وصفد وحيفا ويافا والقدس الجديدة . وكانت جميع المساحة التى فى يديهم لا تتجاوز ١٨ فى المائة من مساحة البلاد

وكان أول بوادر المؤامرة فى الصف العربى ان ادخلت القيادة العربية العليا تغييرا على الخطة العسكرية الاساسية . التى وضعها

من قبل رؤساء أركان حرب الجيوش العربية ـ كان هذا التغيير الذى أحدثه جلوب باشا هو انفراد الجيش المصرى بالقتال · وتوقف جميع الجيوش العربية الاخرى · وبذلك سقطت عكا والبصة والزيده والناقورة بأيدى اليهود ·

وانسحب الجيش العراقى من مناطق جنين ونابلس وطولكرم وتسلمها جيش جلوب وقاتل المصريون وحدهم فى معارك النقب ووقفت الجيوش العربية متلهفة على العمل ولكن « لا أوامر » ومع ذلك فقد وصلت الجيوش المصرية الى اسدود جنوبى تل ابيب بعشرين كيلو مترا وكانت الجيوش العراقية على بعد ٢٠ كيلو مترا شمال شرق تل ابيب والجيوش الاردنية على بعد ٨ كيلو مترات من عاصمة اسرائيل · « وفجأة » غير جلوب الخطة العسكرية المرسومة وأخر زحف الجيوش الاخرى وانسحب من اللد والرملة ·

وفى ٢٩ مايو ١٩٤٨ قرر مجلس الامن وقف القتال لمدة شهر فى الوقت الذى كان الوضع العسكرى العربى جيدا وقد قبل العرب الهدنة الاولى بتأثير الضغط الاجنبى وكانت خدعة كبرى · وفى هذا الشهر تغير الموقف تماما · تدفقت الاسلحة على اليهود وغيروا مواقعهم بمساعدة جلوب · وفى ٨ يوليو تجدد القتال لمدة عشرة أيام ثم فرض مجلس الامن الهدنة الثانية ١٨ يوليو ١٩٤٨ ·

وفى اكتوبر ١٩٤٨ قام اليهود بخرق الهدنة وهاجموا القوات المصرية وعزلوا قوة « الفالوجة » وفى ديسمبر من نفس العام وصلوا داخل حدود مصر من سيناء ·

وكان من أقوى الضربات التى وجهت الى العرب أثناء الهدنة الاولى اخلاء الانجليز ميناء حيفا فى يونيو ١٩٤٨ على الرغم من تأكيداتهم المتكررة بان انسحابهم منها لن يكون قبل شهر أغسطس ١٩٤٨ وقد أرادوا بذلك اعطاء الفرصة لليهود لاستخدام هذا

الميناء لاغراض حربية بعد أن احدث سلاح الجو المصرى دمارا كبيرا فى ميناء تل أبيب · وقد تم الجلاء بعد أن جردت الاحياء العربية من السلاح وبذلك مكنت بريطانيا اليهود من رقاب العرب ·

وبعد الهدنة أصدر جلوب امره الى الكتائب الاردنيةوالعراقية وجيش الانقاذ بالانسحاب دون سبب ظاهر من اللد والرملة ورأس العين ومرج بنى عامر والجليل ، وعلى أثر ذلك الانسحاب وقعت الكتائب المصرية فى مأزق حرج كاد يعرضها للابادة والهزيمة كما أخذت الغارات اليهودية تشتد علىالقاهرة ودمشق وعمان ·

ثم اغتال اليهود « كونت برنادوت » الوسيط الدولى فى القدس فى ٧ سبتمبر سنة ١٩٤٨ لانه أوصى باخراج النقب والقدس من أيديهم واعادة اللاجئين الى ديارهم وتعويضهم عن ممتلكاتهم وجعل ميناء حيفا ومطار اللد حربيين · واعطاء العرب منفذ الى البحر ·

واكتفى الملك عبد الله ملك شرق الاردن الهاشمى « قائد الجيوش العربية السبعة » بارسال جيشه ليحاول احتلال شرق فلسطين وهو القسم الذى يعطيه مشروع التقسيم للعرب ولم يدخل فى أية مرحلة من مراحل المعركة ولم يلتحم فى القتال مع أية قوات يهودية ومن هنا كان تسليمه للد والرملة · فقد دخل الحرب لكى يقتسم فلسطين مع اليهود كان الملك عبد الله قد أصدر أوامره بعدم الهجوم من الجبهتين الاردنية والعراقية ·

وكان الجيش العربى الاردنى قادرا على احتلال القدس ولكن جلوب حال دون تزويده بالذخيرة · أما الجيش العراقى فقد كان على أميال من تل أبيب ولكن جلوب حال بينه وبين العمل أيضا · أما الجيش المصرى فقد كان يعانى حصارا فى النقب وأسلحته فاسدة وحكومة القاهرة لا ترد على طلبات الجبهة ·

والهدف من ذلك هو أن تحقق المعركة مطامع الملك عبـد الله فى توسيع مملكته الصغيرة بعد انهاء الاحتلال البريطانى لفلسطين. ذلك ان الملك عبد الله لم يكن يخوض المعركة لانقاذ فلسطين ولكن لتوسيع المملكة على حساب العرب .

وفى حيفا تآمر الانجليز على تسليمها الى اليهود ولم يستطع الجيش الاردنى أن يمد يد المساعدة فى محاولة انقاذها .

وسقط حى القطمون بالقدس فى أيدى اليهود بعد أن صـدر الامر بسحب أربع مصفحات اردنية . وقد بدأ اليهود يهاجمـون المدينة المقدسة دون أن تصدر الاوامر للجيش الاردنى الذى يعسكر فى أريحا ورام الله القريبة من القدس بالمقاومة .

ووصلت القوات المصرية بقيادة أحمد عبد العزيز الى بيت لحم وقامت بهجوم على جنوبى القدس مما اضطر اليهود الى ايقـــاف هجماتهم . ولما انتهت معركة القدس أمر الملك عبد الله جيشـــه باحتلال القدس وضمها الى مملكته .

وبعد الهدنة فى ٩ يوليو ١٩٤٨ انسحب الجيش الاردنى مـن اللد والرملة دون ابلاغ الاهالى أو اخطارهم بالدفاع عن أنفسهم . وشرد مائة ألف لاجىء وكشف الجناح الايمن لقوات الجيش المصرى المتقدمة فى فلسطين .

وقد كان من نتيجة انسحاب القوة الاردنية من اللد والرملة وقوع مجزرة وحشية ذهبت فيها مئات الضحايا من أطفال وشيوخ وادى سقوط اللد والرملة الى انسحاب القوة العراقية من رأس العين كما انسحب جيش الانقاذ من أنحاء الجليل فاستولى اليهود عـــلى صفد والناصرة .

ولقد كان لغدر الملك عبد الله بكشف منـاطق كاملة لليهود أثره البعيد المدى ـ فقد انطلق العـــرب هاربين وهم فى حالة من

الفزع . وبعد أن بدأت الهجرة بست ساعات لم يبق شـــخص من سكان صفد البالغ عددهم ١٤ ألف نسمة وهى تقــع شـــمال فلسطين وقد وصف حجون كميش مؤامــرة دير ياسين فقال انها وصمة سوداء فى سجل اليهود . وقد ذبح فى معــــركتها ٢٥٠ من الرجال والنساء والاطفال العرب يوم ٩ ابريل . وقال جلوب فى وصف هرب اللاجئــين : « قبل انتهاء الانتـــداب وبعده ، اغتنم الاسرائيليون كل فرصة للتخلص من العــرب الذين يعيشون فى المنطقة المخصصة لها . وفى اثناء القتال احتل اليهود عددا من المدن والقرى العربية وكان بعضها مخصصا للعرب طبقا لمشروع التقسيم الذى وافقت عليه الامم المتحدة . وفى كثير من الحالات المتشـــابهة قامت القوات الاسرائيلية بطرد السكان اللاجئين على الفور أو كانت تمنحهم نصف ساعة للرحيل . وكان الجيش الاسرائيلى يســـتولى على جميع وسائل النقل . ولهذا كان السكان مضطرين لان يخلفوا وراءهم جميع ممتلكاتهم وبيوتهم .

وقد سمح لبعض القبائل بزراعة أراضيهــا ولـــكنه عندما ينضج الزرع كانوا ينقلون الى مناطق أخرى ويستولى الاسرائيليون على المحصول . وهناك فلسطينيون حوصروا فى بعض المدن مثل يافا وحيفا وأجبروا على الهرب بسبب قيام القوات الاسرائيلية الزاحفة بدك هذه المدن بالقنابل .

وقد أجلت وحشية اليهود ٦٣٥ ألف عربى بطريقة جنونية مذعورة .

وكان جيش اسرائيل قد قام فى معارك ١٩٤٨ بتدمير شامل للقرى العربية فبدأ العرب يهربون على نطاق ضيق فى المراحـــل الاولى من الحرب فهاجر ٣٠ ألفا ولكن خدعة « دير ياسين » أدت الى الاسراع فى الهرب . ولذلك فانه عندما بدأ التقسيم فى منتصف

مايو كان عدد اللاجئين قد بلغ ٢٠٠ ألف لاجيء كمـا أخليت قرية قولونية التى صدت كل هجوم قامت به الهاجاناه بـين يوم وليلة وسقطت دون قتال ٠

ولا يمكن أن تنسى فظائع مدينة يافا ومجـزرة ناصر الدين القريبة من طبرية والتى محيت من الوجود بعد أن أحرقوا بيوتها وقتلوا سكانها ٠

وفى الوقت الذى حال الانجليز دون وصول الاسـلحة الى جيوش العرب باعوا معظم مخلفاتهم الحربية الى الوكالة اليهـودية ومن بينها الذخيرة والطائرات الحربية كما سـلمت المدن الكبرى لليهـود ٠

وقد كانت بريطانيا تجلو أولا عن الاحيـاء العربية من المدن الكبرى لتمكن اليهود من احتلالها وتمنع من دخول امدادات اليها ٠

وفى فترة الهدنة تدفقت على اليهود كميات كبيرة من الاسلحة وأعداد ضخمة من المحاربين من البحر والجو : من تشيكوسلوفاكيا ودول أوربا الشرقية وايطاليا وروسيا وفرنسا ورومانيا وانكلترا وأمريكا حيث تلقت اسرائيل كميات من الطائرات والقلاع الطائرة والمدافع والعتاد والجنود ٠

وكان دور « أمريكا » بالغ الاثر فى هذه المؤامرة الضخمة ضد القومية العربية ، فقد اتخذت مساعدة الحكومة الامريكية الى حكومة اسرائيل خمسة أشكال مختلفة هى : القروض والمساعدة الاجنبية والمنتجات الزراعية والكتب والمجلات والاسطوانات ٠

وقد بلغت اعانات امريكا لاسرائيل حتى الان وتسعمائة مليون دولار أى ٦٣٣ مليون جنيه فضلا عن ٨٢٢ مليون دولار عبارة عن التعويض الالمانى لاسرائيل ٠

ولقد ساعدت أمريكا اليهود المتشردين للاستيطان فى فلسطين فشردت أصحاب الوطن من العرب ، ذلك ان كل مهاجر يهودى الى اسرائيل كان يقابله من ناحية العرب لاجىء مشرد عن داره ٠

وللعراق فى مؤامرة فلسطين موقف ، فقد أصدر « مزاحم الباجهجى » أوامره بتحرك الجيش العراقى ولكن « عبد الاله » الوصى على عرش العراق ألغى أوامر رئيس وزرائه ٠ وقد صور الفريق طه الهاشمى الموقف الحربى فقال : « ان القوات العربية لم تحارب بالمعنى الصحيح حتى يقال انها خسرت المعركة ٠ واذا كانت نتيجة القتال قد جاءت فى صالح اليهود فمرد ذلك الى أسباب سياسية لا عسكرية ٠ وعلى الرغم من أن الجيوش العربية لم تدخل فلسطين بقوات كافية الا انها كانت قادرة دون ريب على منع قيام الدولة اليهودية لو استخدمت حقا فى الاغراض العسكرية البحتة

والواقع اننا اذا استثنينا أعمال القوات المصرية فان الحركات التى سبقت الهدنة لم تكن تجرى وفقا لخطط وأغراض عسكرية وانما كانت تسير وفق أهواء السياسة النفعية ٠

وقال عبد الرحمن عزام أمين الجامعة العربيـة اذ ذاك (١٦ يوليو ١٩٤٨) ان بريطانيا وأمريكا قد لاحقت كل مسـعى عربى من أجل الحصول على السـلاح · وقاومتاه بـكل قوة · وحملتا الحكومات التى كانت تبدى استعدادا لمساعدة العرب فى الشرق أو الغرب عن الامتناع عن ذلك ، فى حين انهما كانتا تعمـلان بهمـة ونشاط فى تأمين تدفق المواد الحربية والجند على اليهود بحرا وجوا من كل صوب ·

يضاف الى هذا أن الملك عبد الله ملك شرق الاردن قبل معركة فلسطين أصبح ملك الاردن بصفته بعد المعركة فقد رفضت حكومة الاردن أن تعتبر ماضمته من أرض فلسطين وديعة عندها وأقدمت على مخالفات خطيرة ومكنت اليهود من الاستيلاء على ثلاثة أرباع فلسطين وهو الجزء العامر الخصب الاستراتيجى وفصلت مصر عن سوريا ولبنان والعراق بواسطة الخط العسكرى الذى أقامه اليهود من شرق غزة على البحر المتوسط حتى المرشوشى فى خليج العقبة على البحر الاحمر ·

بل ان قيام الملك عبد الله على قيادة جيوش العرب السبعة كان معناه أن جلوب هو قائد الجيوش العربية فى فلسطين ·

ولقد رفض هذا القائد رغبة الجيش العراقى فى نجدة الجيش المصرى حين طلب أن تمر قواته عبر شرق الاردن لنجدة المحاصرين فى الفالوجا كما سلم مساحات كبيرة فى منطقة نابلس وحنـين وطولكوم وبيت لحم والخليل · وكان الجيش الاردنى قد تسلمها من الجيش المصرى والعراقى ·

وقد ضمت شرق الاردن الاجزاء التى استولت عليهـا فى ٢٤ أبريل ١٩٥٠ واعترفت بريطانيا بهذا الضم ثم تمت بعد ذلك اجتماعات مريبة بين الاردن واسرائيل على ظهر مدمرة اسمها «ماك فاى» وكان هذا نهاية الملك عبد الله ·

لقد اعترف «جلوب» فى مذكراته بأن دخول الجيش العربى الاردنى الى فلسطين لم يكن يقصد به منع اقامة دولة اسرائيل فيها بل بقصد تنفيذ قرار التقسيم الصادر من الامم المتحدة » ٠

ومع ما فى هذا القول من المغالطة فانه يصور مدى التآمر والغدر الذى يكمن وراء المعانى الظاهرة ٠

وقد توالت هجمات اسرائيل على الحدود العربية وكان أقساها هجوم فبراير سنة ١٩٥٥ على غزة و٣١ أغسطس على خان يونس ٠ والعوجة ٢١ سبتمبر والكونتلا فى ٢٨ أكتوبر والصبحة فى ٢٨ أكتوبر ١٩٥٥ ٠ والهجوم على قرية قبية الاردنية وقتل ٦٦ اردنيا

وقد رد الجيش المصرى على هذه الهجمات بهجمات مضادة وتوغل الفدائيون المصريون فى اسرائيل توغلا كان بعيد المدى فى تحطيم قواعد اسرائيل كما ارغم اليهود عددا كبيرا من العرب المقيمين فى اسرائيل الى الهجرة منها ٠

١ ـ ذكر الجنرال «رايلى» أن الاسرائيليين طردوا منذ مارس ١٩٥٠ أكثر من ألف عربى عبر خطوط الهدنة الى قطاع غزة وهناك ١٨٠ ألف عربى يقيمون الان فى اسرائيل ويعاملون أسوأ معاملة، ويضطهدون اضطهادا بالغا وقد أهدرت حقوقهم المدنية والسياسية والاقتصادية اذ يعتبرون مواطنون من الدرجة الثانية ويعيشون فى مناطق الخليل ونجيف والمثلث وهى موضوعة جميعها تحت الحكم العسكرى ٠

وقد منح قانون الجنسية الاسرائيلية الجنسية لجميع يهود اسرائيل حقوق المواطن ولكنه لم يمنع أى عربى من الـ ١٨٠ الفا هذا الحق ٠

وهناك خارج اسرائيل على حدودها مليون عربى من أهلها

أخرجوا منها منـــذ ثلاثة عشر عاما يقيمون فى الخيام والاكواخ بمعسكرات اللاجئين ٠

٢ ــ ارغـم عـام ١٦٥١ : ٨٧٥ عربيا يقيمون على الحـــدود الاسرائيلية السورية بالقرب من بركة الحولة على هجر منازلهم ودمرت بيوتهم ٠

ولم تتوقف مؤامرات اسرائيل منذ احتلال فلسطين وابرز هذه المؤامرات : محاولة تحويل مجرى نهر الاردن وتجفيف بحيرة الحولة ٠

وقد جرى الاستعمار الفرنسى والبريطانى والامريكى منذ اليوم الاول لقيام اسرائيل على اعدادها كقاعدة للعدوان على الدول العربية ٠ وكانت الخطة أن تظل اسرائيل متفوقة حربيا عن الدول العربيـــة مجتمعة ٠ وقد صور تشرشل ذلك فى تصريحه : ان من حسن حظ اسرائيل انها تملك قوى الجيوش الموجودة فى الشرق الاوسط واننا لن نحاول ونحن نمد الدول العربية بالسلاح الجوى أن نضع اسرائيل موضع القوة الضعيفة الخاسرة » وقد تغير هذا الموقف كلية بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ٠

وكان عدوان اسرائيل فى ٢٨ فبراير ١٩٥٥ على الحدود المصرية هو ناقوس الخطر ذلك أن بن جوريون الذى عاد الى الحكم اذ ذاك كان يؤكد أنه سيفرض الصلح على العرب بالقوة ٠

وأعلن « جمال عبد الناصر » ان غارة غزة بالامس ستكون نقطة تحول فى الشرق الاوسط » كان معنى هذا هو كسر قيد السلاح ٠

وانكسر قيد السلاح فعلا وهزت مصر العالم كله عندما تحققت لها القوة وحقق جمال عبد الناصر قاعدته التى أعلنها «أريد سلاحا اشتريه لا سلاحا يشترينى ٠ ولست مستعدا فى سبيل شراء السلاح ان أعدل عن سياسة عدم الانحياز » ٠

وكشفت اسرائيل حقيقتها عندما اتخـــذها الاستعمار اداة للعدوان فى معركة السويس عندما هاجمت الارضى المصرية والاستيلاء على سيناء وغزة فى ٢٨ اكتوبر سنة ١٩٥٦ فى محاولة لاستدراج الجيش المصرى الى الضفة الشرقية للقنال لعزله فى الصحراء فى الوقت الذى تهاجم فيه فرنسا وبريطانيا بور سعيد ٠ وقد تنبهت مصر للمؤامرة وقضت عليها وبذلك حطمت العدوان الثلاثى ٠

وليست مجزرة كفر قاسم التى حدثت ابان احتلال اسرائيل لقطاع غزة الا صورة من مجازر اسرائيل للعرب ٠ قالت مجلة «كول هعام» انها مجزرة ذبح فيها ٤٩ من سكان كفر قاسم العرب الآمنين وجرح ١٣ آخرون منهم ٠ قام بها جنود حرس الحدود اليهودى يوم ٢٩ اكتوبر بعد أن شنت اسرائيل الحرب على مصر ٠ اذ قامت فى الساعة الرابعة من ظهر ذلك اليوم وحدات من مرسى الحدود بالطواف على قرى المثلث العربى وأبلغت العمد والمجالس القروية بأن نظام منع التجول فى هذه القرى سيبدأ الساعة الخامسة مساء وبين القرى التى طاف بها حرس الحدود قرية كفر قاسم القريبة من مستعمرة (بتاح كتفا) وقد جاءها الانذار فى الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة والاربعين ولم يبق سوى ربع ساعة فقط على الموعد المحدد ٠ وابلغ المختص فى كفر قاسم بأن هناك عددا كبيرا من أبناء القرية يعملون خارجها ولا يعلمون شيئا عن الموعد الجديد لمنع التجول ٠

وعقب ذلك رابط السكان ببيوتهم ورابطت وحـــدات حرس الحدود المدججة بالسلاح فى مداخل القرية تنتظر عودة العمال الى قريتهم فى سيارات الشحن ٠ وما ان بلغوا القرية حتى صـــدرت الاوامر بحصدهم ٠ وانطلق الرصاص ينهمـــر عليهم ٠ واخذوا يتصدون لكل عائد ٠ نساء ورجالا دون تورع ٠ واستمرت المعركة أكثر من ساعة ونصف ساعة ٠

وفى رفح قتل اليهود ٤٩٠ شابا بعدأن أصدروا أمرا بالتجمع فى المدرسة الثانوية ثم أغلق الباب وانهال الرصاص ثلاث ساعات وشقت بطون النساء وسرقت جيوب الموتى ٠

وفى خان يونس قتلوا ١٨٠٠ ٠ واقيمت المحرقة فى مكان غربى رفح ٠ وجمع اليهود فيها الشباب العربى سن الخامسة عشرة الى سن الخمسين ثم ربطوا كل شاب فى عمود بسيور من الاسلاك ثم نفضوا عليهم الغاز واشعلوا فيهم النار ٠

وسلم الحاكم العام ٤٨٠ جثة للاهالى ليقوموا بدفنهم ٠ وخاف الرجال وخرجت النساء تحملن الضحايا وقمن بدفنهم ٠ ولم تجرؤ اسرائيل على اعلان هذه الجريمة الا بعد مرور ستة أسابيع على وقوعها عندما ضاع أملها فى استمرار احتلالها لغزة وسيناء فأعلن (بن جوريون) القصة فى الكنيست فى ١٤ ديسمبر ١٩٥٦ ٠ ودافيد بن جوريون رئيس وزراء اسرائيل هو مؤسس عصابة الهاجاناه والذى يمثل وجهة نظر العنف فى مطالبة اليهود بدولة لهم فى فلسطين وكان زميله (وايزمان) يؤمن بمبدأ السياسة السلمية والمفاوضة البعيدة عن العنف ٠ وكان دافيد بن جوريون يؤسس العصابات ويشجع الهجرة غير المشروعة ٠

وعندما كان يسألونه عن عصابة الهاجاناه التى يرأسها كان يتجاهل وجودها وهو الذى أشرف على ادخال ستة آلاف لاجىء يهودى عام ١٩٢٠ واسكان سبعين ألف لاجىء يهودى عام ١٩٣٦ ٠

وهو صاحب الدعوة الى الجولة الثانية يقول : « ان خطر الجولة الثانية شىء واقعى بقدر ما كان خطر الجولة الاولى قبل بضعة أشهر من قيام الدولة اليهودية ولن يكتب لدولتنا البقاء امام الافواج العربية التى تترقب الفرصة لاكتساحنا اذا لم نسارع باقصى جهودنا الى جمع اكبر قسم من يهود العالم فى اسرائيل ٠

لقد كان «بن جوريون» يظن أن فى استطاعته أن يخطو خطوة أخرى يقضى بها على العرب ولكن ميزان القوى فى الشرق الاوسط قد تغير تغيرا كاملا يجعله يتردد ألف مرة قبل أن يردد ما كان يردده من قبل « اصبروا قليلا حتى نكون فى وضع يمكننا من القضاء على جيوش العرب فلا تقوم لهم بعدها قائمة» ٠

كما فشلت فكرة الحرب الوقائية التى كانت اسرائيل تهدد بها العرب والتى هىء لها باعتداءات متكررة عـلى الاردن عـام ١٩٥٣ وسوريا ١٩٥٤ ومصر ١٩٥٥ وذلك بعد أن نادى جمال عبد الناصر فى العرب « اتحدوا ياعرب حتى لا تؤكلوا واحدا واحدا » ٠

ومن ثم اندلعت نار الانتقام والثار فى قلوب العـــرب وكانت اسرائيل ومرارة اسرائيل عاملا فعـــالا فى اشعال روح القوميـــة وتأريث الانتفاضة العربية ٠

وفشل ضغط اليهود على امريكا فى منع تزويد العـــرب بأية اسلحة قبل ان يوقعوا الصلح معها وحطم جمال عبد الناصرهذاالقيد واشترى السلاح من كل مكان وكانت أقسى لطمة وجهت للصهيونية العالمية ٠

أثر الانتفاضة العربية فى قضية فلسطين

ماذا كانت نتائج سقوط فلسطين فى يد الصهيونية ؟؟
الى ماذا تطور الموقف بعد الانتفاضة العربية ؟؟

لقد وقف العالم كله ضد (فلسطين) فى معركتهــا حتى قادة العرب من عملاء الاستعمار كانوا فى صف العـــدوان . ونجحت الصهيونية فى الاعتماد على بريطانيا فى تحقيق أهدافها ثم تحولت الى امريكا بعد الحرب الثانية . واستطاعت بريطانيا بالضغط على العرب ان تمكن من اقامة اسرائيل رغم المقاومة العنيفة المستمرة التى لم تتوقف منذ صدور تصريح بلفور ١٩١٨ الى معركة ١٥ مايو ١٩٤٨ـ فلما أعلنت الحرب تلقت اسرائيل الاسلحة والخبراء من كل أنحــاء العالم ولم يحصل العرب على شيء .

(١) رسمت الصهيونية خطتها فى (١) الحصول عـلى حق دولى قانونى معترف به فى فلسطين « وعد بلفور (٢) استعمار فلسطين على نطاق واسع (٣) تشكيل منظمة دائمة لتوحيد كل اليهود من أجل قضية الصهيونية . وتدخل الصهيونيين بعد صدور وعد بلفور فى صياغة وثيقة الانتداب بما تحقق أغراضهم .

(٢) كان العمل فى خلال هذه الفترة (١) سلب أراضى العرب الخصبة (٢) سحق القوى العربية وجبهات المقاومة (٣) ادخال ارقام ضخمة من المهاجرين (كان اليهود عام ١٩٢٠ ٦٠ ألف أصبحوا فى سنة ١٩٤٠ ٦٦٠ ألف) .

(٣) حققوا كسبا شرعيا بقرار التقسيم فى ٢٨ أبريل ١٩٤٧ من مجلس الامن حيث تقرر تقسيم فلسطين الى دولتين احداهمـــا

عربية واخرى يهـــودية وتدويل القدس وفاز المشروع بالاغلبيـــة المطلوبة ٠

(٤) تدرب اليهــود فى الحرب العــالمية الثانية وكونوا جيشـــا مسلحا مدربا مذودا بالخبرة والذخائر ٠ فلما انتهت الحرب العالمية الثانية كانت خطتهم تقوم على مرحلتين (١) اجلاء البريطانيين عن فلسطين (٢) اجلاء العرب .

وكانت معركتهم الاولى معالانجليز ٠ جاهروهم بالعداء٠وقتلوا اللورد موين فى قلب القاهرة ٠ وأغاروا على المعسكرات البريطانية٠ ونسفوا المكاتب والدور وجلدوا الضباط البريطانيين بالسياط ٠ وازداد ضغطهم على بريطانيا حتى قررت الجلاء فى ١٥ مايو ١٩٤٨٠

(٥) استطاع اليهود الحصول بالتآمر فى حرب فلسطين على ما يقرب من ضعف المساحة التى خصصها لها قرار التقسيم ورفضت أن تتخلى عن أى جزء مما احتلته كما رفضت تدويل القدس ٠

(٦) وقف الملك عبد الله قائد القوات العربية موقفا مريبـــا : حذر العرب بتصريحات حماسية متفاعله فى نفس الوقت الذىيعمل على طريق الانجليز والصهيونية ٠ قام بزيارات متعددة خلال الهدنة الاولى للقاهرة والرياض وبغداد وصرح بقوله : «اننا قد عزمنا عــلى تخليص فلسطين ان حربا وان سلما وســنــستمر فى عزمنـــا حتى النهاية » ٠

فلما استؤنف القتال كان اليهود أوفر عددا وسلاحا وخاصــة فى الطيارات والمدافع والقادة والمقاتلين والمدربين ٠ وفجأة انسحبت القوة الاردنية من حول اللد والرملة ٠ وانسحبت تبعا لذلك القوة العراقية من رأس العين والمجدل ووقف الانجليز موقف الحيلولةدون التسليح العربى ٠

وقد أثبتت الاحداث التى وقعت خلال فترة الهدنة الاولى (أربعة أسابيع) ان العرب خسروا المعركة نهائيا حين قبلوها فقـــد خالف اليهود شروط الهدنة (١) جلبوا السلاح والعتاد (٢) خرقوا خطوط الهدنة فى مختلف الجهات لتحسين مراكزهم (٣) واصلوا مساعى الاعتراف بهم حتى بلغت ٢٠ اعترافا بعــــد أن كانت ١٢ حين وقف النار (٤) لم تتقدم القوات المصرية ولم تتسلح ٠

(٧) لم تكن الجيوش العربية موحدة القيادة وكان هناك ضباط انجليز ببعض الجيوش وبعضها يخضع للتوجيه الاجنبى وكان فى يد أعوان الاستعمار قيادة الجيوش وقد حيـــل بين الفلسطينيين وبين فرصة الدفاع عن أرضهم ٠

* * *

فماذا اذن كانت نتيجة مأساة فلسطين فى العـــالم العربى وفى خط القومية العربية : لقد كان للمعركة نتائج خطيرة منها :

(١) مقتل الملك عبد الله ٠

(٢) انقلابات سوريا ٠

(٣) قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ٠

وكان معنى ذلك تغير الموقف كلية فى العالم العربى ٠ واذا كانت القومية العربية وانصارها قد أصابهم اليأس بعد سقوط فلســطين فى يد الصهيونية فان اندلاع الثورة المصرية العربية كان عاملا من عوامل عودة الثقة الى العرب واعلانا لفجر الانتفاضة العربية التى حققت بعد خمس سنوات اول تجربة للوحدة فى العالم العربى ٠

ولكى نستطيع أن نصور أثر ثورة ٢٣ يوليو على قضية فلسطين يجب أن نستعرض رأى ــ الرئيس جمال عبد النـاصر الذى أورده

فى فلسفة الثورة قال : « انما يعنينى من حرب فلسطين درس عجيب . لقد دخلتها شعوب العرب بدرجة واحده من الحماسة ثم خرجت منها هذه الشعوب بنفس المرارة والخيبة . اذن فهى جميعا كل فى بلاده قد تعرضت لنفس العوامل وحكمتها نفس القوى التى ساقتها الى الهزيمة ونكست رأسها بالذل والعار .

• كنت مؤمنا ان الذى يحدث فى فلسطين كان يمكن أن يحدث – وما زال احتمال حدوثه قائما – لاى بلد فى هذه المنطقة مادام مستسلما للعوامل والعناصر والقوى التى تحكمه الان .

• ان الاستعمار هو القوة الكبرى التى تفرض على المنطقة كلها حصارا قاتلا غير مرئى اقوى واقسى مائة مرة من الحصار الذى كان يحيط بخنادقنا فى الفالوجة ، وبجيوشنا جميعا وبحكومتنا فى العواصم التى كنا نتلقى منها الاوامر .

• بدأت بعد أن استقرت كل هذه الحقائق فى نفسى أؤمن بكفاح واحد مشترك .

وكتب الرئيس فى مذكراته التى نشرت عام ١٩٥٥ عن فلسطين:

• لقد كانت فى فلسطين هزيمة . ولكن من الذى هزم فى فلسطين ؟؟ فى رأيى أن جيش مصر لم يرتكب جريمة فلسطين . وانما ارتكبها غيره وزيف الادلة عليه . وحين وقفت فى الكلية الحربية منذ ايام اقول ان الجيش المصرى لم يهزم فى فلسطين . لم اكن اريد أن ألقى كلاما حماسيا . ولا كنت اريد ان ارفع من معنويات الجيش بعد حادث غزة الاخير . كنت اقول الحقيقة التى عشتها .

• كان الجيس المصرى يومها مكونا من تسع كتائب . ولكن ثلاثا فقط كانت قرب الحدود حتى صدور الامر بدخول فلسطين . وكنا نتساءل لماذا لم يحشد عدد كبير من الكتائب ما دمنا نريد

دخول حرب فى فلسطين • ولماذا لم يستدع الاحتياطى لكى تكون منه كتائب جديدة ترسل الى الميدان على عجل • ولماذا يصف البلاغ الرسمى الاول عمليات فلسطين بأنها مجرد حملة لتأديب العصابات الصهيونية •

• كانت المتناقضات تصدمنا كلمـــا تعمقنا داخل المظهـــر الخارجى الى صميم العمل الحربى الذى كان يجب أن يقوم من القاعدة لم يكن هناك من يهتم بنـــا أو يرشدنا • لم نكن ندرى أين مواقع وحداتنا بالضبط حتى نستطيع ان نلحق بها •

• وسمعت بين الضباط نغمة تقول ان الحرب حرب سياسية • وكان لهذه النغمة ما يؤيدها لم يكن معقولا أن تكون هذه حربا • لا قوات تحشد ولا استعدادات فى الاسلحة والذخائر ، لا خطط • لا استكشافات • لا معلومات • ومع ذلك فهم فى ميدان قتال اذن فهى حرب سياسية • والنغمة الثانية أن أساطير من المبالغات كانت تؤلف حول قوة العدو العسكرية •

• وكنت احس ان هناك عمليات بعثرة لقواتنا • فنحن نتقدم الى السهـــل الساحلى ونترك المستعمرات المحصنة وراء ظهـــرنا وجناحنا الشرقى وخطوط مواصلاتنا • واشتريت كل ما كان فى غزة من الجبن والزيتون وقلبى مجروح على الجندى الذى يهاجم المواقع الحصينة بجسده العارى ثم يجلس وقت الاكل فى جحـــر كجحور الفيران يقرض قطعة من الجبن •

• معركة دير سنيد : اية معركة هذه التى تستهلك فيهـــا جنود المشاة بهذه الطريقة المروعة فى هجمات نهـــارية مكشوفة • وأجساد عارية لا تحميها قوات مدرعة أمام تحصينات قوية ومدافع ماكينة متحفزة فى أية معدة مدربة •

• كان هم قيادتنا ان تحتل اكبر مساحة من الارض • وكانت

النتيجة ان الكتائب الاربع توزعت على خطوط طـــويلة · وأصبحت قواتنا المبعثرة لاهم لها الا حماية نفسها ومواصلاتها ·

• كان لهذا أثره المدمر على الروح المعنوية · كان كل جندى يشعر بالنقص فى السلاح وأكثر منه يشعر بالنقص فى الخطط ·

• لم نكن نحارب كجيش وانما تحولنا داخـــل فلسطين الى جماعات متفرقة على مراكز واسعة الانتشار وكنت أسائل نفسى لماذا سمح قائدنا لنفسه أن يندفع فى خط طويل مكشوف من كل ناحية أمام العدو ·

• كان اليقين الكامل ينقص كل ماكان يدبر ويرسم من خطط ومن هنا اختفت روح القتال الحقيقية · يتمثل هـــذا النقص فى الاتجاه الى معركة دون معرفة مواقعها ولا قوة العدو فيها ولا ما هى تحصيناته ·

• اننا لم نهزم مطلقا فى سنة ١٩٤٨ لان الجيش المصرى لم يقاتل أبدا سنة ١٩٤٨ ــ وقد كنت فردا من أفراد الجيش من أول يوم الى آخر يوم فى القتال ورأيت بعينى كيف كنا نخرج من المعركة بدون قتال ·

ان مهزلة ١٩٤٨ لم تقع على عاتقنا أبدا · فان الجيش المصرى لم يحارب سنة ١٩٤٨ بل كان ضحية الغدر والخيانة وضحية للهدنة وضحية لحلفاء اسرائيل ·

انى اذكر يوم ١٦ اكتوبر ١٩٤٨ وكانت الهدنة قائمة وهجم اليهود هجوما غادرا على موقع الكتيبة السادسة فى عراق المنشـــية وهزموا شر هزيمة · وبعد استطاعتهم تركيز قواتهم فى مكان آخر · صدر قرار مجلس الامن بايقاف القتال · وعودة اليهود الى مواقعهم · وقد انتظرنا فماذا كانت النتيجة · لقد عزز اليهود مواقعهـــــم وتمكنوا من خطوط الجيش المصرى وان الذى انتصر عـــام ١٩٤٨

تم تكن اسرائيل ، بل كان مجلس الامن وحلفاء اسرائيـــل والذين عملوا على تثبيت اليهود فى هذه البقعة من الارض وعملوا على ازالة القومية العربية .

• حرب فلسطين دخلتها شعوب العرب جميعا بدرجة واحدة من الحماسة ثم خرجت منها هذه الشعوب بنفس المرارة والخيبة . واذن فهى جميعا كل منها فى بلاده قد تعرضت لنفس العـــوامل وحكمتها نفس القوى التى ساقتها الى الهزيمة ونكست رأسها بالذل والعـار .

• هذه هى جيوش اخواننا جيشا جيشا كلها هى أيضا محاصرة بفعل الظروف التى كانت تحيط بنا والتى كانت تحيط بحكوماتها . لقد كانت جميعا تبدو كقطع الشطرنج لاقوة لها ولا ارادة الا بقـدر ما تحركها ايدى اللاعبين .

وكانت شعوبنا جميعا تبدو فى مؤخرة الخطوط ضحية مؤامرة محبوكة اخفت عنها حقيقة ما يجرى . وضللتهـا حتى عن وجودها نفسه .

تحول الموقف تحولا شاملا بعد ثورة ١٩٥٢ والانتفاضـــة العربية .

١ – أرادت اسرائيل ان تأخذ خطة المبادرة وذلك بمحـــاولة فرض الصلح على العرب على اساس تقدير موقفها من ناحية التسليح فكان لخطة عبد الناصر فى كسر قيد السلاح اثرها الكبير فى سحق هذه الخطة نهائيا . لذلك لجأت اسرائيل الى مغامرتها الفاشلـــة فى العدوان على السويس ١٩٥٦ وانتهى بانسحاب اسرائيل من غـــزة وسيناء .

٢ – تضاعف الحصار الاقتصادى حول اسرائيل بعد قيـــام الجمهورية العربية المتحدة وواجهت اسرائيل ضربات عنيفة كلمـــا

حاولت العدوان على المنطقة المجردة من السلاح ٠ وايدت فرنسا اسرائيل على امل ان تكسب حرب الجزائر بمحاربتها فى القاهرة ٠

٣ ـ حاولت اسرائيل احياء «التصريح الثلاثى» الذى وقعته امريكا وبريطانيا وفرنسا عام ١٩٥٠ فأعلن جمال عبد الناصر أن التصريح الثلاثى دفن فى بور سعيد ٠

٤ ـ عجزت اسرائيل وأعوانها عن تصفية قضية اللاجئين ، وتهاوت كل المؤامرات التى قامت بها فى سبيل توطين اللاجئين فى البلاد العربية أو غيرها وفشل مشروع نقل اللاجئين الى مناطق أخرى من العالم ٠

٥ ـ واجهت اسرائيل مشاكل داخلية متعددة : هى المياه والبطالة والخلاف الطبيعى بين اليهود الغربيين والشرقيين والخلاف بين الاحزاب وأفراد الحزب الواحد وازدواج الولاء للدولة الاصلية واسرائيل ٠

٦ ـ فشلت المؤامرة الغربية التى هدفت الى تصفية قضية فلسطين بتحويلها من قضية سياسية الى قضية اللاجئين ٠

٧ ـ قاومت الجمهورية العربية المتحدة مشروع تحويل نهر الاردن فى محاولة لاستخدام فروع أنهر الاردن واليرموك والحاصبانى وكذلك اتجاه اسرائيل الى تجفيف بحيرة الحولة وفتح قنوات واسعة تجرى فيها مياه نهر الاردن وذلك كله لرى الاراضى الواقعة داخل فلسطين المحتلة كمنطقة بيسان وصحراء النقب والتى تبلغ ٣٠ ألف فدان ٠

٨ ـ فشلت اسرائيل فى ان تمر سفنها من قناة السويس واضطرت الجمهورية العربية المتحدة السفن التى تحمل لاسرائيل الى تفريغ شحنتها والعودة ٠

ويصور الرئيس موقفه من مشكلة فلسطين : ـ

مشكلة فلسطين فى نظرنا هى أولا : مسألة حقوق العرب الفلسطينيين ـ وما دامت هذه الحقوق لم ترد اليهم · وما دامت لاتوجد قوة لتنفيذ قرارات الامم المتحدة فيما يتعلق بهذه الحقوق فاننا لن نسمح لسفن اسرائيل باستخدام قناة السويس · واننا نعد كل ممتلكات اسرائيل ممتلكات لعرب فلسطين الذين حرموا من أراضيهم وممتلكاتهم ·

فماذا نعمل فى سبيل استرداد هذه الحقوق : (١) انشاء كيان فلسطينى (٢) انشاء الجيش الفلسطينى(٣) المحافظة على الجنسية الفلسطينية لابناء فلسطين ·

يقول الرئيس : الغرض من انشاء كيان فلسطينى ، هومواجهة نشاط اسرائيل لتصفية المشكلة الفلسطينية واضاعة حقوق شعب فلسطين اما الجيش الفلسطينى فالغرض منه فى الواقع هو الدفاع عن حقوق عرب فلسطين · ان اقامة كيان فلسطينى على أرض فلسطين يكون المنطق لاستردادها ·

اما اسرائيل فما موقف القومية العربية منها :

يقول الرئيس : ان اسرائيل التى تحالفت مع الاستعمار ضد القومية العربية انما تضمر شرا كبيرا للعربفى كل بلدعربى· لقد نجحت اسرائيل بعد ان ايدتها قوى الاستعمار بالمال والسلاح·

ولكن هذا العمل كان نقطة تحول كبرى فىتاريخنا فانالشعب العربى عرف موضع الخطر · ان الهزيمةالتىمنينا بها سنة ١٩٤٨ ترجع الى أن ارادتنا لم تكن بالارادة المتحدة · كان هناك احتلال وسيطرة اجنبية واحتكار للسلاح · ان اسرائيل تشعرنا دائما بالخطر · ومهمتنا بناء بلدنا وصناعتنا وتطوير بلدنا لنقف

أمام الخطر الصهيونى . ان أطماع اسرائيل تتجه الى ابادة العــالم العربى والقضاء على القومية العربية وهو خطر يهدد العرب فى كل مكان فى جميع الامة العربية .

ان معركة القومية العربية ضد اسرائيل معركة حياة أو موت وتصميم الشعب العربى على الاستمرار فى خوض هذه المعــــركة بكل امكانياته حتى يحقق النصر .

فلسطين

مراجع :

١ ــ من مذكرات أمين الحسينى

٢ ــ محمد عزه دروزه : حول الحركة العربية جـ ٥

٣ ــ تصريحات الرئيس فى ١٩٦٠/٤/٢٦

٤ ــ تصريحات الرئيس فى ١٩٦٠/٢/٩

٥ ــ تصريحات الرئيس فى ١٩٦٠/١١/٨

٦ ــ تصريحات الرئيس فى ١٩٦٠/٧/٢٩

(اذا كانت فلسطين هى بؤرة الانتفاضة العربية لثورة ١٩٥٢)

(فان ثـــورة الجزائر هى ثمرة كبرى من ثمارهـــــا)

٢ ـ ثورة الجزائـــــر

تعد الثورة الجزائرية ثمرة من ثمار انتفاضة القومية العربية، وعملا من اعمالها الضخمة . فان هذه الصلابة والاستمرار فى المقاومة ومواجهة القوات الضخمة وعمليات الابادة ليعطى المثل لمدى عمق هذه الانتفاضة وقوتها وحيويتها . ومن قبل قامت ثورات فى الجزائـر وفى فلسطين وفى العراق وسوريا ومصر ولكنها لم تصل الى هـذا الحد فى قوة المقاومة واستمرارها مدى خمس سنوات . فقد كـــان الاستعمار يستطيع ان يحطم اى مقاومة او ثورة بعد ايام قليـــة من قيامها . اما بعد ثورة ١٩٥٢ فان القومية العربية التى تقف وراء كل انتفاضة تحررية فى أى بلد عربى انما تمكن لهـــذه الثورة من الاستمرار وتدبل يوما بعد يوم من الاستعمار الذى يعرف ان هذه القوى المدربة المنظمة التى تحارب بمختلف انواع الاسلحة وتواجه الحملات الضخمة انما تنبعث من شعور جماعى ضخم ينتظم الامـــة العربية من الخليج الى المحيط .

وذلك ان القومية العربية اعلنت على لسان رائدها جمـــال عبد الناصر بأنها وراء كل انتفاضة تحررية وان الجمهورية العربية هى سناد كل دولة محتلة . وقد اعلنت فرنسا بانها انما اشتركت فى حرب السويس لتضرب مصرمن اجلمساندتها للجزائر وتأييدها لها بالوسائل المختلفة فى ثورتها ضد فرنسا .

وان تكن فرنسا وانجلترا قد جددتا الاتفاق الودى الـــذى عقدتاه عام ١٩٠٤ لتحطيم (القومية العربية) وتقسيم مناطـــق

النفوذ — جددتاه بالاشتراك فى حرب السويس — فقد كان ذلـــك تحطيما نهائيا لقواتهما وانحدارهما الى دولتين من دول الدرجةالثانية وليس ادل على حماقة الاستعمار واندفاعه انه يحاول اليوم فى اكثر من معركة ان يعلن حرب الابادة وينفذها • فعل ذلك فى فلسطين عام ١٩٤٨ وهو يكرر التجربة فى الجزائر التى استطاعت انتفاضة القومية العربية ان تقف من وراء ثورتها • وان تحميها من مؤامرات الاستعمار الذى لم ينتصر فى ارضنا العربية الا بالخداع والـــدس والتآمر • ولولا ذلك لتمت عملية ابادة فى الجزائر على نفس الصورة التى تمت فى فلسطين •

ولا شك ان ثورة الجزائر هى فى نظر جميع المراقبين عمـــل خطير وضخم فى سبيل تحطيم الاستعمار والادالة منه • وانمواصلة الكفاح سبع سنوات بهذه الصورة • والانتصارات التى تتحقـــق يوما بعد يوم ، والخسائر التى تلحق بفرنسا ساعة بعد ساعة لتعطى صورة حقة لصلابة عود الانتفاضة العربية وقدرتها على مواصـــلة العمل •

واذا كانت القومية العربية تنتصر فى هذه المعركة فانما يرجع ذلك الى انها تعمل فى سبيل اعادة الحرية الى هذا الجزء من الوطـن العربى الذى قاوم استعمار فرنسا فى معارك الادماج والاستيطـان والابادة اكثر من مائة وثلاثين عاما •

وقد تمزقت كل دعاوى فرنسا فى محاولة ادماج الجزائر فى فرنسا واثبت مؤرخو فرنسا وعلماؤها وفى مقدمتهم « شارل اندريه جوليد » بالدليل القاطع ان هناك وحدة متكاملة من الجنس واللغـة والحدود تجمع تونس والجزائر ومراكش وان سلسلة جبال الاطلس التى تبدأ من المحيط الاطلسى من مراكش والتى تخترق الجزائـــر وتنتهى فى تونس على البحر المتوسط انما تكون العمود الفقـــرى

الذى يربط دول شمال افريقيا الثلاث بعضها ببعض ويجعل منها وحدة فى الجنس واللغة والحدود الجغرافية وان هذا الجزء من افريقيا لا صلة من اى نوع تربطه بفرنسا ـ كما اثبت غير واحد من المؤرخين ان سلسلة جبال الاطلس الممتدة عبر المغرب العربى ، وكثبان رمال الصحراء الدافئة والجنوب ، وامواج البحر المتوسط من الشمال طبعت هذا الجزء من الدنيا بطابع واحد ٠

وقد كانت الجزائر هى القاعدة التى خرج منها الفرنسيون للاغارة على جارتيها تونس ومراكش ٠ ولذلك فما ان اندلعت الثورة فى الجزائر ١٩٥٤ حتى صفت فرنسا موقفها فى تونس ومراكش لتتفرغ لمحاربة الجزائر ٠ وقد حاولت فرنسا بعد فشل مشروعاتها فى ادماج الجزائر او تجنيسها او العمل على قيام اتحاد يضم الدول العربية الثلاث هادفة بذلك الى تكوين جبهة منحازة اليها تواجه القومية العربية وتسير فى ركاب الغرب ٠

ولما سقطت فكرة ادماج الجزائر فى فرنسا بعد ان اعلنت جميع الهيئات والاحزاب والتشكيلات فى الجزائر انها جزء من العالم العربى وقيام الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية فان فكرة الوحدة المغربية تحت زعامة فرنسا او عملائها ستلاقى نفس المصير ٠

ولا شك ان استمرار فرنسا فى حرب الابادة فى الجزائر قد دمغ تاريخ فرنسا بالعدوان ذلك لانها وقعت فى ١١ ديسمبر ١٩٤٦ قرار الامم المتحدة الذى ينص على ان ابادة الجنس هو انكار لحق الوجود لمجموعات بشرية باجمعها كالقتل ٠ وهو انكار لحق الشخص فى الحياة ٠ وهذا الانكار لحق الوجود يتنافى مع الضمير الانسانى ويصيب الانسانية باضرار جسيمة سواء كانت من ناحية الثقافة ام من النواحى التى تساهم فيها هذه الجماعات البشرية وهذا مالا يتفق مع القانون الاخلاقى وروح واغراض الامم المتحدة ٠

وليست معركة الجزائر هى معركة لتحرير هذا القطر وحده ولكنها فى الحقيقة معركة القومية العربية كلها . وهى كما صورها الفريد ليلينتال « ان حقد العرب المكبوت لاسرائيل والاستعمار كله وجد متنفسا فى شمال افريقيا » .

واذا كانت فرنسا قد قاومت حرية الجزائر منذ قرن وربع قرن بكافة وسائل القمع والحرب والقتل والابادة . فانما كانت تهدف اساسا الى القضاء على القومية العربية فى هذا الجزء من الوطن العربى . وكانت مقاومة الجزائر الباهرة ايمانا بهذه القومية وتأكيدا لها .

احتلت فرنسا الجزائر عام ١٨٣٠ وفى خلال مائة وثلاثين عاما مضت تقاوم الجزائر مقاومة فعالة تواجه مجازر فرنسا واساليبها البربرية بمزيد من الدماء والشهداء والتضحيات دون ان تستسلم وفي اول نوفمبر ١٩٥٤ اعلنت الجزائر ثورتهاعلى الاستعمار الفرنسى ومنذ ذلك اليوم ـ ماتزال الجزائر تقاتل بعنف وايمان وقد زادها قوة ان اعلن فى القاهرة فى سبتمبر سنة ١٩٥٨ قيام الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية ٠

× عملت فرنسا منذ اليوم الاول للاحتلال على مصادرة الاراضى التى تمتلكها الجمعيات وكذا الاراضى التى يملكها الافراد ، تقــول كوليت وجونسون : لقد طردت قبائل باكملها من اراضيها دون دفع تعويض لها ٠ وكانت الفترة بين ١٨٣٠ ـ ١٨٤١ فترة احتلال وتوسيع دون قيود ٠

× أصدرت السلطات الفرنســـية أمرا فى ١ نوفمبر ١٨٤٠ بالاستيلاء على الممتلكات التى تملكها القبائل التى حملت السلاح وحاربت جيش الاحتلال الفرنسى ٠ وكذا مصادرة ممتلكات الذين اضطروا الى الفرار من وجه الاعداء ـ كما اصدرت فى ٣١ يوليـــو ١٨٤٦ قرارا ـ يقضى بان غنائم الدولة الفرنسية تشتمل على كل الاراضى والممتلكات التى يعجز اصحابها عن اثبات حقهم بعقـــود تثبت ملكيتهم ٠

× أصبح صغار الملاك الجزائريين عمالا يشتغلون فى المنــاطق التى كانت من قبل ممتلكاتهم ٠ واصبح الفرنسيون المتعطلون ـ الذين كانوا يمثلون خطرا يهدد كيان المجتمع فى فرنسا واوربا ـ من كبار الملاك ٠ واصحاب رؤوس الاموال الذين لا هم لهم الا ان

يجمعوا ثورات كبيرة يسخرون الجزائريين العرب فى القيام باعمالهم الشاقة ـ ويبلغ عدد المستوطنين فى الجزائر مليون مواطن ٠

× أصبحت الجزائر التى كانت مستودعا لتزويداوربا بالحبوب والارض ذات الخيرات الوفيرة التى أمدت فرنسا بالقمح لانقاذهـا من حالة البؤس والمجاعة حتى عام ١٨٦٧ اصبحت امة محطمة تعانى البؤس والفاقة حتى ان ٥٠ الف شخص من الجزائريين قد هلكوا جوعا ٠

× حاولت فرنسا طوال قرن وربع قرن وقف تعليم اللغـــة العربية ومع ذلك فانه لا يوجد الآن اكثر من ١٠٪ من السكـــــان العرب فى الجزائر يتكلمون اللغة الفرنسية بينما يتحدث الاغلبية الساحقة دون استثناء لغتهم الاصلية ٠

× عام ١٩٤٥ لاينسى فى تاريخ كفـاح الجزائر حيث قتـــل الفرنسيون ٥٠ الف عربى ٠ فقد قامت مظاهرات فى ٨ مايو ١٩٤٥ حمل المتظاهرون علما اخضر كتب عليه « تحيا الجزائر المستقلة » ولقد هاجم رجال الشرطة الفرنسيون المظاهرة وقتلوا عددا مـــــن المتظاهرين العزل وكان ذلك نذيرا باندلاع اول ثورة مسلحـــة فى الجزائر وهو مالم تشهده البلاد منذ زمن طويل ٠ فقد توالى نـزول رجال البربر الذين يسكنون الجبال المجاورة فى اقليم قسطنطينة الى مدينة سطيف وافلت الزمام من يد الشرطة فتدخل سلاح الطيران الفرنسى وكان من السهل عليه ان يقتل آلاف المواطنين الذين لا يملكون مدافع مضادة للطائرات ٠ وقد قدر ضحايا هـــذا الاعتداء بخمسين الفا ٠

× قدمت الجزائر لفرنسا فى الحرب العالمية الاولى ٣٤ ألف من الجزائريين ونصف مليون طن من الحبوب ٠ وثلاثمائة الف رأس من البقر والغنم ٠ ومائتى الف طن من الصوف وسبعين وثلاثمائة

مليون من الفرنكات وقال الحاكم الفرنسى (لوتى » : كونوا لنــا عونا فان الاخاء والمساواة يوجدان بيننا • وسيبدى جيشكم هــذا بسالة اشتهر بها فرسانكم وغدا تجىء قواتنا الافريقية هذه وقد مزق الرصاص اعلامها ولكنها ستكون رافعة الرأس من النـــصر ولسوف يتاح لكم حق المطالبة بنصيبكم من الكفاح •

× وانتهت الحرب فماذا كانت نتائج الوعودوالتضحيات ، أراد الفرنسيون تحويل الجزائر الى جزء من فرنسا • اقصوا الجزائريين الى الصحراء واعطوا ارضهم للمستوطنين ـ الفرنسيين ـ وقامـوا باعمال بربرية لقاء ما قدم الجزائريون من مساعدات لفرنسا •

فى اول نوفمبر ١٩٤٥ بدأت الثورة الجزائرية حيث قام نحو ٣٠٠ مواطن من ابناء الجزائر من مخابئهم الجبلية بالمنطقة الغربيـــة بشن سلسلة من الهجمات ـ الارهابية على المواقع الفرنسية • ومنذ ذلك اليوم لم يتمكن الفرنسيون من اخماد الثورة بل اتسع نطاقها حتى اضطروا فى النهاية الى الاستنجاد بالجيش الفرنسى فحشـــد اكثر من ٤٠٠ الف جندى من المشاة والطيارين ومن جنود الفــرق الاجنبية تعاونهم الدبابات والمدافع والطائرات وهى الاسلحة التى تحصل عليها فرنسا بمقتضى عضويتها فى حلف الاطلنطى •

كان لتجنيد ٤٠٠ ألف شاب فرنسى والقائهم فى ميدانالحرب فى الجزائر اثره الكبير فى شل حركة الانتاج فى المصانع الفرنسية• وقد سيطرت على الجيش الفرنسى روح الهزيمة فهو يواصل الانكسار منذ حوالى ٢٠ عاما • انكسر فى وطنه فى اليوم الثامن من يونيـــو ١٩٤٠ وفى (ديان بيان فو) وفى قناة السويس وفى تونسوالمغرب وفزان •

ويقول جان بلانشيه فى كتابه « انهيار الجيش » ان الجنــود يحاربون بروح منهاره وينتشر بينهم الشعور المعادى للحــرب •

واصبحت حوادث الهرب والقتل وتاليف عصابات السرقة وانتشار الفساد امرا مالوفا بين الجنود الفرنسيين ٠

× أعلن متحدث رسمى فرنسى فى الايام الاولى من نشوب الثورة الجزائرية ان الهجمات التى شنت اخيرا تدل دلالة واضحة على ان هناك عمليات حربية ذات طابع تكتيكى عنيف ومعنى هذا ان رؤساء الجيش الجزائرى لهم خبرة واسعة بفنون القتـال اكتسبوها اثناء وجودهم فى احدى البلاد الاجنبية واثناء توليتهم بعض المناصب فى الجيش الفرنسى ٠

وكتب كوليت وجونسون يقولان : كبد جيش التحرير الوطنى فى المعارك الحربية التى استمرت زهاء تسعة اشهر الاولى للمعركة خسائر فادحة فى قوات فرنسا فكانت خسائره اكثـر من ٢٥٠٠ ضابط مابين جريح ومفقود واسير وتحطمت ٣٥٠ عربة بعضها تحطم تحطيما كليا ٠ واسقطت ٢٠ طائرة ٠ واستولى الجزائريون على عدة معدات حربية من العدو ٠ اما خسائرنا فقد استشهد ٣٦٠ مجاهدا فى مناطق مختلفة من قسنطينية واوران وجرح مائة مجاهد ٠

كان شعب الجزائر يقاتل فى اول الامر ببعض الاسلحة الخفيفة اما اليوم فقد اصبح مدربا على احدث فنون القتال مزودا باحـدث الاسلحة والعتاد ٠ وكانت القيادة الفرنسية تتحدث عن حـرب العصابات القصيرة ٠ اما اليوم فهى تعترف بأنها تحارب جيشا قويا يكلفها قوات الشعب الفرنسى ودماؤه ٠ وقد اعترفت صحف فرنسا وصحف حلفائها بان القوات الفرنسية تشتبك فى حرب طاحـنة وتمنى بخسائر ضخمة ٠

سيطر المجاهدون سيطرة تامة على المناطق الجبلية فى الجنوب الغربى والجنوب الشرقى ٠ وهم يحرصون على استدراج الجنـود

الفرنسيين الى الغابات والمناطق الجبلية فينزلون بهم خسائر فادحة بعد ان يقعوا فى الكمين المنصوب لهم ٠

× يرجع سر انتصارات جيش التحرير الجزائرى فى معاركه مع فرنسا الى خبراته الطويلة فقد عمل المواطن الجزائرى جنديا عاملا فى جيش فرنسا الحرة ٠ وصد الالمان المعتدين فى الموقعة الحاسمة عام ١٩١٤ ودفع الثمن غاليا فى الحرب العالمية الاخيرة فى سبيل ما اسموه بالحرية والديموقراطية باعتراف المسئولين العسكريين ٠ وقد اعترف العالم بالدور الخطير الذى قام به الجزائريون فى المعارك الكبرى فى الحرب العالمية الثانية

استطاع جيش التحرير الوطنى والذى بلغ الآن اكثر من ١٣٠ الف مجاهد ان يلحق الهزائم بجيش الفرنسيين الذى بلغ ٦٠٠ الف جندى ٠ والمزود باحدث الاسلحة الخفيفة والثقيلة ٠

قام الفرنسيون بشن هجمات بربرية بقاذفات اللهب وقنابل الغازات السامة التى وجهت الى المخابىء فى الجبال ٠ وقد تحولت المنازل الى حطام والقرى الى اكوام من الحجارة وشرد الاهالى وحرقت المزارع وقد دمر الفرنسيون ٣٥٠ قرية تدميرا كاملا ٠ ووضع مليونين من الجزائريين فى المعتقلات ، وبتوالى أعمال العنف تسرب عدد اكثر من العرب الى التلال وانضموا الى العصابات الثائرة فى المدن ٠

× غدر الفرنسيون بالزعماء الخمسة الذين كانوا فى طريقهم الى تونس حيث يجتمع سلطان مراكش وباى تونس بهم لاصدار بيان مشترك فى تحقيق استقلال الجزائر ــ فلما علم الفرنسيون ان الوفد الجزائرى سيسافر الى تونس على طائرة شركة اطلس المغربية اشتروا ذمة قائدها الفرنسى على ان يهبط بهم فى الجزائر ٠

هرب كثير من جنود المستعمرات الفرنسية ومن الفرنسيين انفسهم من جيش الاستعمار فى الجزائر وانضموا الى جيش التحرير الجزائرى . واصبحوا يعملون مع المجاهدين جنبا الى جنب . ويهاجموا المناطق الحساسة وينزلون بالفرنسيين اشد الضربات . كما ان ضباط الجيش الفرنسى فى الجزائر الذين انضموا للمجاهدين قد نقلوا اليهم كثير من الاسرار الحربية الخاصة بالجيش الفرنسى ومواقعه فازدادت ضربات المجاهدين شدة واحكاما

كان من اثر الثورة الجزائرية ان انهارت الوزارات المتتالية وعجز البرلمان وحرمت فرنسا من الاستقرار الحكومى ومنيت بالتضخم والافلاس وتحطيم الاقتصاد الفرنسى وكشف العمل المستمر خلال سبع سنوات من الشجاعة والبسالة عن قوة القيادة ودقة التنظيم واستجابة الجزائريين جميعا لروح وطبيعة الثورة فقد صنع الجزائريون شبكة بالغة الدقة والقوة . اقلقت فرنسا وخلقت الرعب فى قلوب جنودها وقد ضمت هذه الشبكة جميع فئات الشعب من الطفل الى الشاب الى الشيخ مضافا الى ذلك العدد الهائل من النساء العربيات اللائى غيرت الحرب التحريرية نفسياتهن فاصبحن لايهبن الموت فهن يعملن فى كل مكان بالمدن والقرى والجبال فى سبيل الحرية .

× قامت نساء الجزائر بعمل ضخم فى الثورة فقد وزعن المطبوعات الوطنية سرا وعلنا واشتركن فى تنظيم حملات التبرعات لمساعدة القوات الوطنية ومرضن الجرحى وهربن السلاح وعرفن رائحة البارود . بل ان هناك قرية كاملة حاربت فرنسا اياما . كان الرصاص ينطلق على الفرنسيين دون توقف ثم عرف بعد ان اسقطت القرية الباسلة انها كانت كلها من النساء اما الرجال فكانوا قد هجروا القرية الى جبال اوراس لينضموا الى جيش التحرير - وبطولة جميلة بوحريد وزميلاتها معروفة ذائعة .

اثر ثورة الجزائر فى فرنسا

اذا كانت هـــذه صورة الثـــورة الجزائرية من وجهة النظر العربية فما هى صورتها من وجهة النظر الفرنسية :

« من مذكرات الكاتب الفرنسى « فرانسيس جانســون » عن ثورة الجزائر »

لقـــد هاجم الثوار القوافل العسكرية واوقعوا الدوريات فى كمائن واضرموا النيران بمخازن الحلفا . فضـــلا عن ازدياد موجة الاغتيالات حدة ، فاجتاحت مدينة الجزائر التى كان يسودها الهدوء التام . كما شبت الحرائق فى بعض المصانع وازدادت الامور تفاقما ولا سيما فى منطقة الاوراس . ثم امتدت موجة الاغتيالات الى منطقة قسنطينة والارهاب والتخريب ينتشران فى مدينة الجزائر ونواحيها والدوريات تصطدم فى جهات مختلفـــة يديرها فدائيون منظمون ومدربون .

وأثبت الثوار دراية تامة بالتكتيك الحربى وتمت لهم السيطرة على عامل المبادرة . وقال مراسل صحيفة لى موند « ان شعبة جيش التحرير فى نمو مضطرد . والاقبال على الانضواء تحت لوائه الى ازدياد مستمر وان الاهالى يراعون التكتم الشديد .

وقد شن الجيش الفرنسى هجـوما وحشيا على القرى المتناثرة فقام جنـود الكوماندوز وجنود المظلات يؤازرهم الطيران ويساندهم الاسطول بعملية واسعة النطاق فى منطقة فيليبفيل هدفها السيطرة على منطقة الاضطرابات وتدمير القرى التى يأوى اليها الثوار .

ولما كانت التفرقة بين الثائر وغيره أمر عسير ، وجميع القرى

في الواقع تحوم حولها الشبهات . ولذا فقد دمرت جميعها عن آخرها . وفي هذه الاثناء كانت الحملات التفتيشية وموجات الاعتقال قائمة على قدم وساق في قسنطينة وبونة ومدينة الجزائر حيث شملت ما يزيد على ستة آلاف شخص حكمت عليهم المحاكم بالاعدام والسجن المؤبد . والاشغال الشاقة وأعلنت السلطات الفرنسية ان هذه التدبيرات اصابت الثورة بضربة قاصمة . ولكن لم تمض الا أيام قليلة حتى انقلب التحمس الذى كان يتحدثون عنه الى تدهور مفزع ـ فقد احرقت المحصولات وقوطعت السلع الفرنسية وقامت موجة تخريب بالغة العنف . ومضت الثورة توقع الدوريات فى كمائن كل يوم واتلاف مزارع الكروم واشتباك مسلح عنيف عند الحدود الجزائرية التونسية واضراب التجار فى مدينة الجزائر .

وقام الثوار بشن هجمات عنيفة على المراكز الفرنسية فى عدة انحاء من الجزائر ـ وقد تميزت عملياتهم بالتناسق التام واثبت قادتهم قدرة فائقة فى وضع الخطط الحربية المحكمة كما ان الثوار ابدوا فى ساحة القتال صبرا وعنادا غير اعتياديين مما يدعو الى الظن انهم يؤمنون بعقيدة صادقة تدعم من عزيمتهم وتبث فيهم روح الاقدام والتضحية .

ومن العمليات الجديرة بالذكر ، هجمة خاطفة قام بها الثوار على القاعدة الجوية فى فيليبفيل ـ وكان هذا الهجوم مفاجأة تامة للفرنسيين فابلى المهاجمون بلاءا حسنا قبل انسحابهم الى الجبال التى يتحصنون بها ـ كما ألقى الفدائيون عدة قنابل على المدن وصرعوا الكثير من الفرنسيين والجزائريين الخونة . وما ان افاقت السلطات من هول المفاجأة حتى بدأت فى أعمال القمع . فقام الجيش بمعاونة الطيران بحملات ابادة لتحطيم حركة المقاومة والقضاء عليها قضاءا مبرما .

« من كلمات جون بول سارتر الفيلسوف الفرنسى »

ان الفرنسيين يمارسون فى الجزائر أبشع ضروب القتل والتعذيب والاجرام وينفنونها بطريقة منظمة ومنسقة يعلم بها الجميع ويقرونها ابتداء من لاكوست الى أصغر فلاح من اقاصى الافيرون .

لقد أصبحت فرنسا جلادا فى الجزائر فما اسعد الذين ماتوا دون ان يضطروا ان يوجهوا لانفسهم هذا السؤال : هل اتكلم اذا انتزعوا اظافرى ؟؟

ان فرنسا التى ذاقت ذل الاستعمار فى الحرب العالمية الثانية بعد ان تهاوت سريعا تحت اقدام الالمان تستبد الآن على شعب صغير مكافح يريد أن يظفر بحريته واستقلاله .

ان الاوربيين المقيمين فى المدن لا يهنأون بالعيش لحظة لان المجاهدين يهجمون عليهم دائما فيثأرون لانفسهم ويحرقون دورهم ومسارحهم ومطاعمهم ويضربونهم بالقنابل اليدوية والاسلحة الاتوماتيكية . اما الجنود الفرنسيون فانهم فى حالة شديدة من الذعر والهلع .

ان الجزائريين مهرة رغم الاستعدادات الضخمة . فهم يعرفون كيف يحافظون على الاتصال بين مراكزهم فى كل وقت ويدخلون المدن ويقتحمون المعسكرات فى مهارة عجيبة وينجزون العمليات بمهارة فائقة .

ان جيش فرنسا الذى يحتل الآن مناطق كثيرة فى الجزائر جيش قوى مزود بأحسن الرجال وأحدث الاسلحة وتنفق عليه اموال

طائلة ، أما المجاهدون الاحرار فيكفيهم الاعتماد على ايمانهم القــوى وتأييد الشعب الجزائرى فى كفاحهم واستبسالهم • والامر المحزن اننا نحن الذين اشعلنا نيران هذه الحرب الضروس • ونحن الذين جعلناها تتطور حتى وصلت الى هذه الحالة المخيفة • وعدم التكافؤ هذا بين قواتنا الهائلة وقوات جيش التحرير الجزائرى دعا الوطنيين الى ابتكار طريقة جديدة من طرق الحرب • لم نعهدها من قبل•ولم يتــدرب عليها جنودنا ، فراح الجزائريون يستخدمون أسلوب الكر والفر فهم يشنون هجماتهم على قواتنا فجأة ثـم يختفون بسرعة ، وكأنما قد ابتلعتهم الارض • هذا الاسلوب بالاضافة الى ما يتمتع به اعداؤنا من خفة الحركة هو مبعث القلق والفزع الذى تعانيه قواتنا فى الجزائر • وربما انفجرت قنبلة فى احـــد الشوارع ، او ان رصاصة طائشة اردت أحد الفرنسيين قتيلا •• ترى ماذا يحدث ؟؟

يقـــول المسلحون انهم لا يعرفون من أمر هـــذه القنبلة أو الرصاصة شيئا ، ثم تقـوم قوات الامن الفرنسية بحملات تفتيشية واعتقالات بالجملة ، وهكذا يتبين لنا ان عمليات التعذيب والتنكيل ليست فى الواقع الا قـوة غاشمة مبعثها حالة الفزع والخوف التى تأصلت فى نفوس جنودنا فى الجزائر •

لقد سلبنا العرب كل شيء • وحاولنا أن نحرمهم من استخدام لغتهم الاصلية ! ولم نكتف بمحو مدنيتهم وحضارتهم • بل انكرنا عليهم مدنيتنا وحضارتنا ونحن أيضا • لقد طالبوا فى المـــاضى بالاندماج فى مجتمعنا • ولكننا ابينا واستعلينا وبعد كل هذا وضعنا لحكمهم نظاما قاسيا • كانت نتيجته ان أصبحوا فقراء معـدمين • وتفشى بينهم الجهل وباتوا فى حالة يرثى لها من التعاسة والشقاء، ولما بلغ بهم اليأس مداه ثاروا ثورتهم العارمة بعـــد أن تعين عليهم اختيار احد طريقين : اما ان يموتوا جوعا واما ان يثوروا علينـــا ويقفوا فى وجهنا ويثبتوا للعالم انهم رجال ، رجال احرار •

كان لا بد للاستعمار الفرنسى ومن وراءه الاستعمار الغربى كله أن يتكتل لمقاومة ثــورة الجزائر وتصفيتها بمختلف الوسائل والمحاولات ٠

وقد اتخذت هذه المحاولات وجهات وأساليب مختلفة ٠

محاولة تحطيم القومية العربية والثورة المصرية العربية وذلك بمحاولة غزو السويس وتأييد اسرائيل ومدها بالمساعدات والاسلحة ووضع الخطط معها فى سـبيل الانقضاض على الجمهورية العربية المتــحدة ٠

قيام محاولات لحل مشكلة الجزائر حلا صوريا عن تقــديم مشاريع متعددة ودعوة المحاربين الى القاء السلاح قبل منحها حــق تقرير المصير ٠ وقد باءت كل هذه المؤامرات بالفشل ٠

وقد اعطت الجزائر مثلا فذا فى المقاومة قل ان يكون له نظير٠ قدمت حتى الآن مليون شهيد وأكثر من مليونى معتقل ٠ وعشرات الآلاف من المهاجرين فى الدول العربية وأوربا ولم تتوقف المقاومة الجزائرية على الجزائر وحـدها بل امتدت الى قلب فرنسا فأثارت الرعب فى كل مكان ٠

ولعدالة حق الجزائريين وقف كتاب فرنسا ضد حكومتهم ، وكشفوا عن جرائم التعذيب عندما ابادت فرنسا قـــرى بأكملها وحرقت المجاهدين وهم احياء واستعملت الغازات السامة ٠

وفى مقدمة هؤلاء (جان لومير) الاستاذ الفرنسى الـذى سجن لامتناعه عن تعذيب الجزائريين وكان لرسائله التى نشرت فى بعض الصحف الفرنسية ضجة واثر بالغين ٠

وقد سجل جون بول سارتر فى كتاب « عارنا فى الجزائر » مدى ما وصلت اليه الخطة الفرنسية فى سلب أراضى الجزائريين وتمليكها للفرنسيين وقد بلغت هذه الاراضى ما يقرب من ثـــلاثة ملايين هكتار من الاراضى الزراعية وهـــو ما يعادل ثلث الاراضى الصالحة للزراعة ٠

ويرسم هنرى سيمون فى كتابه « ضد التعذيب » صـــورة مروعة لقسوة التعذيب الفرنسى ٠

يقول ان انين الخوف والالم الذى كان ينبعث من هذا الصبى العربى اذا كان ضابطان فرنسيان يعـــذبانه فى الليل ليرغماه على الوشاية ببنى جنسه ٠ ان هذا الانين منذ سمعته احمله فى قلبى كأنه حرق ٠ لقد انطلقت هذه الصرخة فى ظـلام العجز واليأس ٠ وما كانت لتضيع لو عرف أحد كيف ينشرها فتجد صدى بعيد المدى من الاستنكار ٠ ففى هذا العصر المحمـــل بالفضائح والحماقـات والاكاذيب غالبا ما ينفق للكاتب المران بفقد الامل ٠٠ » وقد اشترك فى هذه المعركة فرنسوا مورياك وجان بول سارتر وفرانسو ساجان وسيمون دى بوفوار وقالوا انهم يدافعون عن شعبهم الـــذى تلتهم الحرب أمواله وتروى الارض بدماء أبنائه ويخيم الظلام على مستقبله وقد طالب هؤلاء الكتاب جيوش فرنسا بالهرب وحرضوها على رفض الحرب فى الجزائر ٠ وقد حدد الجزائريون موقفهم من المعركة على النحو الذى صوره جنـــدى جزائرى فى جيش التحرير لصحفى أمريكى حـــين قال له : نحن عشرة ملايين من الجزائريين واذا أراد الفرنسيون أن يرغمونا على الانحنـــاء مرة ثانية فيجب أن يقتلونا جميعا » ٠

والواقع انه عندما يضع التاريخ قائمة أعمال التوحش والابادة التى قام بها الفرنسيون فى هذه السنوات الست فان العالم المتمدن والشعب الفرنسى سيذهل لبشاعة هذه الاعمال ٠

ـ قدم اتحاد جزائرى فرنسى باسم الوحدة المغربية ٠ وهو يعنى انهاء الثورة الجزائرية بتجميدها وانسحاب المعاهدات المفروضة على تونس وعلى الجزائر أيضا ٠

مشروع الانضمام الى رابطة الشعوب الفرنسية مثل السنغال والسودان الفرنسى تحصل بمقتضاه على نوع من الحكم الذاتى ٠

مشروع الجزائر جزائرية : ويرمى الى تمـــزيق الجزائر الى ثلاثة أجزاء ٠

١ ـ منطقة الصحراء ببترولها المتدفق الذى يكفى لامداد فرنســا بمقدار ١٧ مليون طن سنويا لمدة ٢٥ سنة ويتراوح بـــين ٤٠ و ٥٠ مليون طن سنويا خلال العامين القادمين ٠

٢ ـ اقطاع الشواطىء والسهول الخصبة التى توجـــد بها اقلية أوربية كبيرة العدد نسبيا لتقوم فيها حكومة محلية يســودها العنصر الاوربى ٠

٣ ـ المنطقة الباقية : تقوم بهـا مجموعة مناطق ترتبط بالحكومة الفرنسية ٠

فاذا اختار الجزائريون الاستقلال تفصــل الحكومة الفرنسية المناطق الغنية وتفصل المنـاطق الصحراوية وتبقى الجزائر العربية فى هذا الجزء المسموح المحجوز بين الشواطىء والصحراء ٠ والتابع لفرنسا أيضا ٠

ويهدف مشروع ديجول الى تمكين الاقلية الاوربية من المحافظة على سيطرتها الاقتصادية والسياسية داخل مناطق تخضع للحكومة الفرنسية ٠

وقد استطاعت الثورة الجزائرية أن تكسب تقـــدير ومعونة الشعوب المتحررة ٠ وأن تقضى على كل محاولات عمـلاء الاستعمار

فى خارج الجزائر التى تدعو الى انهاء الحرب الجزائرية وقبـــول ما تعرضه فرنسا ·

واذا كانت فرنسا ما زالت تصر على تقديم المشروعات المتتالية فان الجزائر قـــد هزت الجمهورية الفرنسية وأصابت اقتصادها بالاضطراب · ولم تكن الجمهورية الخامسة التى اقامها ديجـــول (فى ١٣ مايو ١٩٥٨) بأسعد حظا فقد كان الحاكم الفرنسى مغرقا فى الخيال عندما قال « اننى لا أتصور الجزائر منفصلة عن فرنسا· ولا أتصور فرنسا منفصلة عن الجزائر · ان سياستى تعنى ارتباط الجزائر بفرنسا عســـكريا واقتصاديا وثقافيا وتعنى التعاون فى شتى الميادين الاخرى » ·

وقد فشلت كل محاولات فرنسا فى تفتيت أو عزل ثـــورة الجزائر · أو احداث انقسام فى جبهـــة التحرير وخلق طائفة من المعتدلين يقفون ضد المتطرفين ·

ويؤكد ميثاق ثورة الجزائر الصـــادر فى أول نوفمبر ١٩٥٤ ان الجزائر جزء من الامة العربية وانها على طريق القومية العربية : يقول : ان الثورة التى انبعثت من أعماق الشعب وعبرت عن آمال جماهيره المناضلة لم تحدد نظريتها على اساس تجريدى بحت · بل ربطت ربطا وثيقا بين الكفاح العملى والوعى النظرى الـــذى يغذى العمل الثورى ·

وقد أعلنت الثورة منذ انطلاقها انهـــا ثورة قومية صميمة وضعت نفسها فى الاطار التاريخى والثقافى والقومى للجزائر· وهو الاطار العربى الاسلامى · ونادت بتحقيق وحـــدة المغرب العربى داخل الاطار العام · كما أعلنت بعد ذلك انهـــا جزء لا يتجزأ من الامة العربية الخالدة · وقد جعلت الثورة من أهـــدافها الرئيسية خلق مجتمع جديد ديموقراطى تقدمى · تزدهر فيه شخصية الفرد

والجماعة ازدهارا تاما . ان تقرير المصير لا يمكن أن يكون سوى استعادة شعبنا لممارسة السيادة الوطنية الشاملة على أساس وحدة الوطن الجزائرى » .

وقد حاولت فرنسا أن تجعل من ثورة الجزائر وسيلة الى كسب العون الاوربى لها فى المعركة الفاشلة فرددت ان تحرير الجزائر سيؤثر على القواعد البريطانية فى برقة والامريكية فى طرابلس وقواعد الطيران الفرنسى والامريكى فى مراكش . وانهيار لحلف الاطلنطى . وبالجملة فان مستقبل الغرب وأوربا كله متوقف على ثورة الجزائر .

وقد رسم رئيس حكومة الجزائر صورة الجمهورية الجزائرية بعد الجلاء :

١ ـ بالنسبة للقومية العربية والوحدة : « ان شعب الجزائر جزء من الامة العربية وان محاولة التفرقة بين أجزاء الشعب العربى عملية سياسية استعمارية حمقاء » .

٢ ـ بالنسبة للمجتمع والاشتراكية العربية : « ان ثورتنا قد قامت بها جماهير الفلاحين والعاملين واعتقد أن استقلال الجزائر يجب أن يستخدم قبل كل شىء لارضاء الامانى العميقة التى تشعر بها هذه الجماهير من الفلاحين والكادحين»

واليوم وثورة الجزائر تتبلور فى مرحلتها الاخيرة فى القضاء على العدوان الفرنسى لا نستطيع أن ننسى صورة المقاومة : التى هى مرآة القومية العربية فى كفاحها من أجل الحرية والوحدة ويكفى ان كشفت الجزائر دائما عن خداع فرنسا الذى حاولت به أن تصور الجزائر للعالم بانها جزء من فرنسا وانها تقبل الاندماج.

وقد كانت « مذبحة ١٤ ديسمبر ١٩٦٠ » واحدة من الصور

التى تكشف جوهر الشخصية العربية فى الجزائر ونحن هنا ننقل من البرقيات .

اقتحم الجنود الفرنسيون عند منتصف الليـل الحى العربى فى مدينة الجزائر بعد أن ظلوا يحاصرونه يوما ونصف يوم . ولم يعبأ الوطنيون بذلك بل احتشد خمسة آلاف منهـم فى مظاهرة حماسية وهم يهدرون هتافا مدويا بحياة الجزائر الاسلامية ورفعوا علم الجزائر الاخضر فى وجه « ديجول » فجن جنون القـوات الفرنسية فاطلقت النار على المتظاهرين . وهاجـم الجنود البيوت وساقوهـم عرايا الى الشارع والجو شديد البرودة والامطار تنهمر فى غزارة وانهالوا على الرجال بالضرب واطلقوا النار ثم كتبوا على الظهور العارية تحيا فرنسا وكتبوا ذلك على البيوت .

وشاهدت النساء ذلك فتحركن من بيوتهن غير عابئات بظلمة الليـل أو تساقط المـطر وانطلقن فى الطرقات يهتفن للجزائر الاسـلامية ويزلن العبارات المكتوبة على بيوتهن . ولحق الاطفال بامهاتهن وهم يرددون الهتافات الوطنية ويتبارون فى ازالة العبارات الفرنسية وزاد جنون الفرنسيين ففتحوا نيران مدافعهم وبنادقهم على الحى وحدثت مذبحة وتساقطت الضحايا . سقط الرجال والنساء والاطفـال قتـلى متجاورين . وابيدت اسر باكملها ولم يكتف الفرنسيون بهـذا كله بل دخلوا البيوت وهاجموها وفتشوها بيتا بيتا بحثا عن قادة المظاهرات . وقـد قتل المستوطنون الفرنسيون عـددا كبيرا من الجزائريين واحرقوا البيوت واستعمل الفرنسيون قنابل النابالم الحارقة بواسطة قاذفات قنابل » .

فلسطين والجزائر

وبعد فان ثورة الجزائر هي معركة القومية العربية الثانية : الاولى هي فلسطين المحتلة التي غذيت بقومية اخرى طردت اهلهـا منها في حرب ابادة قتلت وهدمت وحرقت ثم تركت مليون مواطن عربي على حدود الوطن المغتصب ٠ وقـــد ضاعت فلسطين بخيانة العملاء مع الاستعمار البريطاني والصهيونية ٠

اما الجزائر فان معركتها لم تنته ، لقد قامت خلال قرن وربع قرن معـــارك التجنيس والادماج والاستيطان والابادة ٠ وما تزال فرنسا تجرى هذه المحاولات مرة بعد مرة بعد أن رفضتها الجزائر وقاومتها ٠ وقال عبـد الحميد بن باديس قائد حركة حماية اللغة العربية في الجزائر « ان هذه الامة الجزائرية ليست هي فرنســا ولن تريد أن تصير فرنسا ولا تستطيع أن تكون فرنسا ٠ بل هي بعيدة عن فرنسا كل البعد في لغتها وفي أخلاقها وعنصرها ودينها ولا تريد ان تندمج ولها وطن معين هو الوطن الجزائري ٠

وقـــد كشفت معركة الجزائر عن حقيقة القومية العربية في أروع صورها وقدرتها على الصمود والمقاومة على نحو أدهش العالم واثار اعجابه وفزع الاستعمار ٠ وقد صور ذلك كاتب غربي كان شاهد عيان فقال « ان الرصاص الذي دوى لاول مرة في ٢ نوفمبر ١٩٥٤ لن يسكت أبدا ٠ سيظل ينطلق وينهمر على أعداء الجزائر، على الاستعماريين الذين يعاندون في التسليم بالحـــق العادل في الحياة المرة ٠ سيظل ينطلق في كل مكان ٠ لن يتوقف أبدا ٠ الا اذا أقرت الاستعمارية الفرنسية حق الشعب الجزائري في الحرية والاستقلال وتقرير المصير ٠

ان الجزائريين جميعا مدنيين ومقاتلين ـ رجالا ونساء اصبحوا الآن يعرفون ان الجزائر هى بلادهم وحـــدهم ٠ وان الارض التى يختطف خيراتها المستوطنون الاجانب ستصبح لهم وحدهم »

أما الجمهورية العربية المتحدة التى كانت ســـــناد حركات التحرر فى الوطن العربى كله منذ بزغ فجر ٢٣ يوليو فقد أكدت مرارا على لسان قائد القومية العربية : « نحن نساعد الجزائر لاننا نؤمن بحق الجزائر فى الحرية والاستقلال ٠ ونحن نتضامن مـــع شعب الجزائر ضد جميـــع قوى الاستعمار ونحن نستنكر محاولات فرنسا وحلفائها لتنكرهم لكل المبادىء التى اعلنوها وزجعوا عنها»٠

وقـــد وجه الرئيس جمال الى رئيس حكومة الجزائر خطابه التاريخى الذى تضمن أخطر تصريح « ان الجمهورية العربية المتحدة تضع كل امكانياتها فى سبيل تحرير الجزائر » ٠

ثورة العراق

ثورة العراق فى ١٤ تموز (يوليو) ١٩٥٨ ثمرة من ثمار الانتفاضة العربية وان كانت فى حد ذاتها امتدادا طبيعيا لثورتى ١٩٢٠ و ١٩٤١ • وهى ثورة طويلة استمرت أكثر من أربعين عاما• منذ أن وطأت العراق قوات الاستعمار البريطانى عام ١٩١٧ لم يتوقف خلالها العراق عن القتال والمقاومة والثورة •

وقد جاءت ثورة العراق – كما جاءت ثورة مصر – نتيجة طبيعية لفساد الطبقة الحاكمة وتسلط البيت الهاشمى وتواطئه مع الاستعمار على استغلال خيرات البلاد وهى ثورة كانت متوقعة فى كل لحظة ، مترقبة فى كل ساعة بعد أن بلغت الامور مبلغها فى الاستبداد والاقطاع والتطاحن السياسى • وكان الامل أن تأتى على يد العسكريين الذين لم يشتغلوا بالسياسية والذين هم فى كل امة الامل الباقى بعد فساد الاحزاب والساسة ورجال الحكم • واذا كان العراق قد قاوم الاستعمار عام ١٩٤١ ببسالة وقوة ولم ينهزم الا بالخيانة فان بزوغ فجر القومية العربية الجديد بثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ قد ألقى عليها عبئا كبيرا فقد اتخذها الاستعمار القاعدة الكبرى له وحاول بكل قواه ان يكتل سلطانه فيها وان يجعلها مركزا لمقاومة القومية العربية وقصرا لمؤامراته وعملائه ، فقد عمق فيها سلطانه وتوسع عن طريق عملائه من أفراد الاسرة الهاشمية ونورى السعيد • وكان يهدف بذلك الى ضرب انتفاضة القومية العربية وعزل مصر ودعم النفوذ البريطانى فى منطقة الخليج الفارسى وحماية انابيب البترول فى العراق والسعودية وايران •

وكان هذا كله جزءا من خطة ممتدة من أمد بعيد ترمى الى

الفصل بين مصر والعراق وخلق صراع وهمى على الزعامة العربية. هذا الصراع الذى وصفه « كير كبرايد » سفير بريطانيا فى الاردن بقوله « ان الصراع بين العراق ومصر صراع تاريخى ازلى منـــذ حروب الاشوريين والفراعنة » كمـــا حاول الاستعمار القضاء على القومية العربية فى العراق بتاكيد القومية المحلية على طريقته فى دعم الاقليمية والتجزئة غير أن هذه المحاولات فشلت وتحطمت على صخرة الانتفاضة العربية التى حققت قيام ثورة العراق واعلان الجمهورية العراقية .

ولقد كان من ابرز اسباب قيام ثورة العراق ان حكام العراق فى الفترة الاخيرة تحـــولوا الى تدبير المؤامرات على الوطن العربى والقومية العربية . وكان موقف الخيانة بالغا أقصاه أثناء العدوان على بور ســـعيد . اذ جعلوا من أرض العراق قاعـــدة للطائرات البريطانية كما جرت محاولات لتدبير المؤامرات ضد سوريا ثـــم عملوا الى زج جيش العراق فى معركة ضد شعب لبنان الذى كان يكافح حاكما ظالما . كمـــا حرم حكام العراق الشعب من المشاركة العملية فى الدفاع الوطنى العربى وخاصة فى فلسطين وقـــد أراد جيش العراق تطهير الارض المقدسة من الاحتلال اليهودى ولـــكن حكامه كانوا يحولون دون زحف الجيش لانقاذ الارض العربية .

وقد حاول الاستعمار ان يســد السبيل امام الشعب العراقى الذى طالب بالانضمام للجمهورية العربية المتحدة بعد قيامها فاقام « اتحادا هاشميا يضم عرش العراق والاردن لمقاومة التيار الشعبى القومى الذى كان قد آمن بضرورة التحرر من السلطان الاجنبى .

فلمـــا نشبت الثورة الوطنية فى لبنان ، كحركة منبعثة من صميم الشعب لتحقيق السيادة العربية . كان حكام العراق يعملون على تأييد حكام لبنان ضد شعبها . وتلقت القوات العراقية المرابطة

على الحدود أمرا بالاستعداد بالزحف · عند ذلك قرر ضباط الجيش العراقى ان يضربوا ضربتهم لانقاذ القومية العربية من هذا الخطر · وقد كان العراق قبـــل ثورة تموز ١٩٥٨ ـ كما وصفه الرئيس عبد الناصر ـ يعيش فى السجن الكبير ، سجن حلف بغداد الـذى كان الاستعمار قد أعده للشعب العربى · كان وكرا للمؤامرة على مصر والبلاد العربية وقـــد كشفت محاكمات بغداد خيوط المؤامرة التى كانت تهدف الى قلب نظام الحكم فى سوريا · لتهىء لجيوش العراق احتلال سوريا بمعاونة اسرائيل وتركيا وانجلترا وامريكا· وقد جرت ترتيبات شاملة لذلك وامدت الصحف بالامـوال للدعاية وبدأ الاغداق على رجال العشائر المقيمين على الحـــدود الســـورية العراقية لتهريب الاسلحة داخـل سوريا · التى كدست فى منطقة على حدود الاردن · وتبين ان خطة حكام العراق كانت تهـــدف الى احتلال الاردن بحجة حمايتها من اسرائيل · ثم يتم العـــدوان على مصر ، على أن تعمل هذه القوى العراقية على القضاء على أى محاولة لمؤازرة مصر ·

وبالاضافة الى هذا حدث التدخل السافر فى كل الانتخابات العراقية فقد أعطت الحكومة متصرفى الالوية قوائم باسماء النواب الذين يجب ان ينجحوا فى الانتـــخابات كما أقيم نظام الجستابو الرهيب الذى يشرف عليه رجال المخابرات الانجليز · الـذى كان يعمل على تعقب الوطنيين ومراقبة الصحف والمجلات وتحريم متابعة ما يجرى فى العـــالم العربى من تيارات · كمـــا أقيمت معتقلات وسجون ضخمة كان من بينها معتقل نقرة السليمان الشبيه بسجون الباستيل · كما انتشرت الرشوة بين كبار الحاكمين وتمت السيطرة الكاملة على الثقافة العربية وتوجيهها وجهة تخدم الاستعمار ·

وكان الاقطاع فى العراق اشد منه فى مصر · واخطر كثيرا· من ناحية عدد كبار الملاك فى العراق ومساحة ملكياتهم ـ فقد كان

من الاقطاعيين من كانوا يملكون اكثر من ٨٠٠ الف دونم وهـــو ما يساوى ثلاثة او اربـــع مديريات فى مصر او قرابة لوائين فى العراق .

وكان أفراد الاسرة الهاشمية يملـــكون ملايين الدونمات من الارض المركزة فى الوية : المنتفك والكوت والعماره . كمـــا يتركز فى مدينة البصرة حيث ملوك التمر وفى منطقة الكوت التى تعـــد أكبر منطقة اقطاعية يوجد أكثر من ٢٦ إلف نسمة لا يملكون شيئا بينما يملك أرض المنطقة كلها اثنين من الاقطاعيين . وقد وقعت فى هذه المنطقة مآسى وحشية كانت بعيدة الاثر فى نفوس الشعب قام بها أمراء الاسرة الهاشمية .

وعندما اختلف الفلاحون مع بعض الاقطاعيين هناك عام ١٩٥٦ أسرع الاقطاعيون بتشكيل مجلس عرفى وجه الى المئات من الفلاحين تهمة قلب نظام الحكم . وحكم بشنق ثلاثة تمكن واحـــد منهم من الهرب وشنق الاثنان فى قلب البلدة الصغيرة وحـــكم على عشرين بالاشغال الشاقة المؤبدة .

وبالرغم من هذه الاساليب الاستبدادية التى سيطر بها الحكام والعرش الهاشمى والاقطاع وماعومل به الشعب من عسف واضطهاد فان روحه العربية ظلت قوية قادرة على المقاومة .

وفى أبان العدوان على مصر خرج الالوف من أبنـــاء العراق الاحرار فى مظاهرات ضخمة لم تشهد العراق لها مثيـــلا يعلنون استنكارهم للعدوان ومطالبين بالسماح لهم بالسفر الى مصر ليحاربوا جنبا الى جنب مع اخوانهم والخروج من خلف بغداد .

وقد امرت الحكومة العراقية بانزال الجيش فى مدن بغـــداد والموصل والنجف والحلة وغيرها لقمع هذه المظاهرات وكان الضباط

الاحرار على رأس هذه القوات وكان أمرهم الى الجنود هو عـــدم اطلاق النار على المواطنين مهما حدث .

وقد واصل العرش الهاشمي بالاشتراك مع الاستعمار البريطاني والامريكي تحطيم روح الشعب المعنوية وذلك بشهر سلاح الاحكام العرفية والغاء عشرات الصحف واسقاط الجنسية العراقية . الا أن الشعب العراقي لم يتخاذل بل ظل يحارب حلف بغـداد ويصر على مبدأ الحياد الايجابي .

وبعد قيام الاتحـــاد الهاشمي وزع الوطنيون في بغـــداد منشورات تهاجم هذا الاتحاد الذي قام بين عرشين لا بين شعبين . وطالبت المنشورات أحرار الشعب بمواصلة الكفاح الى أن يتـــم الاتحاد مع الجمهورية العربية وحاول ١٩٢ ضابطا القيام بانقـــلاب عسكري فقبضت السلطات على الضباط قبل وقوعه بثمان وأربعين ساعة .

وقد اشتركت المرأة العراقية في كل الانتفاضات والمظاهرات وهن محجبات وهكذا فشلت مؤامرات ضم ســـورية الى العراق عن طريق الدسائس . وتحطمت هــذه الخطط التي رسمتها بريطانيا وأمريكا في بغداد وبيروت وعمان والتي قام بها القوميون السوريون والاسرة الهاشمية ونوري السعيد وفاضل الجمالي وشمعون .

- ٢ -

لقد كان العراق طوال حياته عضوا حيا من قـــوى القومية العربية منذ فجر الحركة العربية ـ وقـد اشتد الضغط البريطانى عليه لفصله عن مراكز الحركة الاخرى والضغط عليه لقبول التجزئة غير أن كل هذه المحاولات لم تحقق الا الفشل وبقيت العراق عربية خالصة ٠

وقد كتب المعتمد البريطانى « برسى كوكس » فى خلال الحرب العـالمية الاولى تقريرا عن العراق ووضعه فى المؤامرة التى رسمتها بريطانيا عن الشرق العربى : قال « ان أهم المناطق الاستراتيجيـة فى المشرق الاوسط هى العراق والقوقاز ٠ وفى كلا المنطقتين تسود الاغلبية المسلمة بين السكان ٠ ونحن سيطرنا على العراق ولا بد أن نحكمه حكما مباشرا لاننا اذا شجعنا فكرة القومية العربية والسيادة العربية سواء فى العراق أو فى غيرها من البـــلاد العربية التى انتزعت من الاتراك بالدم البريطانى والمال البريطانى فاننا سنحرم انفسنا من كل المزايا الاستراتيجية التى حصلنا عليها بالسيطرة على مركز الاعصاب هذا ٠ ونحن قد يمكننا باحتلال العراق من أن ندق اسفينا فى العالم الاسلامى ولن يمكن بعد هذا أبدا أن يتجمع العالم العربى أو العالم الاسلامى ضدنا فى الشرق الاوسط لهذا يجب أن تكون سياستنا هى أن نحافظ على العراق كاسفين خاضع للسيطرة البريطانية خضوعا فعالا لا منازعة فيه ويجب الا يندمـــج العراق سياسيا بسائر بلاد العالم العربى أو العالم الاسلامى وتبقى منعزلة بقدر المستطاع وتصبح مثلا للدول الاخرى ٠ وانه لمن المستحيل أن تقوم حكومة عربية حقيقية فى العراق ، واذا حاولنا هذا فانه يعنى

ان نترك شيئا خطيرا اذا اذكرنا قيمة حقول البترول الكامنة في العراق وان هناك موارد أخرى كثيرة للثروة الكامنة » .

واليوم وبعد مرور ٤٠ عاما نجد ان هذه المؤامرة الاستعمارية التى رسمها برسى كوكس مع دولته الاستعمارية قد تحطمت تماما ولم يجد مطلقا رسم الخطط فى القضاء على روح القومية العربية في العراق كجزء لا ينفصل من الامة العربية القادرة دائما على مقاومة الاستعمار وقد تجلى ذلك فى سبع انتفاضات متصلة متوالية :

ثورة ١٩٢٠ : التى كانت أشبه بانفجار ضخم جاء نتيجة لخيانة بريطانيا وحلفائها للثورة العربية . فقد كان لورنس أشهر رجال مدرسة الخيانة الهاشمية الذى أطلق على نفسه عبارة « انا بدلا من الحكم المباشر » قد وضع مشروعا يرمى الى توزيع المناصب على أبناء الاسرة الهاشمية . ووضع العراق تحت حكم الامير عبد الله والعراق الجنوبية تحت حكم الامير زيد وسوريا تحت حكم الامير فيصل ويبقى الملك حسين ملكا على الحجاز « على أن تكون هذه الحكومات داخلة ضمن النفوذ البريطانى وخاضعة للسيطرة الفعالة »

وكان الانجليز قد ثبتوا أقدامهم فى العراق منذ عام ١٩١٤ وقد كبدت هذه الثورة البريطانيين خسائر ضخمة وحولت اتجاههم الذى كان يرمى الى جعل العراق مستعمرة بريطانية واضطرهم الى انشاء دول عربية فى العراق ذات نطاق ملكى وكانت بريطانيا قد أرسلت ٧٠ ألفا من الجنود لاخماد الثورة ولكن هذا الحل لم يوفر للعراق ما تصبو اليه فقد كان فيصل هو الملك اسما وكان الحاكم الفعلى هو السفير البريطانى وفى ظل الحراب البريطانية عقدت معاهدة جائرة .

لذلك لم يلبث أن هب فى ثورة جديدة فى عام ١٩٢٤ عندما اقتحم مبنى المجلس التأسيسى الذى أقامه الانجليز من بعض أذنابهم

ليضعوا بواسطته الطوق حول رقبة الشعب فاستشهد كثيرون برصاص الانجليز وعقدت معاهدة ١٩٢٧ التى كانت قيدا جديدا للشعب .

لذلك لم تلبث الانتفاضة العربية ان انبعثت مرة أخرى عام ١٩٣٠ اذ هب أكثر من مائة ألف مواطن فى بغداد يهتفون بسقوط الاستعمار والخونة وقد قمع نورى السعيد هذه الحركة واستبدلت المعاهدة بمعاهدة أخرى .

وفى عام ١٩٣٦ قامت ثورة الجيش بقيادة حكمت سليمان وبكر صدقى ، وكانت تهدف الى مقاومة الانجليز ولكنها كانت ضد القومية العربية ولذلك سرعان ما قضى عليها العراق . ولم يلبث بكر صدقى أن قتل وكان ضروريا أن توالى الامة العربية فى العراق كفاحها التى تكشفت عن انتفاضة ثورية فى خلال الحرب العالمية الثانية هى الحركة التى قادها رشيد الكيلانى والشهيد صلاح الدين الصباغ وزملاؤه كان من الممكن أن تحقق هدف العراق لولا وجود عناصر الدس والخيانة والرجعية التى راحت تعمل فى الظلام .

ولم تمض سنوات حتى انتفض الشعب مرة اخرى فى مقاومة معاهدة بورتشموت التى جاء بها صالح جبر ونورى السعيد (١٩٤٨) على أساس انشاء هيئة عراقية بريطانية للدفاع المشترك ولكن معارضة الشعب العراقى لذلك قضت على هذه المعاهدة بالفشل وقت مولدها .

وكانت انتفاضة ١٩٥٢ نتيجة انتصار الحركة الوطنية فى ايران وتأميم البترول وعقب الثورة التحريرية فى مصر وفى عام ١٩٥٤ انتفضت العراق ضد فاضل الجمالى الذى عمل على ربط

العراق بالاستعمار الامريكى فى محالفات عسكرية عدوانيـــة وفى نوفمبر ١٩٥٦ قامت ثورة العراق ضد السماح للطائرات الانجليزية المغيرة عـــلى مصر بالتزود بالوقود والذخيرة من مطـارات العراق وتطورت الى ثورة شعبية استشهد فيها ١٤٠ من شباب العراق ٠

وكان فشل هذه الانتفاضة الوطنية نتيجـــة للارتجال الذى كان يطبعهـــا بطابعه حيث لم يتهىء لها الجو المناسب فى الخـارج والداخـــل ٠

موقف الاسرة الهاشمية والاستعمار من القومية العربية

يمكن تلخيص تاريخ العراق كله في عصره الحديث في انه مقاومة لمحاولة سلخه عن القومية العربية والوطن العربي ٠ وهكذا ترتبط ثوراته وانتفاضاته في عمل متصل لمقاومة التجزئة والاقليمية ومحاولات ايجاد قومية عراقية منفصلة عن القومية العربية ٠

وقد عمل الاستعمار البريطاني على تركيز دعائمه في العراق عن طريق الاسرة الهاشمية ونوري السعيد كقاعدة كبرى له ٠ وفي خلال ٤٢ عاما منذ عام ١٩١٨ الى اليوم كان حكام العراق يهدفون الى فصله عن العالم العربي وخلق صراع على الزعامة بينه وبين القاهرة وقد ركزت بريطانيا في العراق دعوات الهلال الخصيب وسوريا الكبرى والسيطرة على الجامعة العربية والمساهمة في جميع الاحلاف ٠

ثم كانت هي الدولة العربية الوحيدة التي قبلت دخول حلف بغداد ومشروع ايزنهاور ثم الاتحاد الهاشمي ٠

فلما قامت ثورة تموز ١٩٥٨ هادفة القضاء على النزعة الاقليمية استطاع الاستعمار تحويلها الى نفس الخط الذي سار فيه حكام العراق من قبل وتحول الموقف من تسلط عرش الى استبداد فرد ٠

يقول صديق شنشل : « ان في مقدمة أسباب ثورة العراق انحراف نظام الحكم في العهد البائد عن المبادىء الدستورية ٠ وان الذين يعرفون العراق يعلمون ان هذا الشعب قد حمل السلاح في

أعقاب الاحتلال الاول الذى تم خلال الحـــرب العالمية الاولى فقاتل العراقيون جيوش الاحتلال عام عشرين حيث انبعثت الثورة بوسط العراق وعلى ضفاف الفرات ثم امتدت الى ســـائر الوطن . وعلى جماجم هؤلاء الشهداء قام عرش فيصل الاول وأبنائه وجاءنا فيصل بعد أن طرده الفرنسيون من سوريا وجاء معه أخوه علي والد عبد الاله وكانوا جميعا معدمين فآواهم هذا الوطن ورفعهـم الى مركز رئاسة الدولة . ان عبد الاله الذى كان موظفا في وزارة الخارجيـة يتقاضى خمسة عشر دينارا شهريا أصبح من أصحاب الملايين وكلما مر به الزمن ازداد جشعا وكلما ازداد ثراء مضى فى التنكيل بهـذا الشعب .

ومن أسباب سيطرة نورى السعيد انه كان يعطى ثمن الحكم الى عبد الاله ويؤكد له وللحاكمين أن الفارسين عبـــد الاله ونورى قادران على تسيير الشعب رغم ارادته » .

وتاريخ نورى السعيد معروف وقد اشترك فى الثورة العربية ثم سلم دمشق للجنرال غورو ويروى الشهيد صلاح الصباغ فى مذكراته انه كان يقوم بحراسة قصر فيصل - فى دمشق - وكان فوزى القاوقجى أمير سرية فى نفس الكتيبة . فلما ترك فيصـــــل قصره ورحل الى درعا بحوران سحب جنوده وفى الطـــريق التقى بزميله الشهيد فهمى سليمان وكانت عيناه تفيضان بالدموع فسأله فقال : غدا يدخل الفرنسيون دمشق فى الصـــباح الباكر ، علمت ذلك من نورى بن سعيد : لقد طلب منى أن أحافظ على الامن داخل البلد الى أن تدخل الجيوش الفرنسية صباح غد لتحتل دمشق . فأنا ذاهب بجنودى الى قـــوات حلب وحمص فورا وسنمضى فى قتال الفرنســـيين . وقال يوسف العظمة عن نورى السعيد : الى متى يعيش هؤلاء الخونة وأبناء العرب الاحرار يقتلون ويقبرون .

وقال الشهيد صلاح الصباغ فى تتمة هذه القصة : ان نورى

السعيد سلم الجنرال غورو دمشق ووقف بجواره وهو يلقى خطابه الذى سب فيه العرب . قال صلاح الصباغ فى مذكراته ان ضابطا كبيرا فى الجيش حاول أن ينزع من اصبعه الخاتم الذى كان يحمله خلال الثورة العربية وقد نقشت عليه عبارة (الحق والعرب) ليضع خاتما آخر نقش عليه (الحق والعراق) وكان الاستعمار ادخل فى الجيش العراقى تيارا يدعو الى العراق كيانا مستقلا لمقاومة تيـــار العروبة الذى يقول بان العراق جزء من الوطن العـربى . وكانت الطبقة الحاكمة والاسرة الهاشـــمية يؤيدون هذا التيار وينكلون بأصحاب التيار العربى .

وتاريخ الاسرة الهاشمية فى العراق معروف فان الانجليز أعدوا عرش العراق لفيصل بعد أن احتل الفرنسيون ســوريه . وقد نودى به فى ٢١ يوليو ١٩٢١ ملكا بعد استفتاء أشرف عليـــه رجلان هما : برسى كوكس ولورنس .

وكان ماكدونالد رئيس الوزارة البريطـانية هو الذى مهد السبيل لفيصل وانتهى معه الى عقد المعاهدة البريطانية العراقيـة طويلة الامد . ورغم معارضة الشعب العـــراقى لفيصل فانه أقر المعاهدة وحشد شيوخ العراق وزعماء عشـــائره فى قصر وتطلع ممثلوا الامة من نوافذ القصر فرأوا الحصار مضروبا عليهم بالمدافـع وا لدبابات البريطانية من كل جانب وتذكروا وليمة محمد عـــلى للمماليك فى القلعة . ووقعوا على المعاهدة . ومنح فيصل لبريطانيا امتياز النفط العراقى ٧٥ سنة .

وفى سبتمبر ١٩٣٣ مات فيصل فجاة فى برن بسويسرا فى الخمسين من العمر ــ مات بحقنة فى العضـل فى الوقت الذى رأى البريطانيون التخلص منه . وقد مات فى نفس اليوم مدير الفندق الذى كان ينزل فيه .

وعندما وزعت بريطانيا غنائم الثورة العربية على أبناء الاسرة الهاشمية فانشئت أمارة الاردن للامير عبد الله الذى قال كلمتــــه المعروفة : لقد سرق منى فيصل عرش العراق كما سرق منى عرش سوريا وعلى هذا فقد عملت بالمثل المأثور : من فاته اللحم فليشبــــع بالمرق •

وقد حاول أن يقنع الانجليز بأن يعطوه مالا وسلاحا لغــــزو سوريه سنة ١٩٤١ وانتزاعها من الفرنسيين وضمها الى أمارته ، وفى عام ١٩٤٦ نادى بنفسه ملكا ثم كان موقفه المعروف فى حرب فلسطين وخيانة العرب والتنازل عن اللد والرمـــلة وضم الجزء العربى من فلسطين الى مملكته • مما أدى الى قتله فى ٢٠ يوليو ١٩٥١ داخل المسجد الاقصى •

أما عبد الاله فقد كان تاريخه مظلما اذ تولى وصاية العرش بعد وفاة غازى وكان له موقفه المخزى فى ثورة ١٩٤١ • وقــد كان من أشد عملاء الاستعمار فى العراق قسوة فى مقاومة القومية العربية ، أعدم شنقا صلاح الصباغ ويونس السبعـــاوى وفهمى سعيد ومحمود سليمان وشرد ونفى فى المعتقلات وسجون الموت كل زعماء الحركة الوطنية •

وله فى كل حى وشارع ومدينة وقرية من قرى العراق قصة اضطهاد وظلم ، وكان موقفه فى معركة فلسطين موقف الخيانة فقد رفض أن يشارك جيش العراق فى المعركة وفى خلال العـــدوان الثلاثى على مصر (١٩٥٦) فاجأ قوات الجيش بتجريدهـــم من الاسلحة • وقد صور الشهيد صلاح الصباغ موقفه عنـــدما تولى الوصاية فقال انه جعل يتودد الى الجيش كما توثقت علاقته بنورى السعيد توثقا عظيما ، وكنا نلتقى بهم فاذا تحدثنا عما يلقاه الجيش على يد الانجليز من مواقف العداء نرى على وجه نورى الســعيد

وعبد الاله امتعاضا كبيرا وكانا يدافعان عن وجهة النظر الانجليزية ويبذلان جهودا كبيرة لاقناعنا بسلوك هذا الطريق ، وما لبث أن أصبح عبد الاله عبدا للانجليز بمعنى الكلمة وأخذ يقضي أيامه بين ظهرانيهم ، وبعد هزيمة ثورة ١٩٤١ دخل عبد الاله بغداد على دبابة بريطانية وسار على رأس القوات البريطانية في شوارع بغداد يطلق الرصاص على الشعب ليسحق ثورته . وكان جلوب قد زحف بقوات الجيش الاردني العربي لمقاتلة جيش العراق العربي مما أثر تأثيرا كبيرا في الثورة . وان كانت بعض وحدات الجيش الاردني رفضت الانقياد الى رغبة الانجليز وعندما وصلت الى الحدود العراقية تمردت وحولت رشاشاتها عليهم وهددت باطلاق النار ان لم يسمح لها بالعودة . وقد وجه الامير عبد الاله الى جلوب بعد عودته خطابا قال فيه : لقد عدتم وأنا راض عن عملكم كل الرضا فأنتم فخرنا وعليكم بعد الله اعتمادنا كما قدم الى جلوب سيفا ذهبيا مرصعا .

وقد صور الدكتور عبد الرحمن البزاز **موقف القومية العربية في العراق خلال حكم الاسرة الهاشمية فقال :**

كان الطابع الاساسي الذي يطبع الحكم في العراق هومصانعة الاستعمار منذ قيام الحكومة الوطنية في ظل الانتداب بعد ثورة العراق ١٩٢٠ .

كانت الفكرة العربية مطاردةفي عهد الاستعمار الغربيوعهد الشعوبية بعد ثورة تموز ففي عهد ماقبل الثورة كانت معارضة القومية العربية لاتتم جهارا ولكن تتم من وراء ستار . وذلك باصطناع طراز خاص من القومية العربية لايعدو أن يكون أقليمية

ضيقة مع التغنى بالعروبة والوحدة العربية على اعتبار انها حلية يحسن التجمل بها ٠

وقد اشترك العراق فى الجمعيات السرية مع سورية ولبنان وفلسطين وشباب كل الاقطار العربية ونشر المطبوعات للتعبير عن المطالب القومية وخاصة فيما يتعلق باللغة العربية ثم أصبحت فكرة القومية العربية قاصرة على تمجيد الاسرة الهاشمية وتصوير حقها فى تزعم الحركة القومية لانتسابها الرفيع ٠

وقد سعى «ساطع الحصرى» الى توجيه مناهج الدراسة وجهة قومية كان لها نتائجها بعد حين مما قوى الشعور القومى فى العراق عند اندلاع الحرب العالمية الثانية٠ وكان من عوامل المقاومة الفعالة فى الحرب العراقية البريطانية (ثورة رشيد الكيلانى) ١٩٤١ كما تغنى معروف الرصافى بمجد العرب واستنهاض الامة العربية ٠

وقد بلغ الشعور القومى فى العراق شأوه قبل الحرب العالمية الثانية حيث كانت بغداد تحتضن ساسة العرب الوافدين من كل قطر عربى ، وكانت الفكرة العربية مسيطرة على الجيش العراقى بصورة عامة وكان المرحوم العقيد الركن صلاح الدين الصباغ ورفقاؤه الشهداء قد نظموا خلايا قومية فى الجيش العراقى تمكنت من السيطرة على الجيش وتوجيهه الوجهة القومية الى أن قضى الانجليز على تلك الحركة ودمروا الجيش عام ١٩٤١.

وكان الانجليز يسعون الى القضاء على القومية العربية فى الجيش وقد صرح بذلك تشرشل فى مذكراته حين أشار الى «تشتيت القوة الكامنة فى الجيش العراقى» فلما كانت ثورة أيار ١٩٤١ عمدوا الى ضرب القومية العربية فى العراق وعاد النفوذ البريطانى من جديد كاقوى مايكون ٠ وبدأت السيطرة على وزارة المعارف

وأعيد النظر في المناهج حيث منع تدريس الوحـــدة الالمانيـــة او الوحدة الايطالية ٠

ومنعت الكتب القومية من التداول واعتقل القوميون من رجال التعليم والصحافة والشباب واغلقت الاندية ومنعت الاناشـــيد القومية ٠

واصبح الشعر كله في خدمة الامير عبـــد الله ، الذى كانت تعاونه السلطات البريطانية مع الفئات المعارضة للقومية العربيـــة وقوى النفوذ الشيوعى في العراق لدخول انجلترا الحرب الى جانب الاتحاد السوفييتى ٠ وانشئت جمعيات لخدمة الاســـتعمار الغربى ومقاومة القومية العربية باسم الثقافة والخدمة الاجتماعية (اخوان الحرية) ٠

فلما عادت القومية العربية الى القوة بعد الحرب العالمية الثانية العربية كما يفهمها العراق من كتابات الدكتور عبد الرحمن البزار عاد التنكيل واعتقل شباب الوطن عـــام ١٩٤٧ و١٩٥٢ ووقف العدوان بجوار مصر بعد ثورتها وفى حوادث السويس ٠

وقد جرت محاولات الاستعمار فى العراق لعزله عن الركب العربى باثارة شبهات متعددة منها :

ان العراق ليس شعبا واحدا وانما هو عدد من الشـعوب لم يتم امتزاجها بعد ٠ هناك الاكراد فى الشمال والشيعة والسنه فى الوسط والجنوب والبيت الهاشمى وحده هو الذى يربط هـــذا كله معا ٠

غير ان هذه المحاولات لعزل العراق عن ركب القومية العربية ومحاولة فرض التجزئة الاقليمية وحكم الاسرة الهاشمية عليه ٠٠ كانت تواجه بعنف يكشف عن جوهر العـــراق الذى وصف بانه بروعتيا العرب ٠

ويكفى مع الرد على هذه المؤامرات أن نسجل ملامح القومية العربية كما يفهمها العراق من كتابات الدكتور عبد الرحمن البزاز.

ان قيام الدولة العربية الكبرى أصبح ضرورة حياتية لا غنى للعرب عنها ـ ان الاتحاد الشامل المتناسق حتى فى أسوأ صورة لهو أفضل بكثير من الشتتاب والتفرقة .

ان قوى داخلية متزايدة وخارجية لاحصر لها تعمل على تثبيت فالوضع الراهن فى العالم العربى القائم على فكرة التفريق والتشتيت

ان القوميات قامت على العنصرية التى تؤمن بالدم . وتدعو الى التفاخر على أساس الانساب. بينما القومية العربية اليوم تقوم على مقومات حضارة مهذبة أبرزها اللغة المشتركة والتاريخ العام للامة وانتاجها الروحى الممثل بأدبها وفنونها فضلا عن ارتباط مصالح حياتية عديدة .

القومية العربية عقيدة اجتماعية وسياسية واقتصادية مبعثها شعور العرب فى مختلف اقطارها بمقوماتهم الاساسية التى هى : اللغة والتاريخ والادب والعادات والتقاليد ووحدة المصلحة والهدف .

وتهدف الى تحرير وطنهم من شتى أنواع الاستغلال الداخلى والاستعمار الخارجى وحكم بلادهم بأنفسهم وتنمية مواردهم وتحقيق العدل الاجتماعى فيما بينهم وهى قومية بالمعنى الحضارى الشامل وليست عنصرية . وهى اشتراكية تدعو الى تدخل الدولة لزيادة الانتاج وتحقق العدل فى التوزيع ، ثورية تؤمن بسيادة الامة .

قوميتنا تقدمية تجديدية تاخذ بكل وسيلة مجدية لاعلاء شان العرب ورفع مستواهم الاجتماعى والثقافى والاقتصادى ولكنها لاتنسى أنها لاتريد أن تنسى ماضيها وما أشاده الاجداد من حضارات

باهرة تملأ النفوس عزا وفخارا وتتخذ من الماضى وسيلة مجددية للتحضر .

وخير الناس ذو حسب قديم   أقام لنفسه حسبا جديدا
تراه اذا ادعى فى الناس فخرا   تقيم له مكارمه الشهودا

وهى تمقت الاقليمية الضيقة والطائفية الدينية والمذهبية

أمجاد وتراث فى الماضى ، وثروات وامكانيات فى الحاضر تتخلق مستقبلا عظيما

انحراف ثورة العراق

عندما قامت ثورة العراق فى ١٤ تموز ١٩٥٨ كانت انتصارا للقومية العربية واستجابة للانتفاضة العربية التى بعثتها فى الامة العربية ثورة ١٩٥٢ ، وامتدادا لتاريخ العراق فى القومية العربية التى يمثل سلسلة متصلة الحلقات من الثورات والانتفاضات المتوالية التى لم تتوقف تحمل لواء العمل للحرية والوحدة ومقاومة التجزئة والاقليمية التى حاول الاستعمار البريطانى فرضها عليه منذ الاحتلال ١٩١٨ حتى اليوم وكانت حركة الضباط الاحرار فى العراق قد قامت كصدى سريع للعدوان على مصر ثم تبلورت هذه الحركة داخل العراق كنتيجة لاستمرار مؤامرات حلف بغداد ضد سوريا ووقعت ثورة العراق بعد أربعة شهور من قيام الجمهورية العربية المتحدة .

وقد أيدت الجمهورية العربية المتحدة الثورة العراقية منذ اللحظة الاولى باعتبارها انتفاضة للقومية العربية ووضع الرئيس جمال عبد الناصر – وكان فى زيارة لبريونى – مخططا كاملا لتأييدها يتضمن :

١ – تعبئة الرأى العام العربى دفاعا عن ثورة العراق والثوار عن طريق الاذاعة وجميع وسائل النشر

٢ – اعلان التعبئة العامة لكل القوات المسلحة .

٣ – حماية الثورة العراقية وكانت عبارته هى : «ان حماية الثورة هى معركتنا وأن معركة الحرية فى العالم العربى كله واحدة وأن العدوان على الجمهورية العراقية عدوان على الجمهورية العربية

المتحدة وأن الجمهورية العربية المتحدة ستقاتل جنبا الى جنب مع جمهورية العراق» ·

وقد تبين منذاللحظة الاولى لثورة العراقأن كل أسلحة جيش العراق بغير ذخائر فقد باع الانجليز العراق بعض الوحدات المدرعة من دبابات سنتوريون واحتفظوا بالذخيرة فى مخازنهم فى قبرص ولذلك فان الدبابات التى يملكها جيش العراق لم تكن تستطيع أن تعمل الا باذن من الانجليز وفى الاغراض التى يوافقون عليها ·

وقد حدث هذا فى الوقت الذى كانت قاعدة السويس التى استولت عليها مصر بعد العدوان الثلاثى تضم كميات ضخمة من الذخائر البريطانية · وهكذا أمكن أن تمد مصر العراق بالذخيرة منذ اللحظة الاولى للثورة وقد نقلت الذخائر الى العراق بكميات هائلة ·

واهتز العالم كله لنبأ الثورة العراقية · وبدأت بريطانيا تنزل قوات المظلات فى الاردن وامريكا تنزل بحارة الاسطول الامريكى فى لبنان ·

ووقفت الجمهورية العربية بجوار العراق · ووضعت المقاتلات العربية فى مطار الحبانية تحت تصرف العراق ·

، والتقى رجال ثورة العراق بالرئيس جمال وطلبوا عقد ميثاق دفاع مشترك واتفاق عسكرى واقتصادى وثقافى فتم توقيعه على الفور ·

وقد قدمت الجمهورية العربية المتحدة للعراق مختلف انواع الاسلحة والمدافع الرشاشة والذخيرة وأسراب الطائرات وجهازات الرادار ، بما تبلغ قيمته ملايين الجنيهات ·

وقامت الجمهورية العربية المتحدة باتصالات متعددة مع الهند

وروسيا وأندونيسيا ويوغوسلافيا للاعتراف بالجمهورية العراقيــة في بغداد ٠

وأعلنت ثورة العراق منشورها الاول وهو يحمل عبــارات عامة غير محددة ومما جاء فيه : «ان جميع عناصر الثورة الاصــلية تكمن في داخل العراق ، في نظام حكمه الفاسد ، في التنــاقض الشديد بين شكل المجتمع ومحتواه الحقيقي ٠ وأخيرا في تنامي وعي الشعب ، وادراكه لحقوقه ومسئولياته ٠ ومن هنا ترتبط حركة الشعب العراقي بكفاح الشعوب في جميع انحاء الارض من أجــل الحرية والاستقلال والسلام ٠

ومن هنا يمكن أن نرى بوضوح أن حركة الشعب العــراقي بقيادة جيشه الباسل كانت جزءا لايتجزأ من حركة التاريخ التي شملت العالم أجمع ٠ فمنطق التاريخ يحتم تحرر العراق وانطلاقه من قيوده وتقرير مصيره وسيره في طريق مضيء يبشر بكل خير كما يحتم تحرر جميع شعوب العالم المستعمرة والخاضعة للنفــوذ الاجنبي ٠

ولقد كان الموقف بالنسبة للانجليز والاستعمار كله مثيرا ومرعبا ، وقال وليم رايان المعلق السياسي : «ان ماحدث في العراق حدث بسرعة تفوق السرعة التي توقعها أي مراقب غربي وبالمفاجأة التي تتميز بها الصواعق ، فقد استطاع قادة الثورة ان يلخصــوا خبرة عدد لانهاية له من الثورات وأن يختصروا عمل عشر سنوات في يوم واحد حتى سقط النظام الذي كان راسخ الاركان فاصبح في أيديهم مثل قطعة من الورق ٠

وكانت بريطانيا تعلن في كل لحظة ثقتها بالوضع القائم في العراق وتعتقد أن حكومة نوري السعيد هي أكبر الحــكومات في الشرق العربي استقرارا فاذا بها تفاجيء بالانقلاب كوقع الصاعقة

تجاه منطقة هامة حساسة بالنسبة لها من عدة وجوه : «السيطرة على جميع المواصلات الى الشرق الاوسط لاتصال العراق بشبكة واسعة من المواصلات الجوية العالمية بين آسيا وأوربا وبالملاحة البحرية عن طريق ميناء البصرة ٠

٢ ـ للسيطرة على موارد البترول واستغلالها اذ تحصل بريطانيا على ٦٠ مليون جنيه سنويا من بترول الكويت والخليج والعراق وتبلغ حصيلة بترول العراق ٢٥٠ مليون دولار فى العام

٣ ـ اعتبار العراق الممر البرى الرئيسى بين تركيا وجنوب الاتحاد السوفيتى ومتاخمة العراق لسورية وتركيا والكويت والمملكة السعودية والاردن وايران ٠

كما ركزت بريطانيا قاعدة بغداد واستغلت مواد العراق لخدمة أغراض الحلف اذ تبين أن ١٧ مليون جنيه من فائض ميزانية العراق قبل ثورة ١٤ تموز قد صرفت على المؤامرات فى سوريا والاغتيالات فى لبنان والمحطات السرية وان اعتمادات مجلس الاعمار من دخل البترول قد امتصتها الشركات البريطانية والامريكية وكانت الجمهورية العربية المتحدة قد هزت قوائم حلف بغداد الذى اشتركت فيه العراق فى ٢٤ فبراير ١٩٥٥ ٠

لذلك كله سارعت بريطانيا الى العمل للانحراف بثورة العراق عن أهدافها الاصلية ودفعها الى نفس الطريق الذى حرصت أن يسير فيه حكام بغداد فى ظل العرش الهاشمى ٠

ووسائل بريطانيا فى هذا العمل معروفة هى التآمر والتمزيق للجبهة الموحدة وتحطيم كل اتجاهات الوحدة والتضامن بين العراق والجمهورية العربية المتحدة

« ٢ »

ويصور «فائق السمرائي» **انحراف ثورة العراق** على هـــذا النحو

عندما وقعت ثورة ١٤ تموز صعق الغرب وصعقت الشيوعية وصعقت اسرائيل لانهم وجدوا جميعا أن هذه الثورة ايذانا بميـــلاد جمهورية جديدة تصل بين وادي الرافدين ووادي النيل ، واذا كانت القومية العربية قد حققت الانتصارات الباهرة وهي مهيضة الجناح الايمن وهو العراق ، فانها ستحقق المعجزات عندما يحلق الطـائر العربي بجناحيه ٠ لهذا أخذوا يعملون سويا للانحراف بثورة العراق عن أهدافها بالرغم من تناقض اطماعهم ٠

الغرب يريد أن يستعيد نفوذه الضائع في المنطقة والشيوعية وجدت في القومية العربية بديلا يستهوى الشعوب ويحفزها الى خلق أنظمة للحكم تتبع من واقعها وماضيها ، ولذلك تعاونت القـــوى الثلاث على محاربة القومية العربية في العراق وحشدت كل قواهـا وامكانياتها ، ولذلك عمدت الى سلاح الارهاب تشهره لتصفيـــة القومية فكانت المذابح والمجازر التى سارت بذكرها الركبان وسحب الجثث في الشوارع وتقتيل الابرياء وتعليقهم على أعواد الكهرباء ٠

ويصور الدكتور عبد الرحمن البزاز انحراف الثورة فيقول :

« ان الاوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية كانت قد بلغت في العراق حدا من السوء والفوضى والاضطراب بحيث يئس معظم الناس من الاصلاح بغير طريق الثورة العـــارمة التى تقلب الاوضاع قلبا ٠

وقبل الثورة كانت الحريات مسلوبة ٠ والاحرار مضطهـدون

ومعرضون للتنكيل ، ويراد عزل العراق عن جسد الامة العربية وربطه بالاحلاف الاستعمارية ، وقد صرف العراق عشرة ملايين دينار لانشاء قصر ملكي ومبنى للبرلمان ، وكان هناك شخص واحد يتصرف فى أرض زراعية مساحتها بقدر مساحة بلجيكا كلها ، وقد قضت الثورة على الملكية ولم تقض على الاستبداد الفردى ، قضت على الساسة المفسدين ولم تقض على فساد الحكم ٠٠ ان روح حلف بغداد مازالت مسيطرة على علاقة عبد الكريم قاسم بالغرب ، وهذه الروح هى محاولة عزل العراق عن الركب العربى عامة وعن الجمهورية العربية خاصة ، وقد حقق الغرب لعبد الكريم قاسم أغراض حلف بغداد ٠

واستحالت الثورة الى ثورة رجل واحد تسنده فئة صغيرة تقاسما فيما بينهما كل مغانم الثورة ٠ وقد قضى على كل الضباط الاحرار الذين بلغوا المئات ومهدوا للثورة وكذلك المفكرين الاحرار٠

• حارب عبد الكريم قاسم القومية العربية وقاوم القوميين العرب وقضى على أحزابهم ومنع قيام أى حزب قومى جديد ٠ وملأ السجون والمعتقلات وبقى الشيوعيون والانتهازيون والشعوبيون وحدهم فى الميدان ٠

كما سعى الى التفتيت والتجزئة وتأييد فريق على حساب فريق ليبقى وحده حاكم العراق المفرد المطلق ٠

وقد مكنت سياسة « اللاقومية » للشيوعية والشعوبية والاقليمية ٠ وبعد فهل انحرفت الثورة حقا ٠

• كان قبل الثورة : انعدام الحريات ٠ واستبداد الفرد ٠ انعدام العدالة الاجتماعية ٠ محاولة عزل العراق عن الركب العربى ٠ ممالأته للاستعمار الاجنبى ثم تغير نظام الحكم من ملكى الى جمهورى وبقى الحكم الفردى بشكل أعنف وأبشع ٠ فلم تتغير أسس علاقة

الحاكمين بالمحكومين • فقدان العدالة الاجتماعية • عزل العراق عن الركب العربى أقسى وأعنف • انحرفت الثـــورة عما يريده الجيش والشعب • أحال عبد الكريم قاسم الثورة الى مجرد انقلاب عسكرى آلت اليه زعامته وقيادته • قدم الشعب ضحاياه فى مقاومة انحراف الثورة •

• ان الذى صرف الثورة عن أهدافها هو الروح الانتهـــازية الإنانية القاتلة والفردية المستحكمة ، بالتجاوب مـــع الاستعماريين ليتخذوا من انحراف الثورة دليلا على بطلانها وعهدوا الى اقامة حكم رجعى تتحكم فيه القوى الاستعمارية من جديد بصورة أبشع ممـــا كانت تتحكم فيه من قبل وحققوا بذلك نصراً على القومية العربيـــة التى يخشونها •

والقومية العربية لم تطارد ولم ينكل بها فى ضراوة وقسوة كما حدث بعد الثورة •

• لم تكد ثورة العراق تتم حتى بدأت أمارات الانحراف تظهر فى سياسة عبد الكريم قاسم • بدأ الشيوعيون نشاطهم • طرحوا شعار «الاتحاد الفيدرالى» ليقاوموا به الوحدة ولم يكونوا مخلصـــين فى دعوتهم وانما أرادوا تجزئة قوة القومية العربيـــة • وقد التقى عبد الكريم قاسم بالشيوعية فى معان تتصل ببقائه على رأس الثورة ولولا سياسته لما بلغ نفوذ الشيوعية فى العراق مبلغه •

• السر فى هذا الاتجاه هو : (١) أن القومية العربية لاتقبـل صيرورته زعيما أوحدا ــ ولا ترضى الحكم الفردى • (٢) معـــاداة الجمهورية العربية المتحدة : السند الطبيعى للقومية العربيـــة (٣) مهادنة الاستعمار الغربى مـــع استعمال بعض العبارات للاستهلاك المحلى (٤) الانتفاع من وجود اسرائيل باعتبارها تحـــد من انطلاق القومية العربية (٥) استثارة كل القـوى المعـــارضة للقوميـــــة العربية •

« ٣ »

موقف الجمهورية العربية المتحدة

كان موقف الجمهورية العربية المتحدة من ثورة العراق منذ اللحظة الاولى موقف المساندة طبقا لروح القومية العربية الذى حملت لواءه وعملت به منذ اليوم الاول . لم تكن تستهدف أى غاية سوى دعم « التضامن العربى » غير أن « بريطانيا » استطاعت أن تمزق ثورة العراق وأن توجهها الى الغاية الاستعمارية التى رسمتها لهـا ورسمت لذلك مخططا واضحا .

١ ـ ايقاع الخلاف بين قادة الثورة وضرب بعضهم ببعض .

٢ ـ بلبلة الرأى العربى العراقى بالخلاف بين الوحدة والاتحاد .

٣ ـ رفع شعارات التجزئة والاقليمية الضيقة .

٤ ـ مواصلة عزل العراق عن القومية العربية .

٥ ـ دعم التبعية لحلف بغداد والاستعمار الغربى .

٦ ـ تجميد الموقف بالنسبة لفلسطين .

٧ ـ الاستعانة بالشيوعيين فى ضرب القومية العربية .

٨ ـ مهاجمة الجمهورية العربية المتحدة واتهامها بالطمع فى فى دخل العراق .

وقد كان العقيد عبد السلام عارف القائد الفعلى لثورة العراق مع رأى الأغلبية فى العراق وهو الاتحاد مع الجمهورية العربية المتحدة .

لذلك سرعان ماعمل الاستعمار البريطاني على قيام صراع بين الوحدة والاتحاد لبلبلة الرأى العام فى العراق ٠

وكان موقف الجمهورية العربية المتحدة فى هذا الشأن واضحا محددا ، هو تأمين ثورة العراق بكل الامكانيات مع عدم المطالبة بأى وضع سوى التضامن العربى ٠ بل أن الجمهورية العربيـــة المتحدة طالبت أن يؤجل الحديث عن « الوحدة » و « الاتحاد » الى أن تتبلور مشيئة شعب العراق وتترك له الفرصة الكاملة بعد السنوات الطويلة من كبت نورى السعيد ٠

وكانت عبارات الرئيس عبد الناصر واضحة « ان الثورة فى العراق مازالت بعد فى أيامها الاولى وأمامكم فى الداخل أعباء لابد من مواجهتها ولابد أن تتفرغوا لها ولا يشغلكم عنها شىء ٠ واعطاء العراق فرصة كاملة مفتوحة لايقيدها أمر واقع تقرر الآن ـ أن وقوفنا صفا واحدا لمواجهة العدوان لهو أقوى مراتب الوحدة ٠

وأكد الرئيس هذا المعنى مرة أخرى حين قال : « إن القوميـــة العربية والوحدة العربية هما أولا : التضامن العربى وان الصـــور الدستورية ليست لها قيمة بجوار التضامن المخلص الصادق ٠ وأن الوحدة الدستورية لايمكن أن تتم الا باجماع كامل على طلبها » ٠

وكان الغرض من المقارنة بين الوحدة والاتحاد فى الوقت الذى طلبت فيه ـ الجمهورية العربية المتحدة أن لايبحث هذا ـ تهدف الى احداث انقسام فى شعب العراق ٠

وقد جعل الاستعمار الخلاف بين عارف وقاسم محـاولة ماكرة للقضاء على القومية العربية ـ وعزل العراق عن الجمهورية العربيـة المتحدة من ناحية وعن القومية العربية من ناحيـة أخرى ٠ ودبرت المؤامرات ضد القومية العربيةوالجمهورية العربية بتزييف الشعارات

واقصاء انصار القوميـــة العربية على النفوذ والسلطة وبالمحاكمات والمجازر وانفرد عبد الكريم قاسم بالحكم .

وقد رسم خطته التى سار عليها منذ أول الثورة عـلى النـحو الآتى : —

١ — فصل العراق عن القومية العربيـــة وعن أى وحـــدة أو اتحاد .

٢ — ضرب العناصر القومية التى تؤمن بأن العراق جزء من الوطن العربى .

٣ — مهاجمة الجمهورية العربية المتحـدة وكيـل الاتهـــامات لهـــا .

٤ — القضاء على قادة ثورة ١٤ يوليو بالقتل أو السجن والحكم بالاعدام على عبد السلام عارف قائد الثورة الفعلى .

٥ — الحكم على رشيد عالى الكيلانى بالاعدام وحلق شعر رأسه والباسه الرداء الاحمر — واتهام ثورته التى قامت بهـا عام ١٩٤١ بأنها « مؤامرة استعمارية صهيونية » .

٦ — رفض كل محاولة للارتباط مع الدول العربية .

٧ — الاصرار على التجزئة فى تأكيده عبارة «الجمهورية العراقية الخالدة » واعتبارها الكيان النهائى الذى يراه مستمرا .

٨ — اصدار التصريحات الخداعة للاستهلاك المحلى : كتصريحاته عن فلسطين بينما رفض التعاون مع الجمهورية العربيـــة المتحدة عندما احتشدت اسرائيل وقواتها على حدود الاقليم الشمالى .

٩ — ضرب الفكرة العربية بفكرة الشعوبيين والانفصاليين .

١٠ ـ تأييد فكرة الاستعمار فى الدعوة (للهلال الخصيب) بضم سوريا والاردن ولبنان لبلبلة الفـكرة العربيـــة (تصريحاته فى ١٤ يوليو سنة ١٩٥٨) ٠

١١ ـ التقارب من الدول التى تدور فى فلك الغرب كالاردن وايران وموقفه من اعتراف ايران باسرائيل (أغسطس سنة ١٩٦٠) معروف ـ وقد واجه العراق حكم عبدالكريم قاسم بمقاومة مستمرة لم تتوقف وكانت ثورةالشواف ومحاولات اغتيال قاسم له والانقضاض عليه دليل أكيد على معارضة العراق لهذا العهد ٠

***

وهكذا يمكن القول بأن دور « عبد الكريم قاسم » هو استمرار وامتداد لدور « نورى السعيد » فى مختلف عناصر اتجاهه (١) ضمان بقائه فى الحكم يتوقف على بقاء الاستعمار فى المنطقة (٢) تيار القومية العربية الزاحف يهدد مركزه ولذلك فهو يعمل على تصفية القوميين العرب واطفاء مراكز الاشعاع العربى ٠

والرأى السائد أن استمرار الوضع فى العراق كما هو الآن غير ممكن : ذلك ان جذور القومية العربية القوية فى الشعب العراقى ليس من السهل اقتلاعها ٠

وتوجد الآن فى العراق قوى رئيسية أربعة : قاسم وأعوانه الانجليز وأنصارهم : شيوعيـــو العراق ، القوميـــون العرب ، والقوميون العرب بالرغم مما وجه اليهم خلال هذين العامين من ضربات أقوى هذه القوى ٠ وقد عجلت حركات الشيوعيين ومذابحهـــم فى الموصل وبغداد وكركوك بعزلهم عن شعب العراق ، ثم تحـــول عبد الكريم قاسم عنهم ٠

وحكام العراق اليوم مجموعة من العملاء والانتهازيين الذين لايهمهم بعد أن أبعدوا العناصر الوطنية ـ سوى البقاء فى الحكم ولو اقتضى الامر السير فى ركاب الاستعمار وقد أدركوا أن مهاجمة القومية العربية وعداءها هو السبيل الذى يدفع القوى الاستعمارية الى المحافظة على كيانهم وتدعيمه .

وما زالت العراق مرتبطة باتفاقات ثنائية مع بريطانيا ولم تنفصل عن حلف بغداد الا اسما وقاعدة الحبانية مازالت قاعدة للطيران البريطانى .

وبعد فان موقف الجمهورية العربية المتحدة باعتبارها قاعدة للقومية العربية تتمثل فى رأى الرئيس جمال عبد الناصر بالنسبة للعراق (١٩٦٠/٢/٨) ـ « ان الاخوة بين الشعوب العربية أقوى وأوثق من أن تؤثر فيها ظروف أو اعتبارات طارئة ، ولقد يحدث فى بعض الاحيان أن تقوم الأزمات والخلافات بسبب تصرفات بعض القادة ولكن الاخوة العربية تحل فى نهاية الامر كل المشاكل مهما بدت عويصة ومستعصية . وأنه لا خلاف بين الشعب العربى فى العراق وبين الشعب العربى فى الجمهورية العربية المتحدة » .

مراجع الجزائر والعراق

١ ـ خطاب الرئيس فى ١٩٦٠/١٢/٢٤

٢ ـ من كتاب وحى العروبة لعبد الرحمن البزاز ص ٥٢ بتصرف

٣ ـ كتاب (هذه قوميتنا) للبزاز

٤ ـ محمد حسنين هيكل ـ الاهرام ١٩٥٩/٤/٢

« ١ »

انتفاضة القومية العربية

تعم العالم العربى

كان طبيعيا بعد أن حملت « ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ » لواء القومية العربية وتحقق قيام أول اتحاد فى تاريخ الامة العربيةبقيام الجمهورية العربية المتحدة فى فبراير عام ١٩٥٨ أن تعم الانتفاضة العربية العالم العربى كله ٠ وقد كانت خطوات اليقظة العربية متصلة شاملة فقد قامت ثورات فى العراق والجزائر ولبنان وتونس ومراكش والسودان والاردن ٠ كما قامت ثورات مقاومة فى الخليج العربى وعمان ٠ وقد كشفت الانتفاضة العربية عن تجاوب واضح فى فهم القومية العربية وتطلع الاجزاء المحتلة الى الحرية ، والخروج من الاحلاف وتصفية القواعد الاستعمارية والقضاء على أعوان الاستعمار وعملائه والغاء الاقطاع وعوامل التجزئة ٠

وساندت الجمهورية العربية المتحدة جميع حركات المقاومة والتجمع فى العالم العربى ٠

وتتمثل هذه الانتفاضة فى ثلاثة أهداف كبرى : ـ

١ ـ الحرية : بالقضاء على الاستعمار ٠

٢ ـ الوحدة : بازالة الحواجز المصطنعة ٠

٣ ـ تحقيق العدالة الاجتماعية ٠

وترسم الجمهورية العربية المتحدة بخطواتها فى سبيل الحرية والوحدة وبناء المجتمع « الاشتراكى الديموقراطى التعاونى » الصورة التى يتطلع اليها العالم العربى ممثلة فى الاتحاد القومى الذى وصفه

الرئيس جمال عبد الناصر بأنه «الطريق لاعادة بناء مجتمعنا بالقضاء على الخلافات الطبقية والتناحر الحزبى » مع القاعدة الاحساسية التى تقوم عليها القومية العربية وهى « نحن لانستورد العقائد ونرفض كل نظام مفروض ·

وقد أعلنت الجمهورية العربية المتحدة على لسان رئيسها منذ اليوم الاول مساندة كل حركات التحرر « على جمهوريتنا أن تتحمل مسئولية انها قاعدة للحرية » ·

وقوله : ان القومية العربية والوحدة العربية ، دعوة التحرر لكل بلد عربى من الاستعمار وأعوان الاستعمار ·

وقوله : ان القومية العربية انما هى حركة بناءة · انما هى ثورة سياسية وثورة اجتماعية وأنها تملك عقيدة متطورة تنبع من قلوبنا ومن تجاربنا ، تنبع من ماضينا ومن حاضرنا وليست مستوردة من الخارج ·

لقد كانت معركة فلسطين هى بؤرة الانتفاضة العربية وهى الخطر الذى نبه القومية العربية الى العمل فى سبيل التجمع والوحدة الكبرى وقيام الجمهورية العربية المتحدة · ثم كانت ثورة الجزائر التى امتدت سبع سنوات كاملة فى سبيل تحرير هذا الجزء من الوطن العربى ومقاومة حملات الابادة والادماج · وحققت الانتفاضة العربية قيام ثورة العراق التى انحرفت عن غايتها ·

ومنذ فجر الانتفاضة العربية تغيرت خريطة العالم العربى على النحو الآتى : -

** استقلال ليبيا ١٩٥٣

** ثورة مراكش ١٩٥٣

** ثـورة تونس ١٩٥٤

** ثورة الجزائر ١٩٥٤

** استقلال الســــودان ١٩٥٦

** استقلال مراكش والمغرب ١٩٥٦

** ثورة الســـــودان ١٩٥٨

** ثورة لبنـــان ١٩٥٨

** قيام الجمهورية العربية المتحدة ١٩٥٤ وتجربة الوحدة مع سورية .

** ثورة العـراق ١٩٥٨

١ ـ انتفاضة الاردن وانتكاسها

يبدأ تاريخ الاردن فى نهاية الحرب العالمية الاولى عندما تحولت المنطقة التى كان يطلق عليها (متصرفية الكرك) فى عهد السلطة العثمانية ثم متصرفية (السلط) بعد الحرب العالمية الاولى فقد رأت بريطانيا انشاء امارة فى هذه المنطقة تكون منفصلة عن سوريا وعن فلسطين كقاعدة استراتيجية لها وجعلتها تابعة للمندوب السامى البريطانى فى فلسطين . واعترفت بالامير عبد الله بن الحسين حاكما عليها . ثم اصبحت امارة شرق الاردن مملكة بعد أن أضاف الملك عبد الله الاجزاء الفلسطينية التى استولى عليها خلال حرب فلسطين وعدل اسمها الى المملكة الاردنية الهاشمية « ديسمبر سنة ١٩٤٨ »

وفى خلال حياة الملك عبد الله فى الاردن من عام ١٩٢٠ الى أن قتل فى القدس ٥ تموز (يوليو) سنة ١٩٥١ لم يتوقف عن التآمر على الامة العربية فى سبيل مطامعه الشخصية وتوسيع نفوذه وخدمة الإستعمار .

وقد جعلت المعاهدة التى عقدها مع بريطانيا فى عام ١٩٢٨ ، ومعاهدة ١٩٣٦ ـ بعد ضم أراضى فلسطين جعلت « الاردن » مستعمرة اذ أعطت بريطانيا حق اقامة قوات مسلحة فى شرق الاردن وتعهد صاحب الجلالة الاردنية ألا يجند ولا يقيم ولا يسمح أن يجند أو يقام فى شرق الاردن قوة حربية أو عسكرية دون موافقة الانجليز .

وقد حمل الملك عبد الله لواء الدعوة الى مشروع سوريا الكبرى واشترك مع نورى السعيد والعرش الهاشمى العراقى فى محاولة تنفيذ الوحدة البريطانية .

وكانت محاولة الملك عبد الله تتجه الى توحيد أجزاء سورية

الطبيعية تحت حكم بريطانيا ثم وسع مداه من بعد وطالب بضم العراق (الهلال الخصيب) وقام الملك عبد الله بهذه الدعوة بعد انهيار فرنسا وانقسامها أثناء الحرب العالمية الثانية وقاومت سوريا ولبنان والمملكة السعودية هذا المشروع ٠

رفضت سورية المشروع لانه يرمى الى استبدال حكم سوريا الجمهورى بحكم ملكى ومايستتبع ذلك من انسحاب معاهدات الاردن مع بريطانيا على سورية ٠ وقاومت المملكة السعودية المشروع بدافع عدم قيام دولة هاشمية قوية على حدودها الشمالية ٠

وقد ظهرت نوايا الملك عبد الله واضحة فى معركة فلسطين (١٥ مايو « آيار » ١٩٤٨) حين دخل العرب المعركة لتحريرها ٠ فقد كلف الملوك والرؤساء الملك عبد الله بقيادة المعركة ووكل الملك عبد الله قيادة المعركة الى الجنرال جلوب ٠ ووقعت الخيانات المعروفة اذ لم يلبث الملك عبد الله أن انسحب من اللد الرملة ٠ وكشف مواقع الجيش المصرى ومنع دخول الجيش العراقى المعركة ٠ وأعلن نفسه ملكا على عموم فلسطين ٠ (كانون الاول ١٩٤٨) ووقع اتفاقية الهدنة مع اسرائيل وتنازل لها عن أجزاء هامة ٠ ودعا الى توطين اللاجئين فى البلاد العربية مخالفا بذلك اجماع العرب وطالب بتوقيع صلح دائم مع اليهود ٠ وفاوض اسرائيل سرا ٠ والحق الضفة الغربية بالمملكة الاردنية وأجرى انتخابات نيابية فى الضفتين ، وسارعت بريطانيا الى الاعتراف بالوضع ٠ وكان ذلك نهايته ٠

ولم يكن الجيش الاردنى الذى أطلق عليه (الفيلق العربى) منظمة عسكرية بل أداة ضغط سياسى بيد بريطانيا حققت به القضاء على ثورة رشيد الكيلانى (١٩٤١) وتسليم فلسطين لليهود (١٩٤٨) وكانت تنفق عليه مليونى جنيه فى العام وتختار رجاله من العشائر ٠

وبالجملة فانّ انشاء امارة الاردن واختيار الملك عبد الله لهـــا بهذه الصورة انما كان مقصودا به حماية ظهر اسرائيل فى فلسطين واقامة خط دفاع عن الصهيونية ومقاومة الانتفاضات القومية العربية اذ تؤلف منطقة الاردن حلقة الاتصال البرى بين خليج البصرة والبحر المتوسط ٠

ولقد ظلت بريطانيا تضغط على الاردن بعد مقتل الملك عبد الله فتخلصت من الملك طلال الذى أبدى معارضة شديدة لخطط بريطانيا ولا سـيما مشروع سـورية الـكبرى ، وحاول التقرب من مصر وسورية ٠

فأعفى فى ١١ آب (أغسطس) ١٩٥٢ وعين حسـين ملـكا على الاردن مع مجلس وصاية ٠

وقد سارع الانجليز فأشعروا الملك الجديد بحاجته الى حمايتهم حين حملوا اسرائيل على اقتحام الاردن فى هجوم قبية الغادر (تشرين الاول سنة ١٩٥٣) ثم عقدت معه معاهدة العون المالى سـنة ١٩٥٤ ومشروع الاتحاد الموحد لموارد مياه نهر الاردن الذى حاولت بريطانيا تنفيذه بواسطة أريك جونسون وعارضته الدول العربية ٠

وقد حاولت بريطانيا فرض حلف بغداد على الاردن حين زار تمبلر رئيس أركان الجيش البريطانى عمـان فى (كانون الاول ٠ ديسمبر سنة ١٩٥٥) ٠

وقد واجهت تمبلر ثورة عنيفة اضطرت الملك الى الاسـتجابة لقوتها العارمة التى بلغت قوتها حين أقصت جلوب (٢ آزار ١٩٥٦) واجلاء الجيوش الانجليزية عن الاردن وتولى على أبو نوار قيادة الجيش الاردنى وتعهد الدول العربية للاردن بتعويض معونة بريطانيـا ٠ وارتبط الاردن بمعاهدات دفاعية مع مصر وسورية وجرت انتخابات

تشرين الاول ، أكتوبر ١٩٥٦، التى كشفت عن فوز أحزاب التحرر العربى والوحدة العربية وألف سليمان النابلسى الوزارةفى تشرين الاول سنة ١٩٥٦ ٠

وفى عهدها وقعت اتفاقية التضامن العربى بين السعودية ومصر وسورية (١٩ كانون الثانى ١٩٥٧) بدفع نفقات الجيش العربى الاردنى التى تدفعها بريطانيا (٥ر١٢) مليون جنيه سنويا لمدة عشر سنوات ٠ ووقعت الاردن مع بريطانيا اتفاق ١٣ أزار بالغاء معاهدة سنة ١٩٤٨ وتصفية القواعد البريطانية فى الاردن ٠ غير أن هذه الانتفاضة العربية لم تلبث أن انتكست ٠

فقد بدا ضغط أمريكى بريطانى على الاردن وصل الى قمته فى نيسان سنة ١٩٥٧ حين عرض مشروع ايزنهاور ورفضت حكومة النابلسى وقبله الملك حسين وتحرك الاسطول السادس على أثرمؤامرة وهمية ٠ وادعت أمريكا انهاتهب لنجدة الاردن وحمايةمن الشيوعية ٠ وتحطم الموقف العربى فى عنف : حلت الاحزاب وأعلنت الاحكام العرفية وعزل الضباط الوطنيون ووقف حاكم الاردن ضد القومية العربية فى طريق طويل مازال ممتدا الى اليوم ٠

وأصبح الاردن بؤرة الرجعية العربية وأصبح الملك حسين أكبر عملاء الاستعمار والصهيونية فى المنطقة حيث حمل لواء تصفية قضية فلسطين وذلك بتحويلهاالى قضية لاجئين،والتآمر للقضاء نهائيا على اللاجئين بتوطينهم داخل الدول العربية وخارجها ٠

وقد عمل الملك حسين مع باقى عملاء الاستعمار فى المنطقة لواء مقاومة خطة القومية العربية والوحدة العربية حيث أقام مع العراق « الاتحاد الهاشمى » بعد قيام الجمهورية العربية المتحدة غير أن

سقوط الاسرة الهاشمية فى العراق قد حطم جبهـــة التآمر ومحور (عمان ــ بغداد) .

وما زال الاردن يقاوم الوضع السياسى الذى فرضه الاستعمار فى عدة انتفاضات وحركات مقاومة مستمرة تزعج أعوان الاستعمار ويتحفز لضربة قاضية يحقق بهـــا حريته عودته الى لواء القوميـــة العربية .

(٢) انتفاضة لبنان

***

عاشت لبنان حركة القومية العربية فى العصر الحديث مشاركة فى كل معاركها وثوراتها . ويرجع الى لبنان فضل اليقظة الثقافيــة العربية الاولى التى حملت لواء الدعوة الى القومية العربية كما انتظمت الجمعيات السرية والمنظمات المختلفة التى اشتركت فى الثورة العربية الاولى . وواجهت مع سوريا الاستعمار الفرنسى وقاومته حتى تحقق الجلاء عنها عام ١٩٤٧ .

وقد عمد الانتداب الفرنسى الى تفريق عنصرى الامة لعزل لبنان عن القومية العربية كما حرص على أن يدعى أنه يحمل لواء حمــاية النصارى الكاثوليك فى الشرق . وبأن الموازنة ليسوا عربا بل هم أبناء الدولة الرومانية الشرقية . ومحاولة الايقاع بين عناصر الشعب اللبنانى ، غير أن لبنان حرصت دائما على مقاومة هذا التيار فى سبيل المحافظة على الوحدة .

وقد عقدت طوائف لبنان عام ١٩٤٣ ميثاقا قوميا لبنانيا اعترف بحدود لبنان القائمة كدولة عربية مستقلة على « ألا يكون مقرا لدولة استعمارية ولا ممرا لها » وينص الميثاق على المحافظة على الاستقلال وصيانة سيادة الوطن بالتعاون بينهم على اختلاف طوائفهم ونزعاتهم على عدم ربط لبنان بعجلة أى جهة أجنبية .

وفى عام ١٩٥٢ مرت بلبنان مرحلة انحراف بعد انتخاب كميل شمعون رئيسا للجمهورية اذ سارت حكومته على نهج يختـــلف عن مضمون الميثاق القومى اللبنانى اذ انحاز عن خطة الحياد بين المعسكرين واستشرى الفساد فى جهاز الحكم ووقع عدد من المواقف المريبة : ـ

١ ــ عدم تحديد الحكومة لموقفها بالنسبة لحلف بغداد ٠
٢ ــ تميع الموقف بالنسبة للعدوان الثلاثى على مصر ٠
٣ ــ حماية الحكومة للحزب القومى السورى ٠
٤ ــ قبول مشروع ايزنهاور ٠
٥ ــ التعاون مع الاستعمار الغربى وساسة العراق ٠

وقد عمل الحزب القومى السورى على مقاومة اتجاه القوميــــة العربية فى لبنان بقتل الصحفى المعارض «نسيب المتنى»فى ٩مايو سنة ١٩٥٨ فكان ذلك شرارة الثورة اللبنانية العربية التى شملت لبنان كله ٠

***

• هدم كميل شمعون الميثاق الوطنى اللبنـــانى وفرق بين المواطنين وخلق مخاوف وهمية مريبة بين لبنان والجمهورية العربية المتحدة ٠ وسمح بأن يكون لبنان مركزا لتدبير المؤامرات ضد مصر وسورية ، واتخذ أعوان بريطانيا من بيروت مركزا للتآمر ضـــد القومية العربية ٠

وأطلق العنان للصحف الموالية للغرب ولدول حلف بغــداد لمهاجمة السياسة التحررية التى تسير عليها الجمهورية العربية ٠ ووضع المصريون والسوريون والفلسطينيون تحت الرقابة الشديدة ٠ ودربت العناصر المناهضة للحكم الوطنى فى سوريا وسلحت بقصـد اثارة الاضطرابات ٠ كما جعل لبنان مركزا لتهريب الاســـلحة الى القبائل والعناصر الموالية للدول الاستعمارية فى سوريا ٠ واتصل هذا باثارة النزعات الطائفية وأوهم الطائفة المسيحية بأنها مهـددة دائما ببطش المسلمين حتى تضطر الى الاعتماد على الدول الاستعمارية كالحزب القومى السورى وحزب الكتائب ودفعهما للتحرش بالطوائف

الاخرى • وقبل مشروع ايزنهاور سنة ١٩٥٧، مما وضع لبنان تحت سيطرة الاستعمار الامريكى مباشرة • وعقد اتفاقات سرية مع امريكا تمنحها الحق فى استخدام ميناء بيروت وميناء الجونة وانشاء طرق عسكرية •

كما عمل على اعادة ترشيح نفسه لرئاسة الجمهورية • ولما كان الدستور اللبنانى لايجيز لشخص واحد الترشيح لرئاسة الجمهورية مرتين متتاليتين لجأ شمعون الى زيادة عدد النواب من ٤٤ الى ٦٦ حتى يضمن أغلبية الثلثين منهم فيتمكن من تعـــديل الدستور وقد زور الانتخاب لصالح الاشخاص الذين رشحهم • وقسم الدوائر بالطريقة التى تخدم رجاله ، وحمى الدعارة والاستغلال •

وكان مقتل الصحفى اللبنانى « نسيب المتنى » قمة هـــذه التصرفات التى دفعت الى اندلاع الثورة فى أوائل شهر مايو ســنة ١٩٥٨ باسم الانتفاضة العربية القوية التى كان شـــعارها مقاومة التسلط السياسى والاستبداد الذى تقوم به حكومة انفصـــلت عن الشعب وعارضت القومية العربية واندفعت وراءالاستعماروأهدافه فى عزل مصر والعدوان على سوريا وتحطيم أهداف الثورة العربيـــة الكبرى المندفعة فى قوة جبارة •

وقد بدأت الثورة اللبنانية فى صورة اضراب شامل امتدطوال فترة الثورة ، غير ان الحكومة قاومت الانتفاضة وعاونها الاستعمار على ضرب المقاومة الشعبية • ارتفع عدد الضـــحايا الى ثلاثة آلاف قتيل وجريح ، بين كل مطلع شمس وغروبها • دماء لبنانية جديدة تراق ، وأرواح لبنانية جديدة تزهق ، مؤسسات وممتلكات لبنانية تدمر •

كما بلغت خسائر لبنان المليونين من الليرات فى اليوم الواحد

وهبطت واردات الجمارك من ٢٥٠ ألفا ليرة فى اليوم الى عشرة آلاف • وضربت عشرات الدور الآهلة بالسكان فى بيروت وطرابلس بقنابل المدفعية •

وفى ١٥ يوليو ١٩٤٨ نزلت القوات الامريكية فى بيروت محتلة لبنان بطلب من حكومة شمعون كاجراء تعسفى بعد ثورة العراق •

وقد استطاعت ثورة لبنان أن تحرر ثلاثة أرباع لبنان من حكم الطغاة وحطمت حكم العملاء فى المنطقة • واعلنت دعاوى باطلة بالتسلل من حدود سوريا • وكذبت الامم المتحدة هذه الدعاوى وأثبتت أن أسلحة الثوار اللبنانيين انجليزية وفرنسية وايطالية • وأنها نفس الاسلحة التى يستعملها جيش لبنان ورفض جيش لبنان أن يضرب الوطنيين فاستعان بالجيوش الاجنبية •

وقال البطريرك بولس المعوشى : ان لبنان لن تكون مقرا أو ممرا لجيوش المستعمرين •

وقاومت شملان وعنياب وعاليه والباروك ونبع الصفا وعين زحلتا وبعلبك وطرابلس وزعزتا وحيدا وصور وبيروت •

وكانت ثورة لبنان جزء من الانتفاضة العربية القومية واعلانا لمقاومة اتجاه الغرب واحلافه وعملائه وأساليبه فى اضطهاد الصحافة واغتيال الاحرار وتزوير الانتخابات ونشر الفساد واثارة النعرات وتسليح العصابات وتحريض الطوائف • وكشفا عن وجه لبنان الحقيقى فى استجابته للقومية العربية •

ولقد كان لبنان عضوا حيا فى جميع حركات الثورات التحريرية والمقاومة العربية التى شهدها لبنان وكانت تضم المسلمين والمسيحيين جنبا الى جنب فمنذ عام ١٩١٣ عقد فى باريس أول

مؤتمر عربي حضره ثمانية من الشخصيات العربية : ستة من لبنان منهم ٤ مسلمون و ٢ من المسيحيين ·

ولكن فرنسا في عهد الانتداب استطاعت أن تخلق طبقة ترتبط مصالحها بمصالح الاستعمار وشهرت سلاح الطائفية في وجه كل حركة تحريرية فقال بعض هؤلاء : فرنسا أما وراعية ثم تركوا فرنسا وعملوا مع بريطانيا: ثم عملوا مع أمريكا وشوهوا العلاقات بين سوريا ولبنان محاولين الفصل بينهما · كما شجعوا التجـــارة مع اسرائيل عن طريق اعوان الاســـــتعمار في لبنان ـ كما حرص الاستعمار على احباط المفاوضات الاقتصادية التي دارت بين ســورية ولبنان ثلاثة عشر عاما ·

وفي الوقت الذي حطمت الانتفاضة العربية عملاء الاســتعمار في بغداد كانت قد حطمتهم أيضا في لبنان وبذلك انفسح الطريق امام الانتفاضة العربية لتلتئم الاجزاء العربية وتتلاقى ·

* * *

صور صائب سلام وكمال جنبلاط موقف الانتفاضة اللبنانية من القومية العربية :

(١) من مذكرات صائب سلام ـ قائد ثورة لبنان :

الانتفاضة اللبنانية تنبثق من صميم الشعب اللبناني الثائر عـــلى الطغيان والفساد والاستعمار · واذا كان من سبب مباشر لاذكاء نار هذه الثورة فهو في تدخل الدول الغربية وعمالها ـ خصوصـــا ـ أمريكا وبريطانيا في شئون لبنان ومحاولة فرض سياستهم في كل صغيرة وكبيرة · لقد تتبع كميل شمعون خطوات نوري الســـعيد وحسين الاردن ، فاراد ان يرهبنا بقواه الشريرة بعد ان فشـــلت سياسة الرشوة والاغراء · حاول كميل شمعون ان يستعمل سلاح التفرقة الذميمة الذي أورثنا اياه المستعمر ودربه على اســـتعماله

فباءت مساعيه بالفشل • ووجدنا فى مقدمة من وقف فى وجهه الشيخ الجليل غبطة البطريرك المارونى ماربولس المعوشى الذى قضى على الفتنة واشاع المحبة والالفة

وقد حاول كميل شمعون ان يلجأ الى تدويل الازمة اللبنانية وهى ازمة وطنية داخلية محضة الاتمت لخارج لبنان بأية صلةففشل أيضا فثورتنا لبنانية ونحن لسنا مع الغرب ولامع الشرق ولا نريدان نستعدى أحدا او ننحاز الى احدا على اساس ميثاقنا القومى ١٩٤٣•

(٢)من مذكرات « كمال جنبلاط »

* لقد رأيت صورا للبطولة لاانساها • صور شبان يذهبون الى الموت • وكأنهم ذاهبون الى حفلة عرس • مارأيت ابا يبكى على ابنه القتيل ولا زوجة تبكى على زوجها الشهيد• ولا أن تدمع عينيها على ولدها الوحيد وكانت حفلات الدفن أشبه بحفلات العرس كلها اغان وزغاريد •

* بدأت المعركة بخمسة رجال • ثم تحول كل جبل الدروز الى جيش كبير كان كثير منهم قد اشتركوا فى ثورة الدروز عام ١٩٢٥ وبعضهم اشترك فى جيش التحرير فى فلسطين •

* لماقتل كميل شمعون الصحفى الحر « نسيب المتنى »طلبت الجماهير الانتقام من القاتل • حاول أن يستغل النزعات الطائفية• بدأت الثورة فى لبنان باضراب ناجح استمر ثلاثة شهور • استعمل كميل شمعون الرصاص فى صدور الاحرار • انهالت الاسلحة على عصابات الخيانة •

* آلاف المواطنين كانوا يتدفقون فى كل لحظة من كل الاحياء عمال وصناع فقراء فى حاجة الى كل شىء • جاءوا يقدمون حياتهم ، الجزار حضر ومعه الساطور • النجار حضر بالازميل والمنشاروقطع

الخشب • البناء حضر ومعه عربات الطوب والحجارة • الحداد جاء يجر قطع الحديد • وجاء الشيخ الذى جاوز الستين يحمل مدفعا رشاشا •

* بدأ حفر الخنادق فى جميع شوارع بيروت لمنع دخول المصفحات والدبابات كانت العلمية الاولى هى التحصن بالخنادق والمتاريس والاسلاك الشائكة وأكياس الرمل واندفعت آلاف الشباب والشيوخ تعمل • الاخت تساعد شقيقها والام تحمل أكياسها لابنائها الاب يقف للحراسة • الاطفال ينقلون الاحجار الصغيرة بأيديهم الصغيرة •

* جرى الاستيلاء على أكبر عدد ممكن من الاسلحة من قوات شمعون • جرت خطط فى محاولات اغتيال يستخدم فيها سلاح جديد يشبه القلم الرصاص للفتك بأى زعيم فى أى اجتماع عام •

* النساء يزغردون من أعلى البيوت • والرصاص ينهمر بمجرد استيلائنا على المصفحتين • ميادين المعركة فى طرابلس والشوف والهرمل وبعلبك • انتصاراتهم لها اثر فى الروح المعنوية فى معركة بيروت •

* فى ١٦ تموز (يوليو) ١٩٥٨ دخلت القوات الامريكية الى لبنان • اتفقت قوات الشعب مع قوات الجيش التى لم تحارب فى صف شمعون على مقاومة القتال • الجيش كان يريد مقاومة الاستعمار منذ وضع قدمه مع قوات المقاومة • اتفق شهاب مع الجيش • وصائب سلام مع المقاومة •

* رفضوا انذارا الامريكا فى احتلال منطقة (تلة الخياط) بأى ثمن ، انها اعلى نقطة تشرف على بيروت كلها وهى قريبة من مواقعنا ومعنى تركها اننا سنكشف كل منطقتنا العسكرية •

* قال شهاب لصائب سلام : اثنان فى لبنان يستحقان وساما

من جمال عبد الناصر انت وانا ، لقد الهمنا الله الحكمة فى اجتياز عاصفة نزول القوات البريطانية .

* قال شهاب لمورفى: انتم تقولون أن جمال عبد الناصر أضر بلبنان وهذا صحيح لان جمال عبد الناصر أعلن ثورة على الفساد والرشوة وحقق الاصلاح والاستقلال لمصر . فبدا الشعب اللبنانى يفيق . بدا يرى أن من حقه أن يتمتع بحكم عربى نظيف . بدا يرى أن حكامه يجب أن يتمثلوا بجمال عبد الناصر .

ولقد صور الرئيس جمال عبد الناصر موقف الجمهورية العربية المتحدة من لبنان باعتباره جزء من الامة العربية فى حديث له مع عادل عسيران بعد انتفاضة سنة ١٩٥٨ .

« اننى أريد أن يظل لبنان بلدا مستقلا وأريد له أن يتمتع بسيادته : اننا نحترم المسيحيين اللبنانيين كل الاحترام فهم الذين ادخلوا الطابع العربى الى مصر وهم الذين حفظوا لنا لغة القرآن . كل ما أريده من لبنان الا يستخدم قاعدة للمؤامرات ضد الوطنيين وضد الجمهورية العربية المتحدة »

وهذا مفهوم القومية العربية كما يصوره « كمال جنبلاط »

« للقومية العربية معنى حضارى أوسع من المعنى الوطنى الضيق ، فالقومية العربية حضارة لغة وتقاليد وجامعة حياة اقليمية واحدة مهما تنوعت فيها الاقاليم واطار تاريخى وجغرافى يستوعب تيارات الحضارة التى تفد الينا من كافة الامصار التى تحيط بنا ، الغرب والشرق الاقصى لتكون بعد انصهارها فى هذه البقعة الفريدة من هذا العالم ، هذا التآلف الجامع المانع بالامكانيات والتى حاولت ونجحت فى محاولة الحضارة الاسلامية الاولى عند انطلاقها وعندما اقامت على انقاض الحضارة اليونانية . حضارة لا تقل عن هذه الاخيرة روعة وانتشارا بل ان هذه الحضارة الاسلامية توافر لها ان تضع الشعوب العربية فى المستوى الحضارة اكثر بكثير مما استطاعت الحضارة اليونانية الآفلة » .

(٣) ثورة السودان

***

كانت ثورة السودان التى قام بها الجيش السودانى فى ١٧ نوفمبر سنة١٩٥٨ ثورة وطنية خالصة، منبثقة من صميم الانتفاضة العربية التى تمثلت فى تحرير الوطن العربى والتى وجـــدت فى « الجيش » الامل الباقى بعد تصارع الاحزاب وايصالهم الوطن الى هوة سحيقة من الصراع والتجزئة وقد كانت ثورة السودان شبيهة السمت بالثورة المصرية والثورة العراقية فى مظاهرها ونتائجهـا واهدافها ٠

وما يقوله الفريق عبود قائد ثورة السودان من أسباب لثورة السودان يمثل تماما ما يقع فى جميع اجزاء الوطن العربى : قال «منذ عام بدأ واضحا أن الفساد فى السودان قد استشرى فوصــل بنا الى حالة من الكساد والمظالم لا يمكن السكوت عليهــا وكانت الاحزاب هى السبب وشاركتها فى المسئولية الحكومات المتعاقبـــة وصبرنا لنعطيهم الفرصة لعلهم يصلحون من أنفســـهم ٠ وذهبت حكومة وجاءت حكومة وشكل برلمان وتعطل آخر ثم اضـــطربت الافكار وحدث انقسام خطير بين أبناء الشعب السودانى قـــادته اليه الحزبية الغشوم ٠ واضطربت الافكار وعمت الفوضى واصبح الشعب يعيش فى حالة مقلقة من التوتر والبلبلة والضيق ٠ وكان لابد ان يخرج الشعب منتصرا من هذا كله فكانت الثورة التى قدناها ٠

وقال اللواء أحمد عبد الوهاب : ان تشكيلات سرية عـــديدة قامت فى الجيش بعد ان تدهورت أحوال الحكم من سيء الى أسوأ ٠ سيطر كبار الضباط على هذه التشكيلات لكبح جماحها وتوجيهها

كان الهدف والسيطرة على التشكيلات السرية هوالوصول الى اجماع مطلق • وقد بلغت روح التذمر أقصاها فى أول العام الماضى لذلك نشطت حركة الثورة حتى تكفل للبلاد حكما يؤدى للاستقرار والرخاء
ان فكرة الثورة كانت تراود الاذهان منذ العهد الاستعمارى ولكن بزوغ فجر الحرية جعل الفكرة تتوارى وهى تتبلور بعد • فلما كان عهد الاستقلال بدأت الامور تسير وفق مطامع السياسة وضد مصالح الشعب • ظل الجيش يرقب الموقف آملا أن تستقيم الامور ولكن الاحوال كانت تتدهور من سيء الى أسوأ لتبث روح التذمر فى صفوف الجيش ودفع الفساد والفوضى بالثورة الى المسرح مرة أخرى • ان روح التذمر بلغت اشدها فى مستهل العام الماضى ونشطت الحركة الثورية فى صفوف صغار الضباط حتى بلغت مرحلة خطيرة ادت الى محاكمات التمرد المعروفة • وقد حاولنا ان نكبح جماحها • ثم قامت حكومة ائتلافية متنافرة • وخان النواب أمانة الشعب • ومن يومها لم تنم البلاد ليلة واحدة مستقرة • وكلما دفع الشعب ثمن انتهازية الساسة والمستوزرين من رخائه وحريته ، كلما الحت الفكرة على الرؤوس • فاتخذنا قرارنا الحاسم • وقررنا اعطاء فرصة واحدة للحكومة القومية لعلها تكون مخرجا للبلاد من محنتها ولكن النتيجة كانت انتحولت المناورات الحزبية الى مؤامرات وكان لابد أن نتدخل •

* * *

وقد بدأتهذه الثورة باعلانالعملعلى ازالة الجفوة بين الجمهورية العربية المتحدة والسودان • وبحل جميع الاحزاب السياسية وانقاذ البلاد من براثن الحزبية البغيضة والقضاء على الفساد والمحسوبية ونقل السلطة الى يد الشعب السودانى الذى هو جزء من الوطن العربى والقضاء على الفساد والرشوة واستغلال النفوذ •
وقد كان الجيش السودانى صادق الوطنية طوال حياته السياسية • لقد حارب ضد الاستعمار عام ١٩٢٤ وكان له ابطال

وقادة منهم على عبد اللطيف كما حارب فى فلسطين وكان ابراهيم عبود على رأس الحملة التى انتصرت على الايطاليين فى ارتريا ٠

وكانت الروابط بين مصر والسودان قوية عميقة ربطها منذ القدم النهر الخالد ومضت فى كفاح متصل حتى عمد الاستعمار البريطانى الى الفصل بينهما باقامة سياسة منفرة تقطع الصلات وتحول دون دعمها وقد سعت بريطانيا منذ اليوم الاول للاستعمار فى مصر بتمزيق هذه الوحدة وقد رتبت خطتها الاجرامية توطئة لان تنفرد هى بالسودان وبالرغم من الثورة السودانية كانت مرتبطة بالثورة العرابية فى اول الامر فان الانجليز انتهزوا فرصة سيطرتهم على مصر فارغموها على اخلاء السودان وقيلت الكلمة الخالدة : اذا تركنا السودان فان السودان لايتركنا ٠

وصنع الانجليز مؤامرة الاخلاء والعودة وهى من ابرع المناورات الاستعمارية ومضوا يوغرون بها صدور اخواننا فى الجنوب اذ يصوروننا امامهم بصورة المستعمر والمحتل ثم أوسعوا الهوة بين الشمال والجنوب ٠

وتولت بريطانيا ادارة السودان وعزلت مصر عن عنه ٠ واصبحت مسالة السودان صخرة تتحطم عليها كل مفاوضات الجلاء عن مصر ٠ وظل الموقف كذلك حتى بدأت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، فاعلنت انها ستحل مسالة السودان قبل حل مسالة الجلاء عنها ٠ وقد تحقق هذا فعلا وتم جلاء الجيش البريطانى عن السودان واعلن جمهورية مستقلة فى ٢٠ ديسمبر ١٩٥٥

وقد ظهرت الجفوة المفتعلة فحالت دون الترابط بين الجمهورية العربية المتحدة والسودان بفعل مؤامرات الاستعمار مع الاحزاب السياسية وحدثت عدة مواقف حاول الاستعمار ان يحطم بها الروابط التاريخية الاكيدة بين القطرين فى مجال القومية العربية ٠ ولكن

ثورة ١٨ نوفمبر ١٩٥٨ قطعت السبيل على كل هذه المؤامرات وضمت السودان مرة اخرى الى موكب القومية العربية .

وقد نادت ثورة السودان بالحياد الايجابي واخذت تتبع سياسة عربية واضحة المعالم فى سبيل اقامة روابط اقتصادية وسياسية تتفق مع طبيعة العلاقة بين دولتى النيل . وقد تم عقد الاتفاقية بين السودان والجمهورية العربية فى ٨ نوفمبر ١٩٥٩ التى حققت .

(١) الاتفاق على الانتفاع بمياه النيل .

(٢) الاتفاق بشأن التجارة والدفع .

(٣) تنظيم الجمارك بين البلدين

وتم على اثر ذلك زيارة الرئيس ابراهيم عبود للجمهورية العربية وزيارة الرئيس جمال عبد الناصر لجمهورية السودان . وكان استقبال الشعبين للرئيسين صورة صادقة للرابطة الطبيعية التى لم يستطع الاستعمار بالرغم من مؤامراته خلال اكثر من سبعين عاما على فصمها أو تحقيق التجزئة والانفصالية .

وقد ظهر ذلك جليا عندما بدأت مؤامرات بريطانيا ان اجابت حكومة السودان بأن مياه النيل امر يخص السودان والجمهورية العربية المتحدة وان بريطانيا لايحق لها أن تقحم نفسها فى الامر .

وتاريخ السودان والجمهورية العربية كان منذ مئات السنين كفاحا مشتركا من اجل الحرية والاستقلال . وقد امتزج الدم العربى والسودان فى فلسطين ومعارك الحرية .

واكدت الجمهورية العربية والسودان : العمل على استرجاع حقوق شعب فلسطين والنضال من أجل تحرير الجزائر وجميع شعوب أفريقيا . ومقاومة الاستعمار بكل صورة باعتباره خطرا داهما يهدد حياة الامة العربية .

(٤) الجناح الافريقى للوطن العربى

فى ركب الانتفاضة العربية

* * *

ـ ليبيا ـ

قاومت ليبيا فى كفـــاح طويل منذ (١٩١١ ـ ١٩٤٣) فى خلال اكثر من ثلاثين عاما الاستعمار الايطالى ٠ وواجهت فى خلال هذه الفترة صداما عنيفا ٠ فقد كانت ايطاليا تؤمن بنفس النظرية الفرنسية التى تعتبر ليبيا امتدادا طبيعيا لها ٠

لذلك فانها عمدت الى محاولة ادماج هذه المنطقة بالقوة ٠وفرض مجموعة ضخمة منالايطاليين عليها مع اقصاء اصحاب البلد الاصليين عن أراضيهم الى الصحراء كمحاولة لافناء العنصر العربى وقد فقدت ليبيا (طرابلس وبرقة وفزان) قرابة مليون من الانفس فنزل عدد سكانها من مليونين الى مليون واحد فى الحرب والمجاعات التى منى بها هذا الجزء من الوطن العربى كما حاول الاســـــتعمار تغريبها بمختلف وسائله : فرض لغته وحاول تجزئة المناطق الثـــلاث وكان لابطال طرابلس عمر المختار ورمضان السويحلى وصالح الاطبوس وعبد الحميد العبار جهادهم فى ميدان المقاومة ٠

وقد كانت ليبيا فى خلال الحرب العالمية مجال صراع عنيف بين جيوش المحور وجيوش الحلفاء ودارت على أرضها معارك بالغة الخطر٠ وانتهت باحتلال جيوش فرنسا الحرة للقســم الجنوبى (فزان) ثم احتلت الجيوش البريطانية القسم الشمالى الشرقى الــذى تقع فيه مدينة بنى غازى (برقة) ٠ واحتلت بريطانيا القسم الباقى الذى تقع فيه مدينة طرابلس الغرب (ليبيا)

وفى خلال الحرب الف الليبيون جيشا اشترك مع الحلفاء فى الحرب ضد ايطاليا مكونا من ١٤ الف نفس و ١٢٠ ضابطا خاضوا جميع المعارك التى دارت فى الصحراء الغربية وما ان انتهت الحرب حتى قام صراع انجليزى فرنسى امريكى على ليبيا • كانت بريطانيا تتمسك بولاية برقة لتضغط على مصر وفرنسا بولاية فزان لتضغط على تونس وقدم مشروع بيفن سفورزا لتقسيم ليبيا بين ايطاليا وبريطانيا وفرنسا • غير ان الولايات المتحدة لم تلبث ان تدخلت لمصلحتها حيث كانت تتطلع الى ليبيا كقاعدة رئيسية على البحر الابيض وتمكنت من احتلال مناطق حربية استراتيجية فى اماكن جديدة فى برقة •

وزحف النفوذ الامريكى من ولاية طرابلس الى ولاية برقة واصبح لامريكا فى ليبيا قواعد

(١) ملاحة جوية فى طرابلس

(٢) قاعدة منطقة هون المخصصة لقاذفات القنابل الذرية

(٣) مطار غار يونس فى ولاية برقة •

(٤) مطار كمبوت بالقرب من الحدود المصرية

وقد عقدت ليبيا بعد استقلالها معاهدة مع بريطانيا فى ٢٩ يوليو ١٩٥٣ لمدة عشرين سنة على اساس « الدفاع المشترك »تحقق مزايا استراتيجية وعسكرية • ولبريطانيا بمقتضى هذه المعاهدة الرقابة الكاملة على الطائرات والسفن والسيارات التى تدخل المناطق المحتلة او تخرج منها وتدفع بريطانيا ٣٫٧٥٠٫٠٠٠ جنيه سنويا الى ليبيا مساعدة لميزانيتها

وقد اكتشف البترول فى ليبيا بكميات وافرة وخاصة فى اقليم فزان وتعتبره الدول ـ الغربية بمثابة مخزون احتياطى لدول أوربا وقت الحاجة اذا ماتوقف بترول الشرق الاوسط •

ولا شك ان كان للمقاومة السياسية الليبية التي قام بهـــا بشير السعداوى أثرها الكبير في سبيل تحرير ليبيا واستقلالهـــا استقلالا كاملا في وحدة تامة مما ادى الى فشل مشروع تجزية ليبيا وتقسيمها - غير ان الاستعمار استطاع تمزيق وحدة هذه المقاومـــة والقضاء على جوانبها المتحررة باعتقال بشيرالسعداوى ونفيهالىخارج ليبيا وتشريد اعوانه الوطنيين الذين كانوا يطالبون بوحدة الاجــزاء الثلاثة ·

وتتطلع ليبيا اليوم الى القومية العربية وحركات التحرر العربى لمقاومة القواعد والاستعمار الثلاثى · وكان لليبيا موقفها الحاســـم اثناء العدوان الثلاثى فى منع بريطانيا من استخدام قواعدها فى العدوان على مصر واشتراكها فى مؤتمر القمة الافـــريقى بالدار البيضاء ·

تونس

* * *

قاومت المنطقة العربية الواحدة التى تكونها تونس والجـزائر ومراكش منذ وقعت تحت سلطان الغزو الفرنسى ١٨٣٠ وكـــانت الجزائر اولى المناطق التىوقعت تحت الاحتلال ومنهاانقض الفرنسيون على جارتيها تونس ومراكش ٠

وقد حرص الاستعمار الفرنسى على اقامة حواجز ضخمة تحول بين التقاء الجناح الافريقى للوطن العربى بالعرب فى مصر وآسيــا فأغلقها اغلاقا محكما ٠

ونظرا لان تونس اقرب هذه المناطق الى الشرق العربى فان الاستعمار الفرنسى قد ركز عليها تركيزا خاصا وحاول ان يوجههـا وجهة فكرية مغربة فى الاقليمية والانفصالية عن الامة العربية ٠

كما فرض عليها مؤامرات استعمارية متعددة : كالتجنيـــس والاستيطان وفرض سيطرة اقتصادية وثقافية بعيدة المدى فاستولى الاجانب على معظم الاراضى الصالحة والثروات واراضى الاوقـــاف الاسلامية ٠

ولم تلبث حركة المقاومة ان انبعثت فى قوة بقيادة على باش حمبه والبشير صفر وعبد العزيز الثعالبى والشيخ السنوسى وكانت الثورة الفكرية التى انبعثت عن طريق الصحف بعيدة الاثر بعـــد معارك المقاومة التى قدم فيها الشعب التونسى صفوة ابطاله وشبابه٠ ثم ظهرت الحركة العمالية التى كانت ركنا هاما من اركان المقاومـة الوطنية بقيادة محمد على القابسى وفرحات حشاد

وكانت حركة المقاومة فى واقعها مرتبطة بالقومية العربيـــة والاتجاه الى الشرق العربى وقـــد قام الشيخ عبد العزيز الثعالبى بزيارة متعددة وجولات متوالية فى العالم العربى وكانت دعـــوته الى تحرير تونس من الاستعمار الفرنسى مرتبطة بالوحدة العربية التى هى ملاذ الامة العربية من تسلط الاستعمار ومظالمه .

وقد واجهت تونس بمقاومتها ضغطا اســـتعماريا وارهابا بالغا ومع ذلك فقد وقفت فى وجه فرنسا ورفضت محـاولاتها الى فرض مبدأ الســـيادة المشتركة بقيادة محمد شنيق ـ ولقد كان الكفاح العربى فى الجناح الافريقى للوطن العربى يستهدف الوحدة بين الاجزاء الثلاثة : تونس والجزائر ومراكش . غير ان الاستعمار الفرنسى حرص على أن يفصل أيضا بين هذه الاجزاء وان ينظـــم استعماره فى كل جزء منها على نحو مختلف امعانا منه فى تمزيق الوحدة المغربية .

ولما كانت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ قاعدة للانتفاضة العربيـــة وطليعة لها ، فان المغرب بأجزائه الثلاث هب يقاتل عن كيانه فى معارك شملت تونس والجـــزائر ومراكش حيث بدأت الثورة فى تونس ثم امتدت الى مراكش ١٩٥٤ بعد اقصاء الملك محمد الخامس عن العرش والتى امتدت حتى فبراير ١٩٥٦ عندما اضطرت فرنسا الى اعادة السلطان ومنح مراكش الاستقلال .

كما أعلنت الجزائر فى نهاية عام ١٩٥٤ ثورتها الشاملة على الاستعمار ، هذه الثورة الحربية المنظمة التى هزت فرنساواضطرتها الى الاسراع فى تجزئة الثورة المغربية فى مراكش وتونس بمنحها الاستقلال . وذلك فى محـــاولة لعزل تونس ومراكش عن ثورة الجزائر التى كانت قد بلغت حدا من القوة لم تكن فرنسا تتوقعه .

المغرب « مراكش »

* * *

تمثل المغرب « مراكش » أدق أجزاء الوطن العربى لوقوعها على البحر الابيض والمحيط الاطلسى وبها جبل طارق ٠ وهى أقرب المناطق العربية الى أوربا ٠ وترتبط بتاريخ الاندلس ٠

ولقد واجهت مراكش احتلالين : اسبانى وفرنسى وقاومتهما مقاومة حرب وقتال ومقاومة كفاح سياسى ووطنى ٠ وبالرغم من تضافر الاستعمارين فى جبهة واحدة لتمزيق وحدته فى ظل استعمارين مختلفى الاسلوب والثقافة فان المغرب استطاع أن يحتفظ بمقومات العروبة فيه وان يدافع عنها ٠

يقول القائد الفرنسى جيوم : لم تأت الينا أية قبيلة دون قتال مرير وما خضعت لنا قبيلة واحدة قبل ان استنفذت آخر وسائل المقاومة ٠ واذا كان يهمكم ان تعرفوا الوسائل النذلة التى لجأت اليها فرنسا فى محاربة المراكشيين فهى تسميم الآبار وحرق الغلال وتدمير القرى على أهلها الابرياء ٠

وقد بذل المراكشيون أرواحهم الغالية للحفاظ على صخور جبالهم الفقيرة ٠ كان النساء فى ساعات الحرج الى جانب الرجال يوزعن الماء والزاد تحت القذائف الحاصدة ويحملن الجرحى ويأخذن مكان المستشهدين فى خطوط النار ٠ كان الرجال حين لا يجدون ماء ولا طعاما يستسلمون الى الموت ولا يستسلمون الى العدو ٠

ولقد بدأت مقاومة الاستعمار فى المغرب قبل الاحتلال الفرنسى ، عندما احتلت الجزائر أحس أهل المغرب بالخطر فاندفع الجيش العربى فى المغرب الى انقاذ مدينة تلمسان من الاحتلال الفرنسى ٠ كما ساعدت المغرب الامير عبد القادر الجزائرى بالسلاح والمال فى حربه ضد

الفرنسيين وقد هاجمت قوات فرنسا مدن المغرب فى غارات انتقامية ونشبت معارك طاحنة بين الفرنسيين والقوات المغربية كما هاجمت سفن فرنسا الحربية مدينتى طنجة والسويرة واثارت الفتن والقلاقل داخل المغرب حتى تتخذ من ذلك ذريعة لاحتلالها باعتباره تهديدا لحدود الجزائر ·

وفى عام ١٩٠٢ نظم الاستعمار الفرنسى نفسه وقسم غنائمه فمنحت عدة اتفاقات بين ايطاليا وفرنسا على تبادل احتلال المغرب وطرابلس وبين فرنسا واسبانيا على احتلال المغرب وبين فرنسا وبريطانيا ١٩٠٤ أن تطلق كل منهما يد الاخرى فى المغرب ومصر ·

وقد بدأ احتلال المغرب (مراكش) ١٩١١ حيث زحفت الجيوش الفرنسية على مدينة فاس عاصمة البلاد وفى نفس الوقت نزلت الجيوش الاسبانية على الساحل الشمالى وفرضت معاهدة ٣٠ مارس ١٩١٢ واحتلت فرنسا الجزء الجنوبى واسبانيا الجزء الشمالى وبقيت مدينة طنجه (دولية) تسيطر عليها بريطانيا وقد استهدف الاستعمار تفتيت الوحدة المغربية الى اقامة ثلاث دول وحماية فرنسية واسبانية ودولية ·

ولم تلبث المقاومة المغربية أن بدأت بالكفاح المسلح ، قامت بقيادة البطل ماء العينين واستمرت حتى تحولت الى ضرب شامئة ١٩٢٠ بقيادة الامير عبد الكريم الخطابى فى منطقة الريف الاسبانية لم ينهزم فيها المغاربة الا بالغدر والتآمر حين اتفق الاسبانيون مع الفرنسيين على فتح جبهة أخرى وتحولت المعركة الى قتال مع الاسبانيين والعرب ومع ذلك فقد صمدت القوات المقاتلة حتى نفدت ذخيرتها وزادها ·

وفى عام ١٩٣٠ بدأ الكفاح الوطنى السياسى حيث قامت كتلة العمل الوطنى تدعو الى ايجاد وحدة ادارية وقضائية فى المغرب كله

واصطدمت بالفرنسيين واعتقل قادتها . ثم نشأ من بعد حـزب الاستقلال وفى ١٩٤٥ انضمت الحركة العمـالية المنظمة الى المقاومة الوطنيـة وأيد الملك محمد الخامس القوى الوطنية وتحدى قـوى الاستعمار وامتنع عن توقيع أية عقوبة ضد المجاهـدين الوطنيين وكانت أبرز مواقف هذه الفترة زيارته لطنجـه (ابريل ١٩٤٧) باعتبارها جزءا لايتجزأ من الوطن المغربى . وقد أحدثت فرنسـا مجزرة رهيبة فى طنجة ذهب ضحيتها آلاف المـواطنين وذلك حتى تحول بين الملك وبين زيارتها ومع ذلك فقد ذهب الملك الى طنجـة وأعلن ان المغرب جزء لا يتجزأ من العـالم العربى وطالب بحقه فى الحرية والاستقلال .

ومن زعماء هذه المرحلة علال الفاسى وأحمد بلافريج والمهدى ابن بركة وعبد الخالق الطريس ومحمد الوزانى وكان موقف الملك محمد الخامس الحاسم فى طنجه بداية معركة بينه وبين الاستعمـار بعد أن رفع بنفسـه راية الـكفاح وأيد القوى الوطنيـة العاملة فى الميدان .

وقد إثارت فرنسـا على الملك والحركة الوطنية الباشـوات الاقطاعيين من أعوانها وفى مقدمتهم « الجلاوى » باشا اقليم مراكش

وجرت محاولة خلع السلطان الاول ١٩٥١ وتهديد الملك وقد رفض الملك استنكار الحركة الوطنية والاعتقالات التى قامت بهـا السلطات المغتصبة .

وفى هذه الفترة وقعت الاحزاب المختلفة ميثاقا بعدم التعاون مع فرنسا الا على أساس قبول مبدأ الاستقلال التام وعدم تمسكها بالحماية .

ثم عادت فرنسـا فنفذت مؤامرتها وخلعت السـلطان فى (اغسطس ١٩٥٣) الذى رفض طلب فرنسا بالتبرؤ من الحـركة

الوطنية . ولم تلبث الثورة ان اندلعت فى المغرب كله قوية عارمة واجهت طغيان فرنسا التى زحفت بجيوشها على سفوح جبال الاطلسى ودكت قرى كاملة فى مراكش الوسطى ودمرت المنازل وسجن الفرنسيون الوف الوطنيين وعذبوهم بأفظع وسائل التعذيب وقتلوا المجاهدين رميا بالرصاص (فظائع ٣٠ أغسطس ١٩٥٥) وقد امتدت هذه الثورة فى عنف واصرار وضحايا حتى اضطرت فرنسا الى اعادة الملك (مارس ١٩٥٦) وانهاء وضع الاحتلال واعطاء المغرب حقه فى الحرية وانشاء جيش وطنى قومى .

وقد قدمت المغرب فى هذه المعركة أكثر من ٦٠ الف شهيد غير أن هذه الانتفاضة قضت على الجلاوى وسحقت أنصاره من أعوان الاستعمار (ولقد حاولت فرنسا ان تعزل ثورة الجزائر بمنح الاستقلال لتونس والمغرب ولكن ذلك لم يحل دون توحيد المقاومة فقد اخترق الحدود عدد كبير من المجاهدين الذين اشتركوا فى حرب الجزائر وما زالوا يحاربون فالحركة التحررية واحدة بين تونس ومراكش والجزائر مهما حاول الاستعمار عزلها وهى تنشد الحرية والوحدة .

واجهت المغرب نفس المعارك التى واجهتها تونس والجزائر من محاولات الادماج ومحو الشخصية الوطنية واضعاف الجنسية والفصل بين الجزئين المنصهرين : العرب والبربر وفتح باب الاستيطان والهجرة الاجنبية وتجنيس الجماعات المختلفة المهاجرة كالمالطيين والايطاليين والاسبانيين بجنسية الدولة المحتلة .

وقد قاوم المغرب هذه المحاولات ورفض هذه الدعاوى واهمها دعوة « المشاركة » التى حاولها الفرنسيون بعد دعوى « الادماج » وقد رفض المغرب فكرة الانضمام للوحدة الفرنسية واعلن انه يختلف دينا وجنسا ولغة وروابط تاريخية وكيانا سياسيا عن فرنسا .

وكان من أبرز مـــؤامرات الاســتعمار التى كانت فى نفس الوقت معارك النضال صدور الظهير البربرى (مايو ١٩٣٠)والذى عمل على : (١) ادخال القبائل البربرية فى دائرة اختصاص المحاكم الفرنسية فى كل ما يرجع للقضايا الجنائية (٢) احــلال الاعراف القبلية محل الشريعة الاسلامية فى مســائل التجــارة والميراث والحالة المدنية ٠

واستهدف الظهير البربرى : اخطر برنامج استعمارى لمقاومة اللغة العربية والقومية العربية ٠

وواجهت الحركة الوطنية الاستعمار بالمقاومة الفعالة ومحاربة المبشرين والانتفاعيين والطرقيين حتى لايجد الاستعمار من يعتمــد عليهم ٠

وقد عاشت المقاومة الوطنية فى تونس والجزائر ومراكش فى حمى منهج القومية العربية الواضح المعـــالم ٠ وقد كانت السدود والقيود التى وضعها الاستعمار الفرنسى ليحـــول بين التقاء اجزاء الوطن العربى عاملا فعالا فى دعم هذه الروابط وازدياد قوتهـــا ٠ وفى تونس كتب عن القومية العربية عبد العزيز الثعـــالبى وفى الجزائر : عبد الحميد بن باديس والبشير الابراهيمى ٠ وفى المغرب كان « علال الفارسى » ابرز كتابهـــا ٠

وقد دعا الى تنسيق الكفاح العربى « ليتحقق تكوين «الشمول» فى التفكير العربى حتى لا يبقى اقليم من اقاليم الامة العربية ينظر لصالحه الخاصة وحدها وهو فى الحقيقة جزء من صالح عـــام عربى وحينئذ يتسنى للجامعة العربية ان تسوق السبعين مليونا من العرب كخطيرة كفاح قوى من اجل التحرر الكامل والانبعاث العظيم »ويربط علال الفاسى بين المغرب العربى وثورة العرب ١٩١٧ « كان المغرب من جملة الاسباب التى بلورت سياسة الحلفاء العربية فى شكل ثورة هاشمية على الترك لان ذلك من شأنه تقوية معنويات الشعب المغربى

الذى يتعلق دائما بالشرق » ويقول : لقد كان المغرب متعلقا بالمشرق ويرى فى سلوكه القدوة التى يجب ان تتبع والمنهج الذى ينبغى ان يسير هو عليه ».

وان المغرب وسوريا ارتبطا منذ عهد بعيد : عندما هاجر الامير عبد القادر ــ الجزائرى وهاجرت معه جالية كبيرة من الجزائر الى سورية · وعندما نفذ التجنيد الاجبارى فى الجزائر ١٩١٢ هاجر من نواحى تلمسان ٨٠٠ عائلة الى سوريا ومصر حين رفضوا أن يدخلوا الحروب تحت علم غير علم العرب والاسلام ·

ويقول : على فرنسا ان تعرف اننا لم نخلق منعزلين · واننا جزء من غير العالم الذى يفرضونه علينا · اننا جزء من عالم العروبة والاسلام · نريد ان نأتلف ونتحد مع العرب والمسلمين · مع عالم تجمعنا به ارض واحدة ومستوى واحد · وهو امجد تاريخا واكثر عددا واسهل مقصدا ·

ويصور مدى جذرية اتجاه القومية العربية فى العمل الوطنى الذى شمل المغرب كله بعد الحرب العالمية الاولى يقول : جعلنا نفكر بضرورة ربط مصيرنا بمصير البلاد العربية وضرورة العمل على تعاون مجموعة الدول الافريقية الآسيوية على مقاومة المطامع الاجنبية فى وطننا · وقد وصلنا الى هذا بعد التهافت الدولى العظيم على المغرب العربى من الاستعمار الفرنسى والاوربى من جهة والامريكى من جهة اخرى وهما يتزاحمان على كسب مناطق النفوذ فى بلادنا ·

وتحدث عن محاولة الاستعمار الفرنسى لتفتيت الوحدة المغربية بين بربر وعرب فقال : المغاربة امة واحدة تكونت منذ اقدم العصور من مختلف الدماء والاجناس · امتزج فيها الدم العربى والبربرى والافريقى واللاتينى واليونانى والجرمانى والسلافى والآسيوى كل

ذلك امتزج وكون هذا الشعب الذى ينطق اليوم بالعربية ويـــدين بالاسلام ٠

ويتحدث عن اللغة : لغتنا القومية والدولية هى اللغة العربية ، واذا كانت بعض قبائلنا لا تزال محتفظة بلهجات محلية فان ذلك لا يغير شيئا من الحقيقة ، وهى عدم تأثير ذلك على حب اللغة العربيـــة واكبارها باعتبار انها لغة الدين والوطن والادب ٠

روابطنا التاريخية تجعلنا نعتز بماض واحد مشترك الى حد انه لا يمكن لفرد ان يكتب تاريخ تونس دون ان يتحدث عن الجزائر ولا تاريخ مراكش دون ان يتحدث عن الاثنين

نعمل الآن على ان تكون الوحدة المغربية حقيقة واقعة والبلاد العربية اختنا — فى اللغة والدين والروابط التاريخية والثقافية ، ويجب متى تحررنا ان نعمل معها على تكوين وحدة عربية بكل معنى الكلمة :

ويمضى المغرب اليوم فى ركب القومية العربية والوحدة العربية حيث تقوم معركة البناء والتشييد بعد الاستقلال وقوامها التعليم وتعريف الوطن وتحرر المرأة والاصلاح الاجتماعى فى ظل : (١) الايمان بالحياد وعدم الانحياز « يجب على الدول الصغرى الا تنحاز الى اى جانب من الخلافات التى تفرق بين الدول الكبرى حتى لا تقع ضحية للمنافسات الدولية »

وايمان بالقومية العربية : لقد نشر العرب فى الارض رحمـــة وعدلا وشهرها بالنعمة والفضل ومحوا منها ضلالا وجهلا ٠ عاملوا بالاحسان الجميع والتسامح الجميل والمساواة والعمل والحلم والفضل وبهذه العوامل الرشيدة استطاعت هذه الامة العربية ان تعيش مثالا من المثل العليا الانسانية ٠

(١) علال الفاسى (ك) الحركات الاستقلالية فى المغرب : ١٩٤٨

وقد اخذت الشعوب العربية تتخلص من آثار التدهور الذى اصيبت به فى العصور المتاخرة وشعرت بما جرت عليها الفرقة والاختلاف من ويلات .

وصور الملك الحسن الروابط الواضحة بين ثورة المغرب والانتفاضة العربية حين قال فى خطاب استقبال الرئيس جمال عبد الناصر لجلالته فى يوليو ١٩٥٧ : ان المغرب المستقل لم ينل استقلاله الا فى عام ١٩٥٦ لمدين شخصيا ولصحبكم ولشعبكم على الخصوص وللشعوب العربية على العموم ما قمتم به مدة كفاحنا من اعانة جبارة قلبية مخلصة لا مصلحة لها ولا شهوة الا ان ترى بلدا شقيقا عربيا مسلما يصل الى ما يتمناه من حرية وكرامة واستقلال حتى يسهم بنصيبه هو كذلك فى بناء مستقبل الدول العربية .

وقد حققت المغرب اشتراكها فى الجامعة العربية (اكتوبر ١٩٥٨) كما تم الاتفاق مع الولايات المتحدة على جلائها عن القواعد الامريكية قبل عام ١٩٦٣ على ان تبدأ اجراءات — اخلاء مطار سيدى سليمان فى مارس ١٩٦٠ . وقد بدأت فعلا خطوات الجلاء .

وهكذا لم يتخلف الجناح الافريقى للقومية العربية عن موكب انتفاضة القومية العربية بالرغم من كل محاولات الاستعمار التى حرصت عزله عن الاجزاء الاخرى . وقد تلاقت حركات الكفاح فى المغرب العربى كله (تونس والجزائر ومراكش) ولكن الاستعمار الفرنسى لم يقف مكتوف اليدين امام المقاومة العربية بل كان ينتهز الفرصة ليضرب ضربات قوية ، يهدف بها الى قطع الصلات بين تونس ومراكش من ناحية والجزائر من ناحية اخرى ، وكانت مجازر سطيف وساقية سيدى يوسف وغيرها صور متعددة للغدر الوحشى الذى قاومت به فرنسا معارك الحرية والوحدة التى امتدت طويلا ولم تتوقف .

وقد كانت هذه الاجزاء تتطلع فى ثورتها على الاستعمار الى الوحدة والالتقاء ، فكانت انتفاضة القومية العربية التى بدأتهـــا ثورة ١٩٥٢ هى الضياء الذى الهب مشاعر الامة العربية من المحيط الى الخليج والسناد القوى الذى آزر حركات الحرية وامدها بروح الثقة والقوة ٠

كما صححت الانتفاضة العربية مفاهيم الحرية والوحدة : يقول احمد بن بلا : كنت اظن وانا اقاتل فى سبيل حرية فرنسا اننى اقاتل فى آن واحد فى سبيل حرية الجزائر ٠ ولما عادت فرنسا الى طغيانها حملت السلاح ضدها وقدت ثورة الجزائريين على حكمها الجائر ٠

لقد اعطى المغرب صورة للمقاومة العربية لانظير لها فى الاصرار والتصميم والعناد وما تزال ثورة الجزائر ترسم صورة لا حد لهـا فى الروعة ، ستبقى على مر الزمن حديث الاجيال ٠ لقد ظل المغرب كله ثائرا لم يتوقف عن الثورة ، مقاوما لم يتوقف عن المقاومة ، عاملا على تكوين وحدته الصغرى كمقدمة للوحدة العربية الكبرى ٠

انتفاضة القومية العربية

فى الاجزاء المحتلة من الوطن العربى

لكى يكمل رسم صورة القومية العربية وهى تتجه فى قــوة الى اقامة الوحدة العربية الكبرى نجد الاجزاء المتحلقة الوطن العربى وهى تكافح فى سبيل الحرية والالتقاء مع الاجــزاء التى تحررت . واذا كانت هذه الاجزاء قد واجهت من المستعمر مزيدا من العنــت والضغط والارهاب فانها على الجملة لم تتوقف عن المقاومة وقــدمت الضحايا والشهداء وما تزال تقدم وهى تجد اليوم فى الانتفاضــة العربية ممثلة فى الجمهورية العربية المتحدة سندها فى استمـــرار المقاومة .

وامامنا الآن : –

١ – جنوب الجزيرة العربية .

٢ – الامارات العربية على الخليج العربى

٣ – مشاكل التجزئة

(١) فى الجزيرة العربية: : شبوه – الشيخ سعيد – جزيرة قمران – البوريمى

(٢) فى المغرب : افنى – موريتانيا

(٣) فى سوريا : الاسكندرونة .

١ ـ جنوب الجزيرة العربية

١ ـ سلطنة لحج ٢ ـ محمية عدن ٣ ـ مشيخات الحوشى والضا لع ـ يافع العليا ـ يافع السفلى ـ الصبيحة ـ العوالق العليا الواحدى ٠ العوازل ٠ الفضيلية ٠ بيجان

٤ ـ سلطنة حضر موت القعيطية ـ سلطنة حضر موت الكيثرية ٠
٥ ـ مشيخات فشن وبئر على وعقر وحورة ٠

* * *

دخلت بريطانيا الجنوب العربى عام ١٨٣٩ بوسائل مختلفة ـ اقامة محطة تموين السفن قوة بحرية تسللت الى المنطقة٠ بث الفرقة بين القبائل وعزل المنطقة عن اليمن ٠

قسمت بريطانيا المنطقة الى امارات ومشيخات وقبائل٠ احتلت بريطانيا عدن احتلالا مباشرا ٠ ربطت المناطق الاخرى بمعاهدات تعطى لبريطانيا الحق فى وضع قوات الاحتلال وفرض المستشارين الانجليز ٠ وقد عمل الاستعمار البريطانى منذ وضع يده على هذه المنطقة على أحكام القيود وتدبير المكايد وترسيخ قدمه وهدف بريطانيا من هذا هو المحافظة على سيطرتها بمدخل البحر الاحمر من الجنوب واعتبار عدن والمحميات منطقة ارتكاز لتأمين طرق التجارة لتوسيع سياساتها الاستعمارية والسيطرة على موارد البترول الكامنة فى جنوب الجزيرة ٠

وقد كانت هذه المناطق جزءا من اليمن ثم فصلتها بريطانيا عنها ولا تزال موضع نزاع بين اليمن وبريطانيا التى عمدت الى اثارة رؤساء القبائل ضد اليمن والعمل على تكتل المحميات فى دولتين تدينان بالولاء لحكومة عدن ٠

وقد اعلنت حكومة عدن (يناير ١٩٥٤) موافقة حكام الولايات المحمية على مبدأ تكوين اتحاد يضم كافة الامارات والمشيخات التى تحف بالساحل الجنوبى للجزيرة العربية ٠ يقابله اتحاد آخر يضم ولايات الشرق يعرف باتحاد مشرق عدن ٠ يقوم على رأس كل اتحاد مندوب سامى يباشر نفس السلطات التى يباشرها الآن الحاكم العام٠

وتهدف بريطانيا من اقامة هذا الاتحاد الى ضم هذه الولايات فى اتحاد يخدر الوعى القومى بادعاء توحيدها ويمكن لبريطانيـــا فى نفس الوقت السيطرة عليها واعاقة التقدم السياسى لها وابعادها عن اليمن الام ٠

وقد قامت بريطانيا بهذه الخطوة مقاومة لتيار القومية العربية الذى سرى فى هذه المنطقة غير ان الشعب العربى فى جنوب الجزيرة قد رفض هذا المشروع اذ رأى فى هذا التكتل الصورى وسيلة لتهديد اليمن لاستكمال عزلها من جهة واحكام الضغط الادارى البريطانى مباشرة على المحميات تحت ستار هذا الاتحاد ٠

وقد بدأت الحركة التحريرية فى جنوب الجزيرة العربية منذ وقت طويل غير أنها لم تاخذ صورة واقعية الا بعد ثورة ١٩٥٢ حيث بدأت تحدد هدفها بالمطالبة بوحدة اليمن تحت حكومة مستقلة تقوم بدورها الفعال فى بناء الكيان العربى الموحد وقد نصت رابطـــة ابناء الجنوب فى ميثاق تكوينها على ان الامة العربية لها قومية واحدة فقط هى القومية العربية وان اى طريق يسلكه اى شعب عربى واى كفاح يكافحه أى جزء من الارض العربية يجب أن يتوخى مبـــادىء القومية العربية وان يكون هذا الطريق او ذاك الكفاح على اسس عربية واعتبار معاهدات الحماية والاستشارة التى عقدتها بريطانيا مع السلاطين باطلة ٠

كما أعلنت رابطة أبناء الجنوب انها تهدف الى تحرير وتوحيد

الجنوب العربى قاطبة الى عموم اليمن الطبيعيــة وضمه الى الجمهورية العربية المتحدة ٠

ثم كانت ثورة الشعب العربى فى جنوب الجزيرة العربية ابريل ١٩٥٨ فاخذت بريطانيا تشن حملات اعتقالات واسعة ضد المواطنين فى منطقة جبل حديد وداهمت السلطات ـ البريطانية منـــازل عدد كبير من الزعماء بحثا عن الاسلحة والذخائر ؛ وقد تجمع الشعب العربى رغم وسائل الارهاب ضــد مشاريع بريطانيا ٠ كما عزلت سلطان لحج على عبد الكريم بعد نزاع مع البريطانيين رفض خــلاله السلطان قبول مشاريع بريطانيا الاستعمارية معلنا ايمانه بالقومية العربية والوحدة الكبرى ٠

وقد اعلنت مانشتستر جارديان البريطانية (٢٩ مايو ١٩٥٨) ان هؤلاء الذين يؤيدون اليمن فى ضم محميــات عدن انما تكتسحهم الدعــوة للقوميــة العربيــة وحلمهم بالوحدة ليصبحوا جــزءا من الجمهورية العربية العظيمة برئاسة الرئيس ناصر ٠

ولم تتوقف الثورة على الاستعمار اذ اعلن محمد بن عيدورس فى ديار السكائدى بيــافع فى خمسة آلاف رجــل مسلح تجــــديد العهد على الكفاح ضد الاستعمار ٠ وقد رفض السلطان على عبــــد الكريم سلطان لحج الشرعى الاعتراف بشرعية قرار بريطانيا بعزله وقال ان الحكومة البريطانية لاتملك هذا الحق اطلاقا ٠

وقال « ان كل ذنبنا لدى بريطانيا اننا نعمل لنحمى استقلالنا الداخلى ونحافظ على مصالح الشعب »

وقد رفض على عبد الكريم انيكون موظفا فى الحكومة البريطانية بدرجة ملك ٠

واعلن محمد بن عيدروس ان انبثـــاق الفجر الجديد بمولد

الجمهورية العربية المتحدة قد بعث فى نفوسنا الثقة وخلق فيها الامل فى تحقيق حرية بلادنا وخلاصها من وطأة الاستعمار البغيض ٠

وقد واجهت بريطانيا هـذا التيار الوطنى العربى بالمقاومة الحربية فاقتحمت قواتها سلطنة لحج واعتقلت المئات من المجاهدين وضربت المدن الواقعة على حدود اليمن بالقنابل فهدمت مدينتى القطبة والقمشى ٠

اليمن

وقد واجهت « اليمن » قبـل انضمامها الى الجمهـورية العربية المتحدة فى اتحاد فيدرالى وبعد انضمامها الى عدوان بريطانى مستمر ذلك لانها حملت لواء الدعوة الى حق الجزء المحتل من اليمن وهـو (جنوب الجزيرة العربية) فى العودة الى الوطن الام · وقد عمـدت بريطانيا الى الهجوم المستمر على حدود اليمن لاحراجها مع شعب الجنوب · كما ارسلت قواتها المسلحة الى جزيرة (قمران) الموجودة داخل المياه الاقليمية لليمن · وقد توالى هذا العدوان خلال سنوات ١٩٥٦ و ١٩٥٧ ·

ويبلغ عدد سكان الجنوب العربى مليون نسمة يعيشون فى ثلاثين سلطنة ومشيخة وامارة ويبلغ عدد المستوطنين فى عدن ٤٠ فى المائة من سكانها وهم من الانجليز والصوماليين والهنود والطليان واليونان ·

(٢) الامارات العربية على الخليج العربى

(١) الكـــويت
(٢) جزر البحرين
(٣) شبه جزيرة قطر
(٤) مسقط ودبى
(٥) الشارقة وتوابعها
(٦) امارة عدن

واجهت الامارات العربية على الخليج العربى عدوان الاستعمار البريطانى مع نهـاية الحكم العثمانى فى أوائل الحرب العالمية الاولى ما عدا البحرين الذى احتلتها بريطانيا ١٨٢٠ • وقد ركزت بريطانيا على هذه المناطق باعتبارها الممر الرئيسى فى الشرق الاوسط ونظرا لغناها بالبترول اذ تبين ان بها نصف احتياطى العالم منه •

وقد عقدت بريطانيا مع افراد وشيوخ هذه الامارات اتفاقيات ومعاهدات تنص على قبول حماية بريطانيا لهم •

اعلنت بريطانيا انفصال (الكويت) عن الدول العثمانيـــــة (نوفمبر ١٩١٤)

احتلت بريطانيا (مسقط) اوائل عام ١٩١٤ •

فرضت بريطانيا الحماية على (قطر) ١٩١٦ •

البحــــرين

مجموعة من ثمانية جزر صغيرة فى الخليج العربى تحيط بها شبه جزيرة قطر من الشرق وارض الجزيرة العربية من الغــــرب •

وقد جعلها موقعهـا الاستراتيجى ومواردها البترولية بلدا بالـغ الاهمية فى نظر الاستعمار البريطانى وقد احتلتها بواسطة الشركة الهندية الشرقية وقد طالبت ايران بملكية البحرين وجرت بشأن ذلك اجراءات طويلة فى عصبة الامم والجامعة العربية وانتهت بأن قررت اللجنة السياسية للجامعة بان البحرين بلد عربى لا تربطه بايران علاقة تبعية من اى نوع كان ٠

وحصلت الشركات البريطانية على امتياز بترول البحرين عام ١٩٢٥ وتوصلت الى الحصول على انتاج منه يلغ مليون ونصف مليون طن كل عام وبلغ عائد البتـرول لحكومة البحـرين ٦ مليون ونصف مليون جنيه ٠ وتعد معامل تكرير البترول فى البحرين اعظم معامل الشرق الاوسط بعـد (عبدان) بايران وتكرر يوميـــا ١٥٠ ألف برميل من بترولها وبترول السعودية

وقد بدأت انتفاضة وطنية فى البحرين عام ١٩٥٦ قـــادت الشعور العربى ضـد الحكومة البريطانية وواجهتها بريطانيا بالعنف وقبضت على زعمائها وكان للبحـرين موقفها ابان معركة السويس وموقفها من وزير خارجية بريطانيا ابان زيارته لها مما يعبر عن ايمان بالقومية العربيـة والاندفاع نحـو الارتباط بانتفاضتها الممثلة فى الجمهورية العربية المتحدة ٠

ـ الكـــويت ـ

ترتبط الكويت بمعاهدات ثلاث مع بريطانيا ١٩٠٤ ، ١٩١١ ، ١٩١٣ وترجع اهميتها الى وفرة بترولها الذى يقدر بحوالى ٦٠ الف طن تستغله الشركات البريطانية والامريكية ويمتد امتيازها الى عام ٢٠٢٦ ٠

وتنص معاهدات بريطانيا الى ربط الكويت ببريطانيا مع حظر اقامة علاقات دبلوماسية مع اية دولة غيرها ٠

وقد تجاوبت الكويت مع انتفاضة القومية العربية كجزء من الوطن العربى وكان لها موقفها من العدوان الثلاثى ويصف (دون كوك) الكاتب الامريكى موقف هذه الامارات من بريطانيا والقومية العربية يقول : ان بريطانيا تجد نفسها دائمـا تتلقى الصفعات حين تسوء الاحوال فى الخليج العربى وان المنطقة لا تسلم من ضغـط القومية العربية وهذا ما برهنت عليه الحوادث التى وقعت فى الخليج العربى ابان أزمة السويس ٠ ففى الكويت نظـم البحـارة حركة مقاطعة كبيرة للعملاء البريطانيين ٠ وجمع مبلغ ضخم من التبرعات لضحايا العدوان فى بور سعيد ٠ وفى «البحرين »قامت المظاهرات والاضطرابات مدة اسبوعين كاملين ٠

وقد دفع هـذا بريطانيا الى السماح لحكام الكويت والبحرين بالتصرف فيما يطرأ من امور فى الخليج العربى او فى علاقاتهـم بجاراتهم العربيات كيفما شاءوا دون اى تدخل

ـ قطـــر ـ

تعد الامارة الثـانية فى الخليج من حيث انتاجها للبترول وهى واقعة تحت النفوذ البريطانى ويبلغ انتاجها اكثر من «مليون ونصف مليون طن سنويا ٠

وقد كانت قطر جزءا من بلاد البحرين ثم خضعت عام ١٨٧٢ لتركيا ثم تعاقدت قطر مع بريطانيا ١٨٨٢ وتجددت ١٩١٦ ثم عام ١٩٣٤ وقد دب الوعى العربى فى قطر اسوة بسائر امارات الخليج وبدأت انتفاضة القومية العربية تدفع هذه الاجزاء الى التحرر من استبداد الاستعمار المسيطر على البترول ٠

ـ مسقط ـ

تقع مسقط على السـاحل الجنـوبى الشرقى لشبه الجزيرة العربية : وتتألف من :

مسقط ومطرح والباطنة وشبه جزيرة روس الجبال ورأس الحد وظفار وهي واقعة تحت النفوذ البريطاني ويعتمد عليها في تنفيذ سياستهم الاستعمارية في هذه المنطقة وقد عمدت بريطانيا الى تشجيع سلطان مسقط في التوسع على حساب الاقاليم المجاورة . وقد احتلت قوات سلطان مسقط واحة البريمي التابعة للمملكة العربية السعودية بواسطة ضباط بريطانيين ونقط استراتيجية في عمان لتمد بريطانيا منها سيطرتها على مشيخات : ابوظبي ودبي وامارة الشارقة .

ـ عمان ـ

تقع غرب سلطنة مسقط وهي عبارة عن نقطة انطلاق القومية العربية في هذه المنطقة لانها الامارة الوحيدة المستقلة المتحررة من التبعية لبريطانيا .

وقد وجهت بريطانيا اليها عدوانا متصلا منذ ١٩٥٤ وشجعت سلطان مسقط على محاربة الامام غالب امام عمان . وساعدته بضرب عمان بالطائرات البريطانية ١٩١٧ كما قامت قوات سلطان مسقط باحتلال نزوى عاصمة عمان .

ولقد بدأت محاولة الانجليز بواسطة سلطان مسقط منذ ١٩١٣ للسيطرة على عمان وبسط نفوذها عليها .

وقد عاودت بريطانيا محاولتها في ديسمبر ١٩٥٥ حيث زحفت القوات البريطانية الى العاصمة نزوى واحتلتها عنوة فهب الشعب العربي في عمان يكافح هذا الاحتلال بقيادة ابراهيم بن عيسى الحارثي بعد اتفاقه مع الامام غالب بن علي امام عمان .

وحاول الاستعمار القبض على الحارثي فاوحى الى سلطان

مسقط ان يوجه اليه دعوة رسمية للتفاوض واعطاه عهد الامـــان ثم اعتقله وتولى الامام غالب قيـادة الثورة بنفسه واستـرد نزوى عاصمة الامامة .

وتعددت بعد ذلك غارات البريطانيين على عمان وحشـــدت بريطانيـا فى حرب عمـان امكانيات ضخمـة وأخـذت تضرب المدن والقرى من الجو بالقنابل الصاروخية لتهدمها على سكانها محاولة اقتحام الجبل الاخضر ـ معقل المجاهدين العمانيين ـ دون جدوى . ومع كل هذا العنف فان المقاومة العربية فى عمان ظلت مستمـرة لم تتوقف ومضى المجاهدون الذين اتخذوا الجبل الاخضر معقلا لهـم فى الانقضاض على مواقع الانجليز موجهين اليهـم الضربات المتوالية

وقد عجزت بريطانيا عن عزل عمان عن انتفاضة القوميـــة العربية وأزعج صمـودها فى المقـاومة الاستعمـار البريطانى الذى أحس بخطر الوعى الجديد فى منطقتى الخليج العربى والجنوب .

٣ ـ مشاكل التجزئة

(١) فى الجزيرة العربية

خلق الاستعمار البريطانى فى الجنوب العربى مشاكل : شبوه ومنطقة الشيخ سعيد وجزيرة قمران والبوريمى ٠

(١) شبوه : تبعد منطقة شبوه عن صنعاء حوالى مائة ميـــل وهى غنية بالبترول ٠ وقد كانت تابعة لليمن ثم اهملت فترة من الزمن وعندما أعادت اليمن سيطرتها عليها ـ تدخلت حكومة عدن بالاحتجاجات الشديدة اللهجة طالبة سحب حاميتها من شبوه ومنطقتها ولم تلبث أن أرسلت طائراتها الى شبوه تحمل جنودها الذين نزلوا بها واحتلوها واسروا حامية اليمن بحجة ان المنطقة تدخل ضمـــن الاراضى التابعة لحضرموت ٠ ثم تم الاتفاق على سحب القـــوات البريطانية واليمنية منها وتركها منطقة « غير ذات ادارة حكوميـــة ودون تدخل اى الفريقين فى شئونهما » غير ان الانجليز عمـــدوا الى شق طريق يصل من شبوه الى عدن كبداية لتنفيذ مشروع تعمير لربط شبوه بمنطقة معامل التكرير القائمة فى عدن ٠

(٢) منطقة الشيخ سعيد : هذه المنطقة قريبة من مدخل البحر الاحمر لمجاورتها لمنطقة باب المندب مفتاح البحر الاحمر ٠ وكـــانت المنطقة غير ذات اهمية حتى فطنت فرنسا الى اهمية المنطقة واستطاعت ان تفرض سلطانها باقامة مخازن تجارية ثم بالحماية ١٨٨٦ ثم حدث صراع على هذه المنطقة بين انجلترا وفرنسا وايطاليا وتمت ١٩٣٩ مفاوضات بين اليمن وفرنسا انتهت بان اقامت اليمن التحصينات لهذه المنطقة ، ثم قامت بريطانيا سنة ١٩٤٤ بمهاجمة هذه المنطقـة

والاستيلاء عليها . ثم سحبت حاميتها بعد الاتفاق مع حكومة اليمن الا تقيم بها اية منشئات عسكرية .

ثم تجددت الاعتداءات البريطانية على المنطقة (١٩٥٦) لاحتلال المنطقة .

(٣) جزيرة قمران : هذه منطقة ثالثة هي موضع النزاع بين بريطانيا واليمن تقع جزيرة قمران اليمنية امام ميناء الصليف بشمال الحديدة . وقد جرت بشأن جزيرة قمران مفاوضات منذ عام ١٩٣٤ بين اليمن وحاكم عدن البريطاني .

وقد عمدت بريطانيا بعد الحرب العالمية الثانية الى ادماج قضية قمران في مشكلة تعديل حدود محمية عدن كما عمدت الى العدوان على اليمن في نفس الوقت الذي توسعت خلاله في اعمال التنقيب على البترول في الجزيرة .

(٤) البوريمي : تقع واحة البوريمي شمال شرق الجزيرة العربية على الخليج العربي وتتالف من تسع قرى . وقد اقدم البريطانيون ١٩٥٦ على مهاجمة البوريمي بقوة محاربة واحتلتها وقد ظلت هذه المنطقة موضع خلاف طويل بين المملكة السعودية وقطر ومسقط وعمان

وكانت بريطانيا قد تسللت الى البوريمي عام ١٩٤٩ للكشف والتنقيب عن البترول بادعاء ان البوريمي في حدود المحميات . وقد ارادت بريطانيا من ضم البوريمي الى سلطنة مسقط ان تتخذها قاعدة للوثوب وتهديد محميات الخليج العربي لتقاوم منها انتفاضة القومية العربية

(٢) في المغرب

١ ـ افني : ادعت اسبانيا ان منطقة افني العربية الواقعة

فى الجنوب الاقصى لمراكش هى منطقة سانت كروز وقد نزلت بها الجيوش الاسبانية عام ١٩٣٤ رغم احتجاج مراكش وقد بذلت أسبانيا كل ما فى وسعها للقضاء على عروبة اقليم افنى بتحويله الى اقليم لاتينى بحت واصدرت عام ١٩٤٧ قرارا يضم هذه المنطقة الى الممتلكات الاسبانية وتجريد اهلها من جنسيتهم المراكشية ٠وعمدت الى تضليل المواطنين واغرائهم بالمناصب الكبيرة التافهة ٠

وقد قاومت افنى الاستعمار الآسبانى ١٩٥٧ ودارت بينهما وبينه معارك حامية تهدف الى التحرر من سلطانه لتعود الى وطنها الام المغرب وتحركت القوات الآسبانية لتفتك بالمواطنين فى أية عمران وتشردهم وتنزل قنابلها على مساكنهم وقراهم ٠

٢ ـ موريتانيا :

موريتانيا جزء من المغرب اقتطعها الاستعمار الفرنسى وجعلها منذ أربعين عاما جزءا من افريقيا السوداء ٠ وكلمة «موريتانيا» اسم اطلقه الرومان على المغرب الاقصى والجزائر وغرب تونس ٠ وعندما احتلت فرنسا اقليم « شنقيط » اطلقت عليه هذا الاسم ٠ وكان الغرض هو فصله عن باقى البلاد العربية باطلاق اسم رومانى عليه٠ وتعتبر موريتانيا امتدادا طبيعيا للمغرب اذ لا يوجد بينهما فاصل جغرافى ٠ وقد قاوم الموريتانيون منذ عام ١٩٠٢ وظلوا فى مقاومة متصلة كان آخرها هجمات جيش التحرير الذى قاوم الاستعمار ١٩٥٦ بقيادة زكريا بن كائن ـ غير ان الفرنسيين عمدوا الى اخضاع موريتانيا بضمها الى المجموعة الفرنسية بالرغم من ان اكثرية الشعب قاطعت الانتخابات والاغلبية التى ارغمت على التصويت كان رايها ضد التبعية الفرنسية ٠ وقد أعلنت فرنسا جمهولية موريتانيا الاسلامية (مارس ١٩٥٩) ورفضت الدول العربية الاعتراف بها٠ وما زال شعب موريتانيا يطالب بالعودة الى وطنه الام (المغرب)

الاسكندرونه :

كان لواء الاسكندرونة جزءا من ولاية حلب وفى ١٩٢١ عدلت فرنسا وتركيا معاهدة سيفر التى عقدت بين تركيا والحلفاء وبموجبها حصلت تركيا على خمسين ميلا مربعا من الاراضى السورية وآل لها حق رعاية لواء الاسكندرونه وقد ادعى حكام تركيا عام ١٩٣٦ – ان أكثرية سكان لواء الآسكندرونة من أصل تركى وطالبوا بفصله عن سوريا بالرغم من ان عدد السكان العرب اكبر من عدد السكــــان الاتراك • وفى يناير سنة ١٩٣٧ فصلت الاسكندرونه عن سوريا بموجب اتفاق خاص بين فرنسا وتركيا •

وفى نوفمبر ١٩٣٨ تم تسليم اللواء الى تركيا وشردت الاغلبية العربية الى حلب واللاذقية وفى يونيو ١٩٣٩ تخلت فرنسا عــــن الاسكندرونة لتركيا وبدأت سوريا تطالب باعادة لواء الآسكندرونة بعد استقلالها ١٩٤٥ وتوترت العلاقات بينها وبين تركيا التى انشأت باللواء قواعد جوية وبحرية وبرية نظرا لما يتمتع به من ميــــزات استراتيجية هامة • فالاسكندرونة هى الميناء الطبيعى لسوريا منذ القدم وخاصة لمنطقة حلب وشمال سوريا الغنية بحاصلاتها الزراعية والاقتصادية • وبشكل هذا الميناء خطرا كبيرا على حلب لانها تقــــع فى بروز داخل الاراضى السورية وتشرف على طرق المواصلات اليها •

ولا شك ان انتفاضة القومية العربيه التى حملت لواءهــــا الجمهورية العربية المتحدة واعلنت مساعدتها لكل حركات التحرر ستحقق تحرير هذه الاجزاء واعادتها الى الوطن الام وبذلك يتـــم الجانب الهام من هدف القومية العربية وهو تحرير الوطن العربى من الاحتلال والمعاهدات وعملاء الاستعمار حتى تتهىء المنطقة كلهـــا للوحدة الكبرى "

تواجه الوحدة العربية الكبرى

لا شك أن هناك قضايا هامة أخرى تواجه الوحدة العــربية الكبرى من اهمها : ـ

البترول والاستيطان :

١ ـ البترول العربى

قال الرئيس جمال عبد الناصر فى كتاب فلسفة الثورة ان قوة العرب تتمثل فى ثلاث عناصر الاول « الوحدة » والثانى «الموقع الاستراتيجى » والثالث « البترول » ٠

يقول يبقى المصدر الثالث وهو « البترول » الذى يعتبر عصب الحضارة المادية والذى بدونه تستحيل كل ادواتها ـ المصانع الهائلة الكبرى لكافة انواع الانتاج ـ وسائل المواصلات فى البر والبحـر والجو ـ أسلحة الحرب سواء فى ذلك الطائرات المحلقة فوق الضباب او الغواصة المستترة تحت اطباق الموج ـ تستحيل كلها قطعـــا من الحديد يعلوها الصدأ لا تنبعث منها حركة ٠٠ او حياة ٠

٠٠٠ولقد ثبت ان نصف الاحتياطى المحقق من البترول فى العالم يرقد تحت ارض ـ المنطقة العربية والنصف الباقى موزع بين الولايات المتحدة وروسيا ومنطقة الكاريبى وغيرها من بلاد العالم ٠

وثبت ايضا ان متوسط انتاج البئر الواحدة فى اليوم مـــن الزيت ١١ برميلا فى الولايات المتحدة ـ ٢٣٠ برميلا فى فنزويلا ـ ٤ آلاف برميلا فى المنطقة العربية ٠

هذه هي وجهة نظر القومية العربية فى البترول !! فما هى وجهة نظر الاستعمار ؟؟

يقول لورنس فى كتابه اعمدة الحكمة السبعة : ليست الجيوش البريطانية الزاحفة على فلسطين وسوريا والعراق الا طليعة الغـــزو الاوربى لطريق البترول ٠

وقولهم : ان قطرة من البترول تعادل قطرة من الدم :والبترول يحكم العالم ٠

وهذا هو الفهم الصحيح لموقف الاستعمار من جميع مؤامراته وعد وانه وجرائمه فى ارض العرب انه يعمل على المحافظة على البترول فى قبضة يده ٠ ان بريطانيا تكسب سنويا ١٧٧ مليون طن مـــن البترول العربى منها ٥٨ مليون طن من بترول الكويت ـ ١٢ مليون طن من بترول البحرين و ١٣ مليون طن من بترول قطر ٠

وقد ظهر اثر البترول بالنسبة لاوربا فى معركة السويس عندما نسفت أنابيب البترول فى سوريا وينفجر البترول العربى الآن٠: من العراق والكويت والبحرين وقطر والمملكة السعوديـــة وساحل الخليج الجنوبى وقـــد وقع أمراء هذه الاقطار وحـــكوماتها معاهدات طويلة الاجل للشركات التى تستغل هذه الثروات وقـــد فرضت معظم هذه المعاهدات تحت الضغط ولذلك لم تحرز الانسبا قليلة من العائدات ٠ فضلا عن ان معظم هذه العائدات لا تحقـــق للبلاد التى يتدفق منها البترول الا القليل من النتائج ٠

والمعروف ان هناك الف مليون دولار تدفع الى ملوك الشرق الاوسط والادنى كمـا ظهـر البترول وتدفق فى الجـزائر وليبيـا واشارت الابحاث الى ان ارقام الانتاج فى هذه المناطق ستكـــون عالية جدا وتزيد زيادة كبيرة عن ارقام منطقة الخليج ٠

ويرجع تركيز الاستعمار البريطانى على منطقتى الجنوب والخليج لهذا الغرض ، كما ان مشاكل شبوه والبوريمى وجزيرة قمران كان مصدرها البترول وقد كان للانتفاضة العربية اثرها الواضح بالنسبة لتحرير هذه المناطق التى ينبثق منها البترول كجزء من تحرير هذه الثروة وتعريبها وتحقيق حصول شعوب الامـــة العربية على النتائج المباشرة لهذه الثروة الضخمة

وقد عقدت عدة مؤتمرات لهذا الغرض وجرت ابحاث متعددة حول دخول البترول وتوجيهها وجهة بناءة لرفع مستوى الامـــــة العربية اجتماعيا واقتصاديا ٠

ولا شك ان لظهور البترول فى الجزيرة العربية اثره الواضح اجتماعيا وثقافيا فى نقل هذه المجتمعات من البداوة الى الحضـــارة وما يتصل بهذا من محاولة الاستعمار لاتفاق اجزاء كبيرة من هــــذه الدخول على شئون كمالية وترفيهية وفرعية دون ان تحقق نتائـــج ايجابية لرفع مستوى البلاد ٠

٢ ـ الهجرة والاستيطان

كانت سياسة الاستيطان من اخطر الاعمال التى قام بهـــا الاستعمار فى البلاد العربية ـ واستهدف بها الى تغليب القوميات الاجنبية على القومية العربية فى المنطقة٠وقد تبع الاستيطان سيطرة كاملة على مراكز الصناعة والتجارة والاراضى الجيدة ووظائف الدولة

ففى مراكش يملك المستوطنون ١٠ فى المائة من الارض المنزرعة و ٢٣ فى المائة من بساتين الاشجار ويملكون مليون هكتار من الارض يبلغ عدد المستوطنين ٥٨٩ الف فرنسى واسبانى ٠

وفى تونس يملك الآجانب ٧ فى المائة من مجموع الســـكان (فرنسيين وايطاليين) وعددهم ٢٥٠ الف اوربى ويملكون ٧ فى المائة من مساحة الاراضى ٠

وفى الجزائر يبلغ المستوطنون الفرنسيون مليون و ١٩ الف مواطن يملكون اجود الاراضى ويسيطرون على الحياة الاقتصادية ٠

وفى ليبيا يستولى الآجانب على معظم الاراضى وقـــد أجـرت ايطاليا عملية استيطان ضخمة وحرمت اهالى ليبيا من الارض الجيدة وهاجر كثير من اهالى ليبيا الى تونس ومصر والسودان ٠

وفى فلسطين طردت اسرائيل مليون مهاجر فلسطينى يسكن اغلبهم الآن فى الخيام خارج أرضهم منهم نصف مليون على الضفـة الغربية لنهر الاردن وهو الجزء الفلسطينى الذى ضمته الاردن ٠

ويبلغ عدد المهاجرين الاجانب الذين يسكنون فلسطين المحتلة مليون ونصف مليون يهودى ٠

وقد عمد الاستعمار الى ادخال مستوطنين من جنسيات مختلفة الى الكويت والبحرين ومستعمرة عدن ٠

ويواجه هذا الاستيطان هجرة اخرى اضطرارية من الوطن العربى :

١ ـ هجرة العمال المغاربة الى فرنسا (٥٠٠ الف عربى)

٢ ـ هجرة اللبنانيين والسوريين والفلسطينيين الى امريكا الجنوبية والشمالية وافريقيا (٨١٠ الف) ٠

المغاربة الذين هاجروا الى فرنسا يحترفون أخطر المهن واشقها وقد هاجروا تحت ضغط الفقر وتاثير سيطرة المستوطنين على اجود الاراضى التى سلبت من اصحابها الشرعيين مما ادى الى بطالة عدد كبير من الفلاحين كما جندت فرنسا ٨٠ الف عامل فى الحرب العالمية الاولى ونفتهم الى فرنسا ٠

اما الهجرة الشامية الى امريكا فقد بدات عام ١٨٦٠ واتسع نطاقها بعد الحرب العالمية الاولى واتجهت الى امريكا الجنوبية وافريقيا٠

ويوجد من الغرب فى قلب افريقيا (٢٠ الف) فى السنغال والسودان الفرنسى وقد خرج الشاميون المغاربة تحت ضغط نفس عوامل الظلم والفقر والحاجة ٠

وهكذا يظهر ان الهجرة والاستيطان ليسا الا وجهين لحقيقة واحدة هو محاولة الاستعمار جعل أهل الوطن العربى فى وضع منخفض ، فى نفس الوقت الذى يحصل فيه على جميع انتاج الارض وتعمد افقار السكان ليظلوا فى حالة لا تسمح لهم بمقاومته ٠

وقد كانت الفئات المستوطنة دائما حربا على القومية العربية وأصحاب البلاد الاصليين ـ وفى الجزائر حمل المستوطنون السلاح وقتلوا المغاربة فى حراسة الجيش الفرنسى الذى استعملهم لهذا الغرض ٠

صورة الغد للقومية العربية

أصبحت القومية العربية تيارا جارفا عميق الجذور بعد أن حملت لواءه الجمهورية العربية المتحدة . وبقدر ما أصبح المجرى عميقا فان قوى المقاومة تتجمع وتتكتل وترسم الخطط لتقاوم التيار القومى : ولذلك فقد كان على الجمهورية العربية تبعات ضخمة ومسئوليات كبرى باعتبارها طليعة الكفاح العربى وقاعدته . وقد أعلنت منذ اليوم الاول لقيامها على لسان رئيسها : « رائد القومية العربية » بأنها تضع كل امكانياتها من أجل مساندة الاجزاء العربية على التحرر وفى مقدمتها الجزائر وفلسطين والجنوب والخليج العربى .

ذلك انه لكى تتحقق « الوحدة العربية الكبرى » لا بد من التحرر من الاستعمار ومن أعوان الاستعمار وتحرير ثروات الوطن العربى .

لقد ظلت القومية العربية فكرة تعيش فى النفس العربية حتى وجدت طريقها فى حركة امتدت عبر السنين وقاست ألوانا من الصراع بين الاستبداد العثمانى والاستعمار الغربى فى مرحلة طويلة ذات تجارب واحداث حتى تحقق لها بعد قيام الثورة المصرية العربية فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ أن تتطور الى حقيقة واقعة حين حملت مصر الثورة لواء القومية العربية وقيام الجمهورية العربية المتحدة .

وقد ثار الوطن العربى على السيطرة والاحتلال منذ عهد طويل وقاوم كل محاولات الغزو والتسلط ، قاوم الصليبيين والتتار ، وقاوم الغزو التركى ، ووقف العرب فى فجر القرن العشرين أمام محاولات العثمانيين فى القضاء على الشخصية العربية فرفضوا أن

يستبدلوا لغتهم العربية باللغة التركية وحافظوا على كنوز تراثهم وأدبهم ولم تستطع فنون الظلم والعنف والقتل التى قام بها العثمانيون ان تردهم عن عقيدتهم وايمانهم واستطاعوا أن يتحرروا من سلطانهم .

وبمثل هذه القوة قاوم العرب الاستعمار الغربى الذى بدا يسيطر على العالم العربى قبل منتصف القرن التاسع عشر . وحقق سيطرته الكاملة على أجزاء الوطن العربى قبل نهاية الحرب العالمية الكبرى .

وكانت مقاومة الامة العربية للاستعمار الغربى بمختلف صوره والوانه باهرة فلم تنقطع الثورات عن الوطن العربى فهى تندلع فى مختلف الاجزاء ويتصل اندلاعها ، لايتوقف وفى هذه المعارك المتصلة قدموا شهدائهم .

ولم تواجه الامة العربية « الاستعمار » وحده وانما واجهت « الصهيونية » أيضا التى سمح لها الاستعمار البريطانى بأن تقيم وطنا قوميا لليهود فى أدق بقعة من مناطق الوطن العربى وابعدها خطرا : « فلسطين » !!

واستطاعت الامة العربية العزلاء من السلاح أن تواجه هذه الدول القوية الخارجة من الحرب العالمية ظافرة منتصرة .

ولقد ظاهر الاستعمار فى مقاومة الامة العربية له ، عملاء من الحكام العرب كانوا عونا للمستعمر على حرية أوطانهم ، وكانوا وسيلة من وسائل دعم الحدود المصطنعة والاقليمية وحماية عوامل التجزئة .

وقد كشف تاريخ هذه الفترة عن أن حركة المقاومة لم تتوقف بل ظلت متصلة ، وان حركة المقاومة ارتبطت بحركة الوحدة . وان



أجزاء الوطن العربي قد ترابطت رغم الحدود ، تونس ساعدت ليبيا، مصر قدمت ١٥٠ ألف جنيه ذهب لمجاهدى ليبيا ، معارك المقاومة فى تونس والجزائر ومراكش لم تنفصل ، معارك المقاومة التى خاضتها مصر والسودان ، معارك مصر وليبيا لم تنفصل ، معارك المقاومة فى المنطقة كلها لم تنفصل ، كانت الثورة تبدأ فى قطر ، ثم تنتقل الى الاقطار الاخرى ٠

وما من جزء من هذه الأجزاء تحرر الا تلفت الى الاجزاء الاخرى ليرتبط معها ٠ ولقد ارتبطت الثورات حتى بلغت غايتها فى الثورة العربية الكبرى فى ٢٣ يوليو: فقد كانت ثورة ١٩٥٢ تكملة لثورات انحرفت عن طريقها ، « فثـورة ١٩٥٢ على الصعيد العربى كانت استكمالا للثورة العربية الاولى التى قامت بعد الحرب العالمية الاولى والتى اجتمع العرب جميعا تحت لوائها من أجـل استقلال الامة العربية وقد انحرفت هذه الثورة لآن الذين قاوا بهـا انشـغلوا بتقسيم العروش والامارات ٠ وهى على الصعيد المحلى استكمال لثورة عرابى الذى خذلته الخيانة والدسائس ٠ وكانت على الصعيد الوطنى عودة بثورة ١٩١٩ الى أهدافها التى مات فى  سبيلها شباب الشهداء (جمال عبد الناصر ـ خطاب ٢٣ يوليو ١٩٥٩)

مصر العربية

ولقد كانت الحركة العربية فى طريقها الطويل تتطلـع الى القاهرة كمركز لقيادة معركة القومية العربية ٠ كان العرب دائمـا يتجهون الى مصر ٠ ويعتقدون ان مصر حينما تحمل علم القومية فان خطوات تحقيق الوحدة تبـدأ ٠ وقد ظـل العثمـانيون ومن بعدهم الاستعمار يخشى هـذا الخطر ، خطر قيادة مصر للحركة العربية ٠ ولذلك اقام بين مصر وبين تيـارات القومية العـربية حاجزا كثيفا وفرض عليها ان تقف موقفا مخالفا لموقف العرب ، وسلط عليهـا تيارات متعددة من التفكير حتى اغرقها فى طوفان من الدعوات ٠

دعوة الفرعونية ودعوة الجامعة الاسلامية ودعـــوة الرابطـة الشرقية ·

وذلك حتى يتمزق تفكيرها حول هذه الدعوات · وفى ابان المعركة الطويلة يكتب « ساطع الحصرى » فى صحف العراق عــام ١٩٣٦ داعيا مصر الى حمل لواء القومية العربية ، يقـــول : لقـــد زودت الطبيعة مصر بكل الصفات والمزايا التى تحتم عليها أن تقوم بواجب الزعامة والقيادة فى انهاض القومية العربية ، لانها تقـــع فى مركز البلاد العربية ، بين القسمين الافريقى والآسيوى منها · كما انهـا تكون أكبر كتلة من الكتل التى انقسم اليها العالم العربى بحـــكم السياسة والظروف · وهذه الكتلة قد أخذت حظا أوفر من الحضارة العالمية الحديثة ومن أهم مراكز الثقافة فى البلاد العربية وأغنى هذه البلاد جميعا وذلك مما يجعل مصر الزعيمة الطبيعية للقومية العربية»

وقد عجز الاستعمار عن حجب مصر عن القومية العربية فقـد كانت الامة العربية تتطلع الى مصر ـ فما ان اندلعت ثورتها ١٩١٩ حتى توالت الثورات ، ولما تأزم الموقف فى فلسطين استجابت مصر بقوة ، ولقد كان المؤتمر الاسلامى الذى عقد فى القدس فى ديسمبر سنة ١٩٣١ من أجل فلسطين من العوامل القوية التى جمعت العرب فى نطاق القومية العربيـة وليس أدل على ذلك من أن أهـم قرارات المؤتمر كانت :ـ

ان البلدان العربية وحدة لا تتجزأ ولا تسلم الامة العربية أبدا بتجزئتها ·

انه يجب على أبناء البلدان العربية أن يوحدوا جهودهم لنيل الاستقلال التام ولمضادة الحركات الاقليمية ·

ان الاستعمار فى كل شـكل من اشكاله مضاد لآمال العرب ومصالحهم ويجب مكافحته بكل ما أوتوه من قوة ·

وقد اشترك فى المؤتمر دول مراكش والجزائر وتونس وطرابلس الغرب ومصر وسورية وفلسطين والعراق والجزيرة العربية . وفى المؤتمر العربى سنة ١٩٣٧ برئاسة محمد على علوبة نص لاول مرة على أن حدود البلاد العربية تمتد من جبال الاطلسى فى الغرب حتى الخليج الفارسى من الشرق ومن تركيا فى الشمال حتى المحيط الهندى فى الجنوب .

وقد صور جمال عبد الناصر « مصر العربية » فقال : القاهرة التى سارعت فى النصف الاخير من القرن التاسع عشر الى فتح النوافذ لتيارات النهضة فتحولت الى قلعة للفكر الحر فى الشرق العربى ، وما لبث رواد الحرية فى سوريا ورواد الحرية فى المنطقة العربية كلها ان وفدوا اليها يتحصنون بأسوارها المنيعة ويبعثون فيها اشعاعات الفكر لتعبىء وتلهم . بل ان القاهرة تحولت فى مطلع القرن العشرين فاصبحت هى ودمشق المركز الرئيسى للجمعيات السرية التى راحت تناضل جبروت سلاطين استانبول من أجل تحرير الامة العربية .

وقد فشلت كل محاولات عزل مصر عن الوطن العربى ، هذه المحاولات التى تعددت وتمثلت فى أكثر من صورة منها توجيه مصر نحو الغرب فى تصريح اسماعيل بأن مصر قطعة من أوربا ومنها ربط مصر بالفراعنة ، وتصريحات سعد باشا زغلول بأن العرب أصفار . ورفضه ربط قضية مصر بقضية العرب . أكد علماء الطبيعة بناء على الابحاث الجيولوجية ان مصر تؤلف وحدة طبيعية من الاجزاء العربية فى سوريا ووادى الرافدين .

كما حطمت مصر محاولة الاستعمار فى أن يجعل منها حاجزا طبيعيا بين العرب فى آسيا والعرب فى افريقيا . وقد ظل تاريخ مصر يسير دائما فى مجرى مشترك مع تواريخ سائر الاقطار العربية

فى مـــــدة تزيد على الف ومائتين من السنين ولم تنكمش مصر فى حدودها الحالية الا منذ قرن واحد تقريبا .

وقد أثرت هذه العزلة الى حد ما فى مفهوم الخلاف بين العرب واليهود فى فلسطين ومحاولة حله على ضـــوء الخلاف بين المسلمين والمسيحيين فى مصر على بعد ما بين الموقفين من اختلاف بعيد المدى . ولقـد حاول الاستعمـار فى خلال هـذه الفتـرة أن يثير كثيرا من الشبهات ليحول دون قيام الترابط العربى . وقد تساقطت هـــذه الشبهات أمام الحقائق واحدة بعد الاخرى .

أكاذيب الاستعمار

وقد حمل لواء هذه المؤامرات الفـــكرية كتاب من اليهـــود والمستشرقين والاستعماريين أرادوا ان يتخذوا من البحث عن التاريخ القديم للامة العربية اثارة الشبهات وتحقيق هدف يرمى الى محاولة اعطاء اسرائيل حقا فى فلسطين أو فصل الاجزاء العربية عن بعضها الآخر . أو فصل البربر عن العرب أو السنة عن الشيعة أو الطعن فى أمجاد الامة العربية وتراثها أو التشكيك فى قـــــدرة اللغة على مواجهة الحضارة .

وقد أثار الاستعمار عشرات من هذه القضايا :

× ادعى ان اللبنانيين من نسل الصليبيين الذين احتلوا العالم العربى منـــذ ثمانمائة سنة وانهم من نسل الصليبيين الفرنسيين بالذات .

× ادعى أن البـــربر من أصـــل فرنسى ومسيحى وانهم احفاد الفرنسيين .

× أثار نزعات الشعوبية فحـــاول احيـــاء الفينيقية فى لبنـــان والفرعونية فى مصر والاشورية فى العراق .

× الادعاء بأن تونس مستقلة عن العالم العربي .
× القول بأن سوريا أمة تامة والدعوة الى وحدة سوريا .
× الادعاء بأن الجزائر ليست الا جزءا طبيعيا متمما لفرنسا .
× محاولة عزل الشمال الافريقي كله عن مصر والشرق العربي .
× ان السوريين ليسوا عربا وان كانت لغتهم العربية .

وقامت الارساليات الفرنسية والانجليزية والامريكية وحملات التبشير والصحف والكتب تحمل لواء هذه الدعوات تدافع عنها وتذيعها . واتخذ الاستعمار من بعثات الكشوف الاثرية وسيلة لتعزيز دعوته الى الحضارة القديمة وذلك حتى يحقق :-

× القضاء على القومية العربية .
× اقامة حدود فكرية بين أجزاء العالم العربي .

احياء النزعات القبلية ودعم التجزئة والاقليمية والانعزالية ولقد تكشفت المعركة عن نتائج هامة اذ فشلت كل هذه الدعوات وتحطمت واضطر الاستعمار وأعوانه ان يعلنوا مرغمين قوة المقاومة العربية واصالتها .

قال «وايزمان» : يصف زيارة بلفور لدمشق : لقد منعت المظاهرة العنيفة التي وقعت في دمشق اتمام زيارة بلفور حتى قبل أن تبدأ هذه الزيارة وأعلمتني كيف كانت الجماهير تحاول الانقضاض على فندق فيكتوريا وكيف هرب الجنرال سراي المندوب السامي الفرنسي في سوريا ببلفور وجماعته بسيارة من دمشق رأسا الى الباخرة .

فقال لورنس : ان الامثلة الفاشلة التي يقدمها التاريخ تحملنا على الاعتقاد بأن أوربا لا تستطيع أن تنقذ الشرق . فكل الجهود التي بذلتها أوربا للسيطرة على الشرق الادنى قد أدت الى الكوارث .
وقال فيلبي : ان السياسة البريطانية سلسلة من الخطط

والاعمال قامت على أساس تجاهل مشاعر العرب وعدم تفهم آمالهم، ان الانجليز عنـــدما احتلوا البوريمى عام ١٩٥٥ تكشفت سياستهم الاستعمارية فى السيطرة على عمان ٠ ان البوريمى هو الباب الذى دخل منه الآنجليز الى عمان ٠ ليس لمسقط أى حق فى امارة عمـان وليس لمسقط أى حق فى البوريمى ٠

وقال توينبى : ان الانسان يكشف عن امكانياته العظيمة وقت الخطر ، كانت مأساة فلسطين نظرية التحدى والاستجابة ٠ ان فى تاريخ الشعوب تقع أزمات كبـرى تتحدى وجـود تلك الشعوب ومقدرتها على البقـاء والاستمرار وتدفعها الى التغلب على الانهيار ٠ لقد أومضت الشرارة الكامنة فى النفس العربية ٠

والواقع ان كل خطة اتخذت للقضاء على القومية العربية وجدت نهايتها حين واجهت الضوء والواقع ٠ فالذين حاولوا بعث الحضارات القديمة لم يجدوا ثقافة أساسية يستطيعون الارتباط بها ٠ والذين دعوا الى العامية لم يستطيعوا أن يكتبوا بغــير العربية ومصر التى ركز الاستعمار عليها بالدعوات المتعددة لبلبلة أفكارها استطاعت أن تعرف الطريق الصحيـــح وتكشفت النظريات الخاطئة فى الجنس واللغة وغيرها ٠

وفشلت قومية البحر الابيض المتوسط التى أراد بها الاستعمار أن يربط لبنان والشمال الآفريقى بفرنسا وعجز الشـــعوبيون عن ان يحققوا نصرا يركز قواعدهم ٠

وفشلت قومية البحر الابيض المتوسط التى اراد بها الاستعمار انحاء الوطن العربى ٠ كما قاومت القومية العربية عـدوين خطيرين هما : «الشعوبية» «والرجعية» : «الشعوبية» تدعو الى أن نقطـــع

ما بيننا وبين الماضي «والرجعية» تريد أن نكون ماضيا لا حاضر له ٠ وقد تكشفت الحقيقة التي لا بد منها وهي أن فصل الماضي عن الحاضر تحطيم للشخصية القومية وانحراف بها عن القاعدة التي تحميها من الخطر ٠ ولذلك لم تكن الانتفاضة العربية انسلاخا من الماضي وانما هي ترى الماضي هو المبدأ والمستقبل هو الغاية ٠ وترى في الماضي ما يعين على فهم الحاضر مع ضرورة اقامة الصلة بين الماضي والحاضر لبناء المستقبل ٠

× × ×

وفي الجناح الايسر للامة العربية حاول الاستعمار محاولات متعددة :ـ

(١) عزل المنطقة عن الامة العربية (٢) التجنيس وتحويل الاهالي الى فرنسيين (٣) الابادة بشن هجمات وحشية مدمرة (٤) الامتزاج بمحاولة جعل الجزائر جزءا من فرنسا (٥) محاربة اللغة العربية للقضاء على المدارس والكليات ٠ وصدور قانون (٢٤ ديسمبر ١٩٠٤) بانه لا يجوز لاى معلم مسلم ان يفتح او يتولى ادارة مكتب لتعليم اللغة العربية ٠ وقد قضى معلمو اللغة العربية أعمارهم في السجون ٠ (٦) احلال اللغة الفرنسية محل اللغة العربية (٧) ارسال البعثات التبشيرية المزودة بالمال ٠ (٨) تغيير أسماء الشوارع (٩) القضاء على الاوقاف الاسلامية (١٠) هدم المساجد وتحويل بعضها الى ثكنات وكنائس (١١) الفصل بين العرب والبربر ٠

وقد عجزت كل هذه المحاولات عن أن تحقق للاستعمار هدفه في تغريب هذه الاجزاء أو فرنستها أو فصلها عن الوطن الام ٠

فالظهير البربرى الذى صدر في مراكش ١٩١٣ وتجدد في

١٦ مارس ١٩٣١ كان يهـدف الى عزل خمسة ملايين من البربر عن الكيان الواحد . فقد نص ــ الظهـــير الاول ــ على ان القبائل ذات التقاليد البربرية يجرى عليها الحكم والادارة بموجب شرعها الخاص وعاداتها ثم نص الظهير الثانى على اغلاق محاكم الشرع الاسلامى بين البربر لترجع قضاياهم الى هيئة تؤلف تسمى الجماعة ترتبـــط مباشرة بالسلطة الفرنسية . مع تنصيب قضاة فرنسيين بين البربر لتطبيق العادات والتقاليد البربرية .

واستتبع هذا منع اختلاط العرب بالبربر ــ وتحديد الانتقال بينهما بجوازات سفر واباحة المناطق البربرية للارساليات المسيحية .

وقد عجزت هذه المحاولة عن فصل العنصرين البربرى والعربى اللذين امتزجا منذ ألف عام . وتبين ان محاولة فرنسا بعـد عشرة قرون لا قيمة لها .

وبدت المغرب من وراء الاغلال عربية واضحة الاتجاه عنـــدما أعلن الملك محمد الخامس فى طنجة دعوته الى الوحدة العربية وهو يخوض معركة الحرية . وكان مما قاله « ان المغرب دولة عربية صلتها وثيقة بالشرق العربى فمن الطبيعى أن يزداد هـذا الاتصال متانة وقـــوة » .

وبرزت المنطقة العربية فى الشمال الافريقى فى معاركها مـع الاستعمار شـديدة البأس فتاكة جريئة الهجمات والثورات ، مصرة على الفداء وتقديم الضحايا . فقـد القت القنابل على المقيم الفرنسى والسلطان الخائن وقتلت الضباط وهاجمت موكب الجلاوى وبلغت الهجمات المسلحة على المراكز الفرنسية فى عام واحد ٢٣٥ هجوما، شمل تخريب الخطوط والشبكات وقد اعتقـل نتيجة لذلك ٤٥٠٠ وحوكم ٦١١ وأعدم ثلاثون .

وعندما جرت الدعـــوة الى الوحدة المغربية (اجتماع طنجة

٢ مارس ١٩٥٨) كشف الشعب فى تونس ومراكش حقيقة موقفه منها فقال انها لا تقوم على أساس تجميد ثورة الجزائر ولا بـــد لتحقيقها أن يتم الجلاء والسيادة فى المغرب والجزائر وتونس وان حل مسألة الجزائر هو الشرط الاول لقيام تعاون حقيقى بين بلدان شمال افريقيا الثلاث » ٠

وقد صحح العرب مغالطات الصهيـونيين التاريخية عن حقهم فى فلسطين فاليهود يدعون انهم كانوا فيها قبل الفى سنة ٠والحقيقة التاريخية ان العرب نزحوا الى فلسطين قبل ولادة المسيح بثــلاثة آلاف سنة (الان : خمسة آلاف سنة) وان عهـد اليهود فى فلسطين لم يزد على أربعين عاما (مدة حكم سليمان بن داود) وقد استطاع العرب أن يحافظوا على استقلال فلسطين فى كل الاوقات ، واليـوم يقاوم عرب فلسطين : أن يذوبوا فى غيرهم وقد فضلوا قسوة الحياة والبرد والرياح خلال ثلاثة عشر عاما عن أن تصبح فلسطين أرضــا بغير شعب ٠

ولقد واجه أهـــل فلسطين مأساة من أعنف مآسى الانسانية فرضها عليهم الاستعمار حين تآزر مع الصهيونية لاقامة منطقة نفوذ فى قلب الوطن العربى واحتملوا فى ســــبيل ذلك معركة طويلة ما تزال ممتدة منذ ٤٠ عاما وقعت خلالها مجازر قبية ودير ياسين والحولة والصبحة وكفر قاسم وقدم أهل فلسطين فيها الضـــحايا والشهداء حيث ذبحت النساء وقتل الاطفال وبقرت البطون ٠

واليك صورة واحدة تغنى عن مئات الصور والاحداث :ـ

يقول لوانس عزيز وولده فى كتابه « ادفع دولارا تقتــــل عربيا » معركة دير ياسين (٩ نيسان ١٩٤٨) : « فى دير ياسين تكررت مشاهد الكتاب المقدس التى تقـــول « وقتلوا كل مـن فى

المدينة من رجل وامرأة ومن طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف » فقد جمع الغزاة ٢٥ امرأة حاملا ووضعوهن فى صف طويل ثم اطلقوا عليهن النار ، ثم انهم بقروا بطونهن بالمـــدى أو الحراب واخرجوا الاجنة نصف اخراج وقطع الاطفال اربا اربا أمام أعين آبائهم وخصى الصبية الصغار قبل أن يقتلوا وانتزعت الخواتم من أجساد القتلى « ووجدت نحو مائتى جثة من جثث القتلى ملقاة فى بئر عميقة مغطاة بالقذر والاوساخ » ٠

ولم تنهزم فلسطين الا بسلاح واحد ، هو السلاح الذى هزم به العرب فى كل معركة : سلاح الغدر والتآمر والعملاء فقد دخلت الدول العربية السبع معركة فلسطين ثم خرجت منها منهزمة لماذا ؟؟

يجيب على هذا « ساطع الحصرى » بقوله : لا يجوز أن يقال ان العرب خسروا معركة فلسطين ـ مع انهم كانوا سبع دول بـــل يجب أن يقال : ان العرب خسروا معركة فلسطين لانهم كانوا سبع دول ٠٠ »

واليوم تجرى المؤامرات وتمتد لتصفية قضية فلسطين بالقضاء على اللاجئين فقد تبين ان الخطة الاستعمارية « البريطانية الامريكية» تحول دون الامم المتحدة واتخاذ أى قرار فى مصلحة اللاجئين ٠ وعدم اتخاذ أى خطوة نحو تنفيذ القرارات السابقة ٠

وعملت الامم المتحدة على اصدار قرار يتعارض مـــع القرارات السابقة التى تقضى بعـــودة « اللاجئين » الى وطنهم وتعويضهم عن أملاكهم التى اغتصبتهـــا اسرائيل ٠ وهـــذه محاولة لتصفية قضيـــة اللاجئين وانهاء مطلبهم بالعودة الى وطنهم حتى تستقر الامور نهائيا فى اسرائيل ٠ وتحاول الدول الغربية بالاتفاق مـــــع اسرائيل على تصفية قضية اللاجئين باسكانهم فى الدول العربية ٠ وقـــد تقدمت بمشروعات التوطين وحاولت الضغط على الدول العربية لقبول اقامة

اللاجين فيها بصفة نهائية ملوحة بوقف المعونات التى تقـــــدمها لوكالة الغوث .

واعتقد انه قد مضى الوقت الـذى كان للاستعمار القدرة فى حرية التصرف فى الامة العربية ولم يعـــد ذلك ممكنا فى ظـــل الانتفاضة العربية الضخمة التى تظلنا اليوم ولم يعـــد من الميسور اهدار حـق عرب فلسطين فى العودة الى ديارهم أو تصفية قضيتهم مهما قيل من أن عمل وكالة الغوث تنتهى فى يونيو ١٩٦٣ .

واذا كانت اسرائيل قد وجـــدت يوما ما الفرصة لاحتـــلال فلسطين واحتلال مناطق ليست لها فى قرار التقسيم نفسه : هى القدس الجديدة والرملة واللد وبئر سبع والمجـدل وعسقلان ويافا والناصر وعكا وشفا عمر وبيسان وتتبعها أكثر من مائتى قرية فان الموقف الآن غيره بالامس . فقد رفضت كل محاولة لادماج اللاجئين أو توطينهم أو تهجيرهم خارج الوطن العربى حيث يقيمـــون الآن اقامة مؤقتة . وقد جرت خطوات واسعة فى ســـبيل ابراز الكيان الفلسطينى شعبا موحدا ليقرر ارادته الاجتماعية بتقرير مصـــيره واسترداد حقه السليب وذلك بانشاء جيش فلسطينى واتحاد قومى فلسطينى .

وذلك بعد أن اتسعت الثـــورة المصرية العربية حتى شملت الوطن العربى كله وحملت لواء القومية العربية وساندت قضايا الامة العربية .

والقومية العربية تقاوم كل القوى التى تحاول فرض سلطانها على الآمة العربية كالشيوعية والاستعمار الغربى والصهيونية .

وقد كانت ثورة ١٩٥٢ وقيام الجمهورية العربية المتحدة حدا فاصلا واضحا بين مرحلتين : وقد حولت معارك التحرير الى مستوى

اشد قوة وعمقا بعد مدها بالسلاح . وبدات الامة العربية في ظلهـا تنفض عنها آثار كبت استعماري طويل لتندفـــع بقوة هائلة في في طريق الغد .

ذلك ان طبيعة الامة العربية وحقيقة تكوينها تؤلف قوة ذات فاعلية . وهى في هذه المرحلة تكسر الحدود وتحطم القيود وتصحح الاخطاء وتمزق قيود الاستبداد والعملاء لتفسح الطريق أمام المجتمع الاشتراكي ، وقد تسلحت القومية العربية بأسلحة الغرب لتقاومه ، وكانت في الماضي تكتفي بأسلحة الايمان وتترك للغرب الاسلحـــة المادية أما اليوم فان العرب يملكون الاسلحة والايمان معا .

وتتجه القومية العربية اليوم الى اجراء عمليات التوحيد الداخلي للوطن العربي وذلك بالتحـــرر من أفـــكار الطائفية العنصرية . والعشائرية والقبليـــة والتجـــزئة والتحـــرر في نفس الوقت من المعاهدات والاحلاف والقوات العسكرية المحتلة ، ومكافحة « عقلية التجزئة » وذلك ايمانا بان الوحدة العربية هي وحدة ثورية بمـــا يمكن الامة العربية من أداء رسالتها والقيام بدورها في حماية القيم، وقد كشفت القومية العربية عن حقيقتها في أنها عقيدة وواقـــع وليست مرحلة انتقالية ، قوامها : الحرية والوحـــدة والاشتراكية العربية .

ولقد ربطت القومية العربية نفسها بتـــحرير افريقيا واقامة وحدة افرو آسيوية لمواجهـــة الاستعمار . وظاهرت طريق الحرية والقت عليه الاضواء الكاشفة . وقدكان لذلك أثره البعيد في المنطقة كلها . فالجزائر تقاوم في عنف وتديل من الاستعمار الفرنسي منذ سبع سنوات . وفلسطين ما تزال قضيتها حية تقاوم في ســـبيل العودة وفي اسرائيل فضائح وتفكك وعملاء الاســـتعمار في كل مكان يترقبـــون لحظة النهاية ، والثورات والانتفاضات التي انحرفت في الاردن والعراق تحاول أن تكشف طريقها من جديد .

والبترول ، الذى تكشفت عنه الارض العربية منذ عام ١٩٣٤ يرسم اليوم خطا واضحا من خطوط غد القومية العربية الاقتصادى .
فالقومية العربية تؤمن بأن يكون بترول العرب للعرب وذلك

بتحريره من جشع الاحتكار الاستعمارى . اذ لاتزيد نسبة ماتحصل عليه عن ١٠ فى المائة بينما تحصل الدول المنتجة للبترول فى العالم كله على ٨٥ فى المائة .

ونحن نعرف ان منابع البترول تصب فى بريطانيا كل عـــام **ألف مليون جنيه** استرلينى وقد قدمت اقتراحات متعـــددة بشأن انشاء صندوق لعائدات البترول تدفع فيه كل دولة من الـــدول المنتجة من ايرادها حصة خمسة فى المائة بعد ان تبين ان الـــدول العربية تحصل على أكثر من **٣٠٠ مليون جنيه سنويا** وهى مبالـــغ لا تدخل غالبا ميزانيات هــذه الدول ولا تحقق تقدما اقتصاديا أو اجتماعيا لها الا فى الحدود الضيقة وان اغلبها ينفق على القصـــور والترف والجوارى وعملاء الاستعمار .

ثم هناك « الصراع البريطانى الامريكى » على البــلاد العربية المنتجة للزيت كالسعودية والعراق والكويت والبحرين وقطر ومدى أثر هـــذا الصراع على تحرير الاجزاء العربية من الاحتـــلال ومن التبعية للاستعمار فى ظل المعاهدات المفقودة وما يتصل بها من اقامة جيوش وقواعد حربية لحماية مناطق البترول .

يقول الكاتب الانجليزى : بول جونس فى كتابه « رحلة الى أرض المتاعب » :

« لا يوجـــد فى أى مكان فى العـــالم شعب ليست له ادارة

ولا اشراف على اســـتخراج الزيت المملوك له وليس له نصيب فى انتاجه الا فى الشرق الاوسط ٠

والسبب فى ذلك يعد بالضرورة سببا فنيا وتستطيع حكومات الشرق الاوسط أن تضغط على شركات الزيت الا انها لا تستطيـــع ذلك لسبب واحد هو عدم قدرتها على أن تبـــاشر بنفسها صناعة الزيت الموجود فى أراضيها ٠ ومع ذلك فليس من المحتمل ولو فى الجيل القادم أن تصـــبح دول الشرق الاوسط قادرة على الاضطلاع بمهمة لشركات الزيت العربية ، ومن هنا كان الزيت سببا فى أن يجلب الى شعوب الشرق الاوسط شعورا عميــــق الجذور بخيبة الرجاء » ٠

والواقع ان « **استعمار الزيت** » كما يطلق عليه الغربيون هــو جزء من صورة غد القومية العربية باعتباره جزء من خطة الغرب التى عمد اليها لامتصاص ثروات العرب واستغلالها والحصول عليهــــا بأبخس الاثمان ٠

الاشتراكية العربية

ويتصل هذا **بالاستعمار الاقتصادى** الـــذى تحاول به أمريكا السيطرة على الدول العربية بعد أن انحسر سلطان فرنسا وانجلترا القائم على الجيوش والسياسة ٠

واذا كانت الامكانيات الاقتصـــادية ليست متوفرة لدى بعض أجزاء الوطن العربى فان اقتصاديات الامة العربية متكاملة بعضهــا مع بعض ٠ وقد كان للانتفاضة العربية فى ظل ثورة ١٩٥٢ وقيــام الجمهورية العربية المتحدة على قاعدة الاشتراكية التعاونية أن تحرر الاقتصاد العربى من الجمود ومن سلطان الاســـترلينى والدولار واتساع نطاقه فى العالم كله ، وتنـــــظر الامة العربية الى مختلف

أقطارها الى « **الاشتراكية العربية** » التى تقوم الجمهورية العربية المتحدة بتنفيذها كخطة نموذجية للوطن العربى كله لتحريره من سيطرة الاقتصاد الاجنبى ورد مقدراته وانتاجه الى الشعب العربى ٠ وهى « **اشتراكية** » نابعة من واقع مجتمعنا ٠ وتختلف الاشتراكية العربية عن الاشتراكية الديموقراطية فى أوربا ٠ ذلك لان اشتراكيتنا قائمة على أساس (الاستقلال والحرية) لبناء مجتمع جديد تتحقق فيه العدالة والمساواة بعيدا عن الارتباط بأى نظرية أخرى ٠

والاشتراكية العربية تسير جنبا الى جنب مع فكرة الوحدة القومية ولا يتحقق تطبيق الاشتراكية بمعناها الشامل الا بالوحدة القومية بين أجزاء الوطن العربى لان الفكرة القومية فى حد ذاتها هى فى الاساس ارتباط اجتماعى وان ما يقال من أن بعض أجزاء الوطن العربى لها مميزات اقليمية خاصة فهذا غير حقيقى وهى محاولة للتشكيك فى وحدتنا القومية التى لا تستند الى أسس وأركان تاريخه ٠

« تصريحات السيد كمال رفعت : روز اليوسف ـ العدد ١١٦٩٥

والواقع ان القومية العربية تؤمن باخضاع النظرية الاشتراكية للمفاهيم القومية وصبغها بالصبغة العربية وتعطى القومية العربية اليوم صورة الغد فى القدرة على المقاومة : فقد قاومت خلال العصور وهى منذ أعلنت انتاضتها تقاوم كل أعداء الأمة العربية ٠ وقد جرت عليها محاولات العزل والتجويع والعدوان فى معركة السويس التى تجمع فيها الاستعمار مرة ثانية كما تجمع فى الحروب الصليبية وموقعة نفارين وقد فشل أسلوب العدوان المباشر والعدوان غير المباشر ٠

معركة المقاومة

وافلتت القومية العربية من مؤامرة القضاء على انتفاضتها ٠
وقاومت القومية العربية حلف بغداد حين دخلته دولة عربية

واحدة هى العراق (فبراير ١٩٥٥) وقال « جمال عبد الناصر » ان حلف بغداد ليس الا سجنا كبيرا صنعه الاستعمار للامة العربية ، لقد كانت سجون الاستعمار فى أول الامر مناطق نفوذ تحكمها قوات الاحتلال ثم تطورت سجون الاستعمار الى معاهدات تحالف » .

وأعلن موقف القومية العربية واضحا صريحا : ان الدفاع عن الشرق الاوسط يجب أن ينبثق من المنطقة وأن يرتكز على شعوب المنطقة وأن لا يوجه ضد أحد بالذات » .

وفشلت حرب الدعاية بالاذاعة والصحافة والحرب النفسية .

واختفى من المسرح كثير من أعداء القومية العربية : ايدن ودالاس وجى موليه وبينو وفيصل وعبد الله ونورى السعيد وكميل شمعون وسامى الصلح وعبد الله خليل والجلاوى وابن عرفه .

وقاومت الانتفاضة العربية « **الاقطاع** » فى الجمهورية العربية المتحدة وقد كان الاقطاع لا يزال ركنا من أقوى أركان الاستعمار ضد القومية العربية وقد وصفه اللورد اللنبى بأنه « بديل الاحتلال » قال :

« انه من الممكن أن يجلو الانجليز عن مصر وهم مطمئنون الى أنهم خلقوا طبقة من الكبراء يمكن لانجلترا أن تستأمنهم على سياستها فى هذه البلاد فهم فى نظر الانجليز درع يدافع عن سياستهم كما يدافع عنها الاسطول البريطانى » .

والمعروف ان واحدا فى الالف من مجموع السكان فى البلاد العربية يملكون ٨٥ فى المائة من ثروات الوطن العربى ، ووسائل انتاجه ملكية احتكارية ويتحالفون مع الرأسمالية والاستعمارية .

وهكذا تبدو الثروة العربية وهى مسخرة فى خدمة قلة من الاقطاعيين وأصحاب رؤوس الاموال والاستعمار .

وكما فشلت خطط الاستعمار فى محاولة عـــزل البربر عن العرب فى المغرب فشلت فى عزل لبنان عن الامة العربية ٠

فقد جرت محاولات فرنسا الاستعمارية منذ عهد بعيـــد الى التطلع الى لبنان وايجـــاد روابط بينها وبينه بحجة انهـــا حامية المسيحية فى الشرق فلما احتلت فرنسا لبنان ١٩١٨ عمدت الى ربط لبنان بفرنسا ربطا مفتعلا حتى انها جعلت ألوان العلم اللبنانى هى ألوان العلم الفرنسى ونصت فى دستور لبنان على أن اللغة الفرنسية هى لغة رسمية ثابتة ٠

وعمدت فرنسا خلال فترة احتلالها الى ايجاد عزلة شاملة بين لبنان والعراق والوطن العربى كله باثارة دعوات الشعوبية بمختلف صـــورها ، من احياء الفينيقية وربط لبنان بالغرب وفرنســـا ٠ والتفريق بين المسلمين والمسحيين وبين السنة والشعة ٠ وقيـــام الارساليات الفرنسية والصحف والكتب بمحاولة اقامة نظرية ترمى الى أن لبنان ليس من الامة العربية وان اللبنانيون أصلهم فرنسى ، وان اللبنانيين من أحفاد الصليبيين الذين جاءوا الى الشرق ومـــن نسل الفرنسيين منهم خاصة ٠ ومن أن هناك رابطة البحر الابيض المتوســـط وقال الاستعمار ان العرب غزاة طارئين وان اللبنانيين فينيقيون ثم تبين من بعد ان الفينيقيين هم موجة من موجات العرب٠

وقد كشف الاستعمار الفرنسى باستبداده وتسلطه وجه لبنان الحقيقى وقضى على كل هذه النظريات الـــكاذبة ٠ عنـــدما حققت الانتفاضة اللبنانية فى ١٧ أيلول (سبتمبر) ١٩٤٣ تعديل الدستور ورفع المواد الاستعمارية منه وقد تم فى هــــذه الفترة قيام الميثاق الوطنى الذى أعلن أن لبنان لن يـــكون مقرا للاســـتعمار ولا ممرا ودعا الى استعمال اللغة العربية وحدها فى مصالح الحكومة وفشلت

مؤامرات الاستعمار واعدم انطون سعادة صاحب نظرية القومية الضيقة وأعلن « رياض الصلح » ان لبنان له وجه عربى وانه يمت الى العروبة بأوثق الصلات • ولم تغن محاولات الاستعمار فى عزل لبنان عن الامة العربية لا سيما بعد أن استعلنت الانتفاضة العربية تحمل معالم القومية العربية فى صورتها الواضحة • وقد أعرب لبنان عن الأمة العربية لا سيما بعد أن أعلنت الانتفاضة العربية وقيام العربية المتحدة وأعلن البطريرك المارونى بولس المعوشى موقفه صريحا وأعلن بيير الجميل رئيس حزب الكتائب « ليس بين اللبنانيين من مخلص يرضى التنكر للعروبة وموجباتها ، واذا كانت العروبة هى اللغة المشتركة والاهداف المشتركة والعاطفة المتبادلة والخدمة لتحقيق هدف ، فبكل اعتزاز أقول ان لبنان أكثر عروبة من سواه » • وان كان حزب الكتائب قد شارك مع الحزب القومى السورى فى الهجوم على القومية العربية والوحدة العربية وكشف بذلك عن عمالة للاستعمار وعندنا ان الحزبين لا يمثلان وجه لبنان العربى الحقيقى •

وعندما اعتزل الشيخ بشارة الخورى قال « لاتحولوا وجوهكم عن دنيا العرب فان لكم فيها اخوان فكر وقلب ولسان »

وهكذا توالى انهيار الحواجز التى أقامها الاستعمار بين أجزاء الامة العربية •

× × ×

وفى منطقة الخليج العربى برزت روح المقاومة بعد أن ظلت هذه المنطقة معزولة عن العالم العربى ، فقد ظهرت الحركات الوطنية المرتبطة بالقومية العربية والنامية فى ظل الانتفاضة العربية وخاصة فى الكويت والبحرين واندلاع ثورة عمان واحتدام الصراع حول واحة البوريمى ومساهمة سكان الخليج فى الحركات التحررية ضد الاستعمار • وقد حاولت بريطانيا أن تواجه هذه الانتفاضة بالعنف

غير انها وجدت اصرارا على المقاومة وعليها الآن ان تفكر كثيرا فى أن محاولتها لتجميد الاوضاع القائمة لن يكون هو الحل ، وانه ليس من المعقول أن تبقى المعاهدات غير المتكافئة مهما حاولت ايجاد الخلاف واثارته بين السلاطين والامراء ٠

تحطيم عقبات الوحدة

وتتطلع القومية العربية فى غدها الى تحطيم عقبات الوحدة :

تحرر سورية من التجزئه والانفصالية والرجعية ٠

تحرير فلسطين والجزائر والخليج والجنوب العربى ٠

القضاء على النفوذ الاقتصادى الاجنبى فى مراكش وتونس ٠

القضاء على الاقطاع فى مختلف أجزاء الوطن العربى ٠

القضاء على نفوذ شركات البترول فى الجزيرة العربية ٠

تحرير تونس من معاهداتها وقواعدها ٠

تحطيم حواجز الصحراء وغزوها واستغلال المياه الجوفية بها ٠

حل مشاكل البدو الذين يبلغون ٢٥ فى المائة من سكان الوطن العربى يسكنون الخيام وبيوت الشعر ٠

حل مشاكل الاقليات والطائفية والقبلية ٠

سقوط عملاء الاستعمار وخصوم القومية العربية ٠

القضاء على معونات الاستعمار لبعض الاقطار واحلال معونات عربية بدلا منها ٠

توعية الرأى العام العربى وتنقيه تفكيره من مغالطات الاستعمار باعتباره الضمان الاكيد لسلامة اندفاع الانتفاضة العربية الى هدفها الاكبر : الوحدة الشاملة ٠

مستقبل الوحدة العربية

ويصور جمال عبد الناصر « رائد القومية العربية » مستقبل الوحدة العربية الكبرى فيقول :

★ ان مستقبل الوحـــدة لا تقرره القوة • ولكـن تقرره الارادة المستقلة لكل شعب عربى نحن فى الجمهورية العربية على استعداد لان نقبل كل ارادة حرة لكل شعب عربى اذا اراد ان يتحد معنا •

★ ان التطور الواعى القائم على الدعوة السليمة هو طريقنا الى هذه الوحدة التى تؤمن بها •

★ حمل دعوة القومية العربية بمعنى العمل على تحطيم النفـــوذ الاجنبى فى جميع انحاء الامة العربية ومساعدة حركات التحـــرر فى كل وطن عربى •

★ دعوة القومية العربية والوحدة العربيـــة قوامها مجتمـــــع اشتراكى ديموقراطى تعاونى اموال العرب للعرب وبترول العـرب للعرب • وارض العرب للعرب •

★ مسئوليتنا عن حرية الامة العربية فى كل وطن عربى •

★ الوحدة العربية هى أعلى مراحل الوطنيـــة • لابد لهـا من الاستقلال والحرية ـ والتخلص من النفوذ الاجنبى حتى تكون هناك وحدة عربية • ليست هى الاساليب الدستورية التى تكتب بالحبر•

× الوحدة العربيـــة هى الوحدة التى تجمع الشعب الحـر مع الشعب الحر والبلد المستقل مع البلد المستقل •

★ حينما ينتهى النفوذ الآجنبى وحينما تنتهى الذين يأخذون اوامر من الدول الاجنبية تصبح الوحدة العربية سهلة جدا ، لان مصالح اى بلد عربى هى مصالح البلد الآخر .

★ بعد القضاء على الاستعمار وأعوانه ومستغلى الاستعمار لا يختلف العرب .

★ ان صيانة الوحدة الوطنية تستهدف ازالة الحواجز الصناعية التى حاول الاستعمار بواسطة اعوانه ان يمزق بها الوطن العربى ويفرقه .

★ طريقنا من أجل تحرير الآمة العربية : قضاء على الاستعمار وقضاء على اعوان الاستعمار واقامة امة عربية مستقلة . والقضاء على دعاة الانفصالية والانعزالية .

★ ان القومية العربية حركة بناءة ، هى ثورة سياسية وثورة اجتماعية .

★ القومية العربية تملك عقيدة متطورة تنبع من قلوبنا ومن تجاربنا وتنبع من ماضينا ومن حاضرنا وليست مستوردة من الخارج

تاريخ الاحداث العربية

١٩ مايو ١٧٩٧ : الحملة الفرنسية على مصر
٢٠ مارس ١٨٠٠ : ثورة القاهرة على الفرنسيين
١٨٠١ : الحركة الوهابية فى جزيرة العرب
٢٧ مايو ١٨٠١ : الجلاء الفرنسى عن مصر
٣٠ مارس ١٨٠٧ : طرد الانجليز من رشيد وهزيمة فريزر
٥ يوليو ١٨٣٠ : احتلال فرنسا للجزائر
١٨٣٩ : احتلال عدن
١٧ نوفمبر ١٨٦٩ : افتتاح قناة السويس للملاحة
٢٥ نوفمبر ١٨٧٥ : شراء بريطانيا لاسهم القناة
٢٥ يونيو ١٨٧٩ : خلع اسماعيل
٢٦ أغسطس ١٧٨٩ : اخراج جمال الدين الافغانى ن مصر
١٨٨١ : احتلال فرنسا لتونس
١٨٨١ : حركة المهدى فى السودان
٢٥ مايو ١٨٨٢ : وفاة عبد القادر الجزائرى
١١ يونية ١٨٨٢ : مذبحة الاسكندرية
١١ يولية ١٨٨٢ : ضرب الاسكندرية واحتلال مصر
١٢ سبتمبر ١٨٨٢ : معركة التل الكبير
١٨٨٥ : مقتل غردون
١٠ يوليو ١٨٩٧ : حادث فاشوده (الخلاف بين فرنسا وانجلترا)
٤ سبتمبر ١٨٩٧ : بريطانيا تحتل السودان
١٩ يناير ١٨٩٩ : عقد اتفاقية السودان
٤ ابريل ١٩٠٤ : الاتفاق بين بريطانيا وفرنسا لتقسيممصرومراكش
١٣ يونيه ١٩٠٦ : مشانق دنشواى

١١ ابريل ١٩٠٧ : استقالة كرومر
١٩٠٨ : الدستور العثمانى
٢٧ ابريل ١٩٠٩ : خلع السلطان عبد الحميد (١٨٦٨ – ١٩٠٩)
١ ابريل ١٩١٠ : رفض مد امتياز قناة السويس
١٩١١ : احتلال ليبيا
١٧ مارس ١٩١٣ : المؤتمر العربى فى باريس
١٩١٢ : احتلال مراكش
١٨ اغسطس ١٩١٢ مقاومة مراكش نقيادة الشيخ ماء العينين ·
١١ ديسمبر ١٩١٤ : اعلان الحماية على مصر
٢ يناير ١٩١٥ : هاجم الجيش العثمانى قناة السويس
٢١ اغسطس ١٩١٥ : مشانق السفاح الاولى فى دمشق
٦ مايو ١٩١٦ : مقتل شهداء القومية العربية فى بيروت ودمشق ·
٨ مايو ١٩١٦ معاهدة سايكس بيكو بتقسيم الوطن العربى ·
١٠ يونيه ١٩١٦ : الثورة العربية الاولى ·
١ مارس ١٩١٧ : احتلال الانجليز للعراق ·
٢ نوفمبر ١٩١٧ : وعد بلفور باقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين
٥ اكتوبر ١٩١٨ : قيام الحكومة العربية الاولى فى سورية ·
٩ مارس ١٩١٩ : الثورة المصرية ·
٢٥ مارس ١٩١٩ : مذابح الانجليز فى العزيزية والشويك ·
٢٤ يوليو ١٩٢٠ : معركة ميسلون واحتلال فرنسا لسوريا ·
١٩٢٠ : ثورة العراق الأولى ·
١٩٢١ : ثورة عبد الكريم فى ريف مراكش ضد الفرنسيين
٢٨ فبراير ١٩٢٢ : الغاء الحماية على مصر ·
١٩٢٣ : اعلان الجمهورية التركية ·
٢١ مارس ١٩٢٤ : الغاء الخلافة ·
٢٥ يوليو ١٩٢٥ : الثورة السورية الكبرى ·
٨ يناير ١٩٢٦ : تولى السعوديين ملك الحجاز ·

١٩٣٢ : المؤتمر الاسلامى بالقدس تقرير الوحدةالعربية •
١٥ ابريل ١٩٣٦ : ثورة فلسطين الكبرى •
١ ابريل ١٩٤٠ : حركة رشيد الكيلانى ضد الانجليز •
٥ مايو ١٩٤٥ : معركة سطيف بالجزائر التى قتل فيها الفرنسيون ٤٠ الف عربى
١١ مايو ١٩٤٥ : ميثاق الجامعة العربية •
٣١ ديسمبر ١٩٤٦ : الجلاء عن لبنان
٢٥ فبراير ١٩٤٧ : مشروع التقسيم فى الامم المتحدة
١٧ ابريل ١٩٤٦ : الجلاء عن سوريا
١٧ مارس ١٩٤٨ : معركة القسطل واستشهاد عبد القادر الحسينى
١٠ ابريل ١٩٤٨ : معركة دير ياسين
١٥ مايو ١٩٤٨ : دخول الجيوش العربية فلسطين
١١ يونية ١٩٤٨ : الهدنة الاولى
٨ يوليو ١٩٤٨ : ميثاق سعد أباد بين العراق وافغانستان وايران
٨ يوليو ١٩٤٨ : انسحاب الجيش الاردنى من اللد والرملة (الهدنة الثانية)
٧ سبتمبر ١٩٤٨ : اغتيال اليهود لبرنادوت لانه اقترح أن يكون النقب فى يد العرب
١٩٤٨ : ثورة العراق على مشروع معاهدة بورتثموث
٢٤ فبراير ١٩٤٩ : الهدنة بين العرب واليهود (اتفاقية رودس)
٢٥ مايو ١٩٥٠ : البيان الثلاثى من فرنسا وانجلترا وامريكا بضمان حدود اسرائيل
١٩٥٢ : استقلال ليبيا
٢٣ يوليو ١٩٥٢ ثورة مصر العربية الكبرى
١٨ يونيه ١٩٥٣ : قيام الجمهورية المصرية
٩ سبتمبر ١٩٥٢ : تحديد الملكية والغاء الاقطاع فى مصر
اول نوفمبر ١٩٥٤ : اعلان ثورة الجزائر •

٢٤ فبراير ١٩٥٥ : اعلان حلف بغداد
٨ يناير ١٩٥٦ : ثورة الاردن
٢ مارس ١٩٥٦ : الغاء الحماية فى مراكش
٣ مارس ١٩٥٦ : اعفاء جلوب من قيادة جيش الأردن
٢٠ مارس ١٩٥٦ : تحرير تونس
١٣ يونية ١٩٥٦ الجلاء عن مصر
٢٦ يوليو ١٩٥٦ : تأميم القنال
٥ نوفمبر ١٩٥٦ : معركة السويس والعدوان الثلاثى
٢٣ نوفمبر ١٩٥٦ : انسحاب العدوان الثلاثى عن مصر
٥ يناير ١٩٥٧ : مشروع ايزنهاور
ابريل ١٩٥٧ : الجلاء عن الاردن
٨ ـ أغسطس ١٩٥٧ : الهجوم البريطانى على عمان
١٣ اكتوبر ١٩٥٧ : وصول الجيش المصرى الى اللاذقية
٢٢ فبراير ١٩٥٨ : قيام الجمهورية العربية المتحدة
٨ مارس ١٩٥٨ : الاتحاد الفيدرالى بين الجمهورية العربية واليمن
٨ مايو ١٩٥٨ : ثورة لبنان
١٤ يوليو ١٩٥٨ : ثورة العراق
١٦ يوليو ١٩٥٨ : احتلال القوات البريطانية للاردن وللامريكية للبنان .
١٩ سبتمبر ١٩٥٨ : اعلان الجمهورية الجزائرية .
٢٦ سبتمبر ١٩٥٨ : صدور قانون الاصلاح الزراعى فى سوريا
١٨ نوفمبر ١٩٥٨ : ثورة السودان بقيادة ابراهيم عبدد

« ثبت الشهور العربية »

حزيران ـ يونيو / تموز ـ يوليو / آب ـ أغسطس / ـ أيلول سبتمبر / تشرين أول ـ اكتوبر / تشرين ثانى ـ نوفمبر / كانون أول ـ ديسمبر / كانون ثانى ـ يناير / شباط ـ فبراير / آذار ـ مارس نيسان ـ ابريل / أيار ـ مايو ـ
السنة تبدأ بسبتمبر ـ كانون الثانى

مراجع عامة للبحث

القضية العربية : أحمد الاغطى — ١٩٣١ – بغداد

الوحدة العربية : أحمد طربين — ١٩٥٩ – القاهرة

لوحدة العربية : محمد عزه دروزه — ١٩٥٧ – بيروت

حول الحركة العربية الحديثة : محمد عزه دروزه — ١٩٥٠ – بيروت

هذا العالم العربى : نبيه أمين فارس — ١٩٥٣ – بيروت

العالم العربى : نجلاء عز الدين — ١٩٥٨ – القاهرة

جامعة الدول العربية : دكتور محمد حافظ غانم — ١٩٦٠ – القاهرة

الثورة العربية : دكتور جلال يحيى — ١٩٥٩ – القاهرة

القومية فى نظر الاسلام : محمد أحمد باشميل — ١٩٦٠ – بيروت

دراسات فى القومية : منيف الرزاز ومشيل عفلق — ١٩٦٠ – بيروت

حول القومية العربية : جابر العمر — ١٩٤٨ – دمشق

نحو الوحدة العربية : الدكتور يوسف هيكل — ١٩٤٥ – القاهرة

من الزاوية العربية : نبيه أمين فارس — ١٩٥٣ – بيروت

غيوم عربية : نبيه أمين فارس — ١٩٥٠ – بيروت

العرب الاحياء : نبيه أمين فارس — ١٩٤٧ – بيروت

بريطانيا والدول العربية : سيتون وليمز — ١٩٥٩ – القاهرة

رواد القومية العربية : أنور الجندى — ١٩٥٩ – القاهرة

العالم الاسلامى والاستعمار : أنور الجندى — ١٩٥٨ – القاهرة

معركة القومية العربية مع الاستعمار : أنور الجندى ١٩٦١ ـ القاهرة
الشخصية العربية : أنور الجندى ١٩٦٠ ـ القاهرة
نحن العرب : أنور الجندى ١٩٦٠ ـ القاهرة
معركة المقاومة والتجمع فى الادب العربى الحديث : ١٩٦٠ ـ القاهرة
معركة المقاومة العربية : أنور الجندى ١٩٦١ ـ القاهرة
هــــذا هو جمال : أنور الجندى ١٩٦٠ ـ بيروت

هيئة قناة السويس

اعلان

تعلن هيئة قناة السويس عن طرح «عملية انشاء أحواض يت من الخرسانة المسلحة بمحطة المياه المرشحة «بالاسماعيلية» فى مناقصة عامة تحدد لفتح مظاريفها جلسة ظهر يوم الثلاثاء الموافق ١٦ يناير سنة ١٩٦٢ ٠

ويمكن الحصول على مستندات العملية من مكتب المناقصات والعقود بادارة الاشغال بالاسماعيلية نظير دفع مبلغ خمسة جنيهات مصرية يضاف اليها مبلغ خمسمائة مليم فى حالة طلب ارسال المستندات بالبريد ٠

وتقدم العطاءات داخل مظروفين يختم الداخلى منهما بالشمع الأحمر وبعنوان المظروف الخارجى باسم السيد/رئيس هيئة قناة السويس « ادارة الاشغال » بالاسماعيلية ويرفق العطاء بتأمين مؤقت قدرة ٢ ٪من قيمة العملية ٠

كما يجب على مقاولى القطـاع الخاص تقديم اقرار بعدم التعاقد حاليا مع القطاع العام على أعمال تزيد قيمتها بالاضافة الى قيمة هذه العملية عن ٣٠٠٠٠ جنيه ولن يلتفت الى العطاءات غير المستوفاة التأمين أو الاقرار المطلوب ٠

الدار القومية للطباعة والنشر
شركة ذات مسئولية محدودة
١٥٧ – شارع عبيد – روض الفرج
تليفون ٤٥٣٤٦ – ٤٥٤٠٥ – ٣١٦٢٥